تاريخ الإمامية

وأسلافهم من الشيعة

منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري



تاريخ الإمامية

وأسلافهم من الشيعة

منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري

تأليف:

الدكتور عبد الله فياض

استاذ التاريخ الاسلامي كلية الآداب - جامعة بغداد

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	BP192 .F3 2020
المؤلف الشخصي:	فياض، عبد الله، ١٩١٧-١٩٨٤.
العنوان:	تاريخ الإمامية واسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري /
بيان المسؤولية:	تأليف الدكتور عبد الله الفياض.
بيانات الطبع:	الطبعة الاولى.
بيانات النشر:	كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠٢٠ / ١٤٤١ للهجرة.
الوصف المادي:	٢٢٥ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر:	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧٢٥).
سلسلة النشر:	(مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ١٢٧).
تبصرة ببليوجرافية:	يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٢٠٩-٢٢٠)، وكشافات.
مصطلح موضوعي:	الشيعة الامامية - تاريخ - حتى القرن ٤ للهجرة.
مصطلح موضوعي:	الائمة الاثنا عشر (عليهم السلام).
مصطلح موضوعي:	الشيعة - تاريخ.
مصطلح موضوعي:	الشيعة - العراق - تاريخ.
مصطلح موضوعي:	الغلاة.
مصطلح موضوعي:	عقائد الشيعة الامامية.
مؤلف اضافي:	الصدر، محمد باقر، ١٣٥٣-١٤٠٠ للهجرة - مقدم.
اسم هيئة اضافي:	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مركز كربلاء للدراسات والبحوث. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية





الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الكتاب: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة
(منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري)

المؤلف: د. عبد الله الفياض

الاشراف العلمي: مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الطبعة: الاولى

السنة: ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

جمهورية العراق/كربلاء المقدسة

00964 7719491210
00964 7814187625

www.c-karbala.com

info@c-karbala.com
karbala.center1@gmail.com
karbala.center1@yahoo.com

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٢٧٠٢) لسنة ٢٠١٤م


بسم الله الرحمن الرحيم

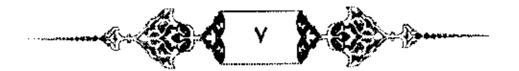
كلمة المركز

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

يزخر تاريخ العراق بعدد كبير من العلماء والمفكرين والمؤرخين الذين وثّقوا بصدق تاريخه عبر العصور ماضيه وحاضره، وحافظو في الوقت نفسه لرجاله تاريخهم وتراثهم، ومن بين هؤلاء الأساتذة المؤرخ الأستاذ الدكتور (عبد الله الفيّاض)، الذي كان يعي حجم المسؤولية الملقاة عليه عند تدوينه للتاريخ أمام الله والآخرون والذات، فالحقيقة والصدق هما الشاهد الوحيد في جميع كتاباته، لأنه يرفض تدوين النصوص كما هي، بل كان يناقشها ويدقّق مضامينها ومحتواها، ويأتي في أحيان بآراء واجتهادات شخصية وموضوعية يُقنع فيها القارئ بإعادة النظر في بعض الاحداث والمواقع التاريخية التي دوّنها باحثون آخرون.

كان الفيّاض مؤرخا جاداً وصاحب رسالة علمية تربوية، جمع اختصاصين في مجال التاريخ وبرع فيهما بشكل لافت للنظر؛ الأول: التاريخ الحديث؛ لإن عنوان رسالته للماجستير التي حصل عليها في الأول من حزيران ١٩٥٤ كانت بعنوان (الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠). والاختصاص الثاني: التاريخ الإسلامي حيث أطروحته المعنونة (تاريخ التربية عند الإمامية بين عصري الإمام الصادق والشيخ الطوسي) وقد نالها عام ١٩٦٦م، فضلاً عن اهتماماته بـ (منهج البحث التاريخي) منذ ستينات القرن العشرين، وتوظيف عناصره عند تدوينه للأحداث التاريخية.

إن ما يميِّز كتابات الأستاذ الدكتور عبد الله الفيّاض سلاسة تعابيره وأسلوب كتاباته للنصوص التاريخية وعمق المعاني التي يختارها ووضوحها من دون ذكر التعابير الغريبة التي تُعيق فهم القارئ لما دوّنه، إذ اعتمد المنهج العلمي الموضوعي حيث الوضوح



والدقة وعدم تحميل الحدث أكثر مما هو.

ألَّف الأستاذ عبد الله الفياض قرابة (٣٥) خمسةٍ وثلاثين كتاباً تحمل معظمها عناوين لا يمكن للباحث والقارئ الاستغناء عنها، لاسيَّما المختصين بتاريخ العراق حتى لو كانت تفاصيل أحداثها تعود لفترات زمنية بعيدة.

من هذا المنطلق ولأهمية كتبه، وتزايد الطلب عليها من قبل الباحثين والقراء بادرت إدارة مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدّسة إلى إعادة طبع البعض منها وجعلها في متناول القرّاء، لاحتوائها معلومات تكشف الحقيقة الناصعة لتاريخ العراقيين الإسلامي والحديث، ومن بين تلك الكتب:

١. تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري.
٢. تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق (ع) والطوسي.
٣. الحركة الفدائية في الإسلام قديماً وحديثاً.
٤. الإجازات العلمية عند المسلمين.
٥. محاضرات في تاريخ الإسلام والدولة الأموية.
٦. تاريخ البرامكة.
٧. الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠.
٨. التاريخ فكرةً ومنهجاً (دراسة في التاريخ وأصول بحثه).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتحقق النفع من إعادة طبع هذه المجموعة من الكتب ويجد فيها القارئ الكريم ما يسرّه ويرجوه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

تصدير

بلقم سماحة الحجة السيد محمد باقر الصدر

جرى بعض الباحثين المحدثين على دراسة التشيع بوصفه ظاهرة طارئة في المجتمع الاسلامي والنظر الى القطاع الشيعي من جسم الامة الاسلامية باعتباره قطاعا تكون على مر الزمن نتيجة لأحداث وتطورات اجتماعية معينة ادت الى تكوين فكري ومذهبي خاص لجزء من ذلك الجسم الكبير ثم اتسع ذلك الجزء بالتدريج.

وهؤلاء الباحثون بعد ان يفترضوا ذلك يختلفون في تلك الاحداث والتطورات التي ادت الى نشوء تلك الظاهرة وولادة ذلك الجزء. فهناك من يفترض ان عبدالله بن سبا ونشاطه السياسي المزعوم هو الاساس لقيام ذلك التكتل الشيعي. وهناك من يرد ظاهرة التشيع الى عهد خلافة الامام عليه الصلاة والسلام وما هيأه هذا العهد للإمام من مقام سياسي واجتماعي على مسرح الاحداث. ومنهم من يزعم ان سبب ظهور الشيعة يكمن في أحداث متأخرة عن ذلك في التسلسل التاريخي للمجتمع الاسلامي.

والذي دعا - فيما أظن - كثيرا من هؤلاء الباحثين الى هذا الافتراض والاعتقاد بأن التشيع ظاهرة طارئة في المجتمع الاسلامي هو أن الشيعة لم يكونوا يمثلون في صدر الاسلام الا جزءا ضئيلا من مجموع الامة الاسلامية فقد أوحت هذه الحقيقة شعورا بأن اللاتشيع كان هو القاعدة في المجتمع الاسلامي وان التشيع هو الاستثناء والظاهرة الطارئة التي يجب اكتشاف أسبابها من خلال تطورات المعارضة للوضع السائد.

ولكن اتخاذ الكثرة العددية والضالة النسبية أساسا لتمييز القاعدة والاستثناء او الاصل

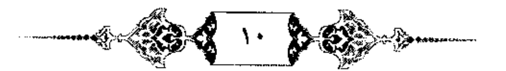


والانشقاق، ليس شيئا منطقيا فمن الخطأ اعطاء الاسلام اللاشيعي صفة الاصالة على أساس الكثرة العددية واعطاء الاسلام الشيعي صفة الظاهرة الطارئة ومفهوم الانشقاق فان هذا لا يتفق مع طبيعة الانقسامات العقائدية اذ كثيرا ما نلاحظ انقساما عقائديا في اطار رسالة واحدة يقوم على أساس الاختلاف في تحديد بعض معالم تلك الرسالة وقد لا يكون القسمان العقائديان متكافئين من الناحية العددية ولكنهما متكافئان في اصالتهما ومعبران بدرجة واحدة عن الرسالة المختلف بشأنها.

فلا يجوز بحال من الاحوال أن نبني تصوراتنا عن الانقسام العقائدي داخل اطار الرسالة الاسلامية الى شيعة وغيرهم على الناحية العددية. كما لا يجوز ايضا ان نقرن ولادة الاطروحة الشيعية في اطار الرسالة الاسلامية بولادة كلمة الشيعة او التشيع كمصطلح واسم خاص لفرقة محددة من المسلمين لان ولادة الاسماء والمصطلحات شيء ونشوء المحتوى وواقع الاتجاه والاطروحة شيء آخر فإذا كنا لا نجد كلمة الشيعة في اللغة السائدة في حياة الرسولﷺ او بعد وفاته فلا يعني هذا أن الاطروحة والاتجاه الشيعي لم يكن موجوداً. فبهذه الروح يجب أن نعالج قضية التشيع والشيعة ونجيب على السؤالين التاليين:

كيف ولد التشيع وكيف ولد الشيعة؟

أما فيما يتعلق بالسؤال الاول كيف ولد التشيع فنحن نستطيع أن نعتبر التشيع نتيجة طبيعية للإسلام وممثلا لأطروحة كان من المفروض للدعوة الاسلامية أن تتوصل اليها على نموها السليم، ويمكننا أن نستنتج هذه الاطروحة استنتاجا منطقيا من الدعوة التي كان الرسول الاعظم يتزعم قيادتها بحكم طبيعة تكوينها ونوع الظروف التي عاشتها. فأن النبيﷺ كان يباشر قيادة دعوة انقلابية ويمارس عملية تغيير شامل للمجتمع وأعرافه وأنظمته ومفاهيمه ولم يكن الطريق قصيرا أمام عملية التغيير هذه بل كان طريقا طويلا



وممتدا بامتداد الفواصل المعنوية الضخمة بين الجاهلية والاسلام فكان على الدعوة التي يمارسها النبي أن تبدأ بإنسان الجاهلية فتنشئه انشاء جديدا وتجعل منه الانسان الاسلامي الذي يحمل النور الجديد الى العالم وتجتذ منه كل جذور الجاهلية ورواسبها وقد سار القائد الاعظمﷺ بعملية التغيير خطوات مدهشة في برهة قصيرة وكان على العملية أن تواصل طريقها الطويل حتى وفاة النبيﷺ.

وكان النبي يدرك منذ فترة قبل وفاته أن أجله قد دنا واعلن ذلك بوضوح في حجة الوداع ولم يفاجئه الموت مفاجأة وهذا يعني انه كان يملك فرصة كافية للتفكير في مستقبل الدعوة بعده حتى اذا لم ندخل في الموقف عامل الاتصال الغيبي والرعاية الالهية المباشرة للرسالة عن طريق الوحي.

وفي هذا الضوء يمكننا أن نلاحظ أن النبيﷺ كان أمامه ثلاثة طرق بالإمكان انتهاجها تجاه مستقبل الدعوة.

الطريق الاول:

أن يقف من مستقبل الدعوة موقفا سلبيا ويكتفي بممارسة دوره في قيادة الدعوة وتوجيهها فترة حياته ويترك مستقبلها للظروف والصدف.

وهذه السلبية لا يمكن افتراضها في النبيﷺ لأنها انما تنشأ من احد امرين كلاهما لا ينطبقان عليهﷺ.

الامر الاول

الاعتقاد بأن هذه السلبية والاهمال لا تؤثر على مستقبل الدعوة وان الامة التي سوف يخلف الدعوة فيها قادرة على التصرف بالشكل الذي يحمي الدعوة ويضمن عدم الانحراف. وهذا الاعتقاد لا مبرر له من الواقع اطلاقا بل ان طبيعة الاشياء كانت تدل



على خلافة لان الدعوة بحكم كونها عملا تغييريا انقلابياً في بدايته يستهدف بناء أمة واستئصال كل جذور الجاهلية منها تتعرض لأكبر الاخطار اذا خلت الساحة من قائدها وتركها دون أي تخطيط.

فهناك الاخطار التي تنبع عن طبيعة مواجهة الفراغ دون أي تخطيط سابق وعن الضرورة الآنية لاتخاذ موقف مرتجل في ظل الصدمة العظيمة بفقد النبي فأن الرسول اذا ترك الساحة دون تخطيط لمصير الدعوة فسوف تواجه الامة ولأول مرة مسؤولية التصرف بدون قائدها تجاه أخطر مشاكل الدعوة وهي لا تملك أي مفهوم مسبق بهذا الصدد وسوف يتطلب منها الموقف تصرفا سريعا آنيا بالرغم من خطورة المشكلة لان الفراغ لا يمكن ان يستمر وسوف يكون هذا التصرف السريع في لحظة الصدمة التي تمنى بها الامة وهي تشعر بفقدها لقائدها الكبير هذه الصدمة التي تزعزع بطبيعتها سير التفكير وتبعث على الاضطراب حتى أنها جعلت صحابيا معروفا يعلن بفعل الصدمة ان النبيﷺ لم يمت ولن يموت. وهناك الاخطار التي تنجم عن عدم النضج الرسالي بدرجة تضمن للنبي مسبقا موضوعية التصرف الذي سوف يقع وانسجامه مع الاطار الرسالي للدعوة وتغلبه على التناقضات الكامنة التي كانت لا تزال تعيش في زوايا من نفوس المسلمين على أساس الانقسام الى مهاجرين وأنصار أو قريش وسائر العرب او مكة والمدينة.

وهناك الاخطار التي تنشأ نتيجة لوجود القطاع المتستر بالإسلام والذي كان يكيد له في حياة النبي باستمرار وهو القطاع الذي كان يسميه القرآن بالمنافقين واذا أضفنا اليهم عددا كبيرا ممن أسلم بعد الفتح استسلاما للأمر الواقع لا انفتاحا على الحقيقة نستطيع ان نقدر الخطر الذي يمكن لهذه العناصر ان تولده وهي تجد فجأة فرصة لنشاط واسع في فراغ كبير مع خلو الساحة من رعاية القائد.

فلم تكن اذن خطورة الموقف بعد وفاة النبي شيئا يمكن ان يخفى على اي قائد ممارس

العمل العقائدي فضلا عن خاتم الانبياء. واذا كان ابو بكر لم يشأ أن يترك الساحة دون ان يتدخل تدخلاً ايجابياً في ضمان مستقبل الحكم بحجة الاحتياط للأمر واذا كان الناس قد هرعوا الى عمر حين ضرب قائلين يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا[1] خوفا من الفراغ الذي سوف يخلفه الخليفة بالرغم من التركيز الاساسي والاجتماعي الذي كانت الامة قد بلغته بعد عقد من وفاة الرسولﷺ واذا كان عمر قد أوصي الى ستة تجاوبا مع شعور الاخرين بالخطر واذا كان عمر يدرك بعمق خطورة الموقف في يوم السقيفة وما كان بالإمكان أن تؤدي اليه خلافة ابي بكر بشكلها المرتجل من مضاعفات اذ يقول ان بيعة أبي بكر كانت فلتة غير أن الله وقى شرها[2].

واذا كان أبو بكر نفسه يعتذر عن تسرعه الى قبول الحكم وتحمل المسؤوليات الكبيرة بأنه شعر بخطورة الموقف وضرورة الاقدام السريع على حل ما اذ يقول وقد عوتب على قبول السلطة ان رسول اللهﷺ قبض والناس حديثو عهد بالجاهلية فخشيت أن يفتتنوا وأن أصحابي حملونيها[3].

اذا كان ذلك صحيحا فمن البديهي اذن ان يكون رائد الدعوة ونبيها أكثر شعورا بخطر السلبية واكبر ادراكا واعمق فهما لطبيعة الموقف ومتطلبات العمل التغييري الذي يمارسه في أمة حديثة عهد بالجاهلية على حد تعبير أبي بكر.

والامر الثاني

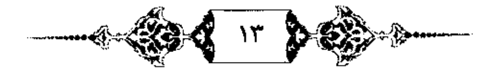
الذي يمكن أن يفسر سلبية القائد تجاه مستقبل الدعوة ومصيرها بعد وفاته أنه بالرغم من شعوره بخطر هذه السلبية لا يحاول تحصين الدعوة ضد ذلك الخطر لأنه ينظر الى

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٤.

(٢) تاريخ الطبري:ج٣ص٢٠٠ .

(٣) شرح النهج لابن ابي الحديد:ج٦ ص٤٢.



الدعوة نظرة مصلحية فلا يهمه الا أن يحافظ عليها ما دام حيا ليستفيد منها ويستمتع بمكاسبها ولا يعني بحماية مستقبلها بعد وفاته.

وهذا التفسير لا يمكن ان يصدق على النبي ﷺ حتى اذا لم نلاحظه بوصفه نبيا ومرتبطا بالله سبحانه وتعالى في كل ما يرتبط بالرسالة وافترضناه قائدا رساليا كقادة الرسالات الاخرى لان تاريخ القادة الرساليين لا يملك نظيرا للقائد الرسول في اخلاصه لدعوته وتفانيه فيها وتضحيته من أجلها الى آخر لحظة من حياته وكل تأريخه يبرهن على ذلك وقد كان صلى الله عليه وآله على فراش الموت وقد ثقل مرضه وهو يحمل هم معركة كان قد خطط لها وجهز جيش اسامة لخوضها فكان يقول جهزوا جيش اسامة انفذوا جيش اسامة ارسلوا بعث اسامة يكرر ذلك[1] ويغمى عليه بين الحين والحين. فاذا كان اهتمام الرسول ﷺ بقضية من قضايا الدعوة العسكرية يبلغ الى هذه الدرجة وهو يجود بنفسه على فراش الموت ولا يمنعه علمه بأنه سيموت قبل ان يقطف ثمار تلك المعركة عن تبنيه لها وان تكون همه الشاغل وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة فكيف يمكن أن نتصور ان النبي لا يعيش هموم مستقبل الدعوة ولا يخطط لسلامتها بعد وفاته من الاخطار المرتقبة.

وأخيرا فأن في سلوك الرسول ﷺ في مرضه الاخير رقماً واحداً يكفي لنفي **الطريق الاول** وللتدليل على ان القائد الاعظم كان أبعد ما يكون عن فرضية الموقف السلبي تجاه مستقبل الدعوة لعدم الشعور بالخطر او لعدم الاهتمام بشأنه وهذا الرقم اجمعت صحاح المسلمين جميعا سنّة وشيعة على نقله وهو ان الرسول لما حضرته الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال ﷺ ائتوني بالكتف والدواة اكتب لكم لن تضلوا بعده ابدا[2].

---

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير وغيره.

(٢) مسند احمد: ج١ ص ٣٥٥ وصحيح مسلم: ج٢ في اخر الوصايا وصحيح البخاري الجزء الاول كتاب العلم.

فأن هذه المحاولة من القائد الكريم المتفق على نقلها وصحتها تدل بكل وضوح على أنه كان يفكر في أخطار المستقبل ويدرك بعمق ضرورة التخطيط لتحصين الامة من الانحراف وحماية الدعوة من التميع والانهيار فليس من الممكن افتراض الموقف السلبي بحال من الاحوال.

الطريق الثاني:

أن يخطط الرسول القائد لمستقبل الدعوة بعد وفاته ويتخذ موقفا ايجابيا فيجعل القيمومة على الدعوة وقيادة التجربة للامة ممثلة على أساس نظام الشورى في جيلها العقائدي الاول الذي يضم مجموع المهاجرين والانصار فهذا الجيل الممثل للامة هو الذي سيكون قاعدة للحكم ومحوراً لقيادة الدعوة في خط نموها.

وهنا أيضا نلاحظ أن طبيعة الاشياء والوضع العام الثابت عن الرسول والدعوة والدعاة يرفض هذه الفرضية وينفي ان يكون النبي قد انتهج هذا الطريق واتجه الى ربط قيادة الدعوة بعده مباشرة بالأمة ممثلة في جيلها الطليعي من المهاجرين والانصار على أساس نظام الشورى.

وفيما يلي بعض النقاط التي توضح ذلك:

١. لو كان النبي ﷺ قد اتخذ من مستقبل الدعوة بعده موقفاً ايجابيا يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشرة واسناد زعامة الدعوة الى القيادة التي تنبثق عن هذا النظام لكان من أبده الاشياء التي يتطلبها هذا الموقف الايجابي أن يقوم الرسول القائد بعملية توعية للامة والدعاة على نظام الشورى وحدوده وتفاصيله واعطائه طابعاً دينياً مقدسا واعداد المجتمع الاسلامي اعدادا فكريا وروحيا لتقبل هذا النظام وهو مجتمع نشأ من مجموعة من العشائر لم تكن قد عاشت قبل الاسلام وضعا سياسيا على اساس الشورى وانما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبلية

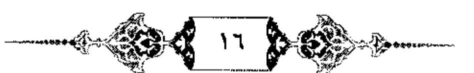
وعشائرية تتحكم فيها القوة والثروة وعامل الوراثة الى حد كبير.

ونستطيع بسهولة أن ندرك أن النبيﷺ لم يمارس عملية التوعية على نظام الشورى وتفاصيله التشريعية أو مفاهيمه الفكرية لان هذه العملية لو كانت قد انجزت لكان من الطبيعي أن تنعكس وتتجسد في الاحاديث المأثورة عن النبيﷺ وفي ذهنية الامة أو على اقل تقدير في ذهنية الجيل الطليعي منها الذي يضم المهاجرين والانصار بوصفه وهو المكلف بتطبيق نظام الشورى، مع اننا لا نجد في الاحاديث المأثورة عن النبيﷺ أي صورة تشريعية محددة لنظام الشورى. واما ذهنية الامة أو ذهنية الجيل الطليعي منها فلا نجد فيها أي ملامح أو انعكاسات محددة لتوعية من ذلك القبيل.

ونلاحظ بهذا الصدد للتأكد من ذلك أن أبا بكر حينما اشتدت به العلة عهد الى عمر بن الخطاب فأمر عثمان أن يكتب عهده وكتب (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله الى المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فأني أحمد اليكم الله أما بعد فاني قد أستعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا واطيعوا) ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف فقال كيف أصبحت يا خليفة رسول الله فقال أصبحت موليا وقد زدتموني على ما بي اذ رأيتموني استعملت رجلا منكم فكلكم قد أصبح ورما أنفه وكل يطلبها لنفسه[1].

وواضح من هذا الأستخلاف وهذا الاستنكار للمعارضة ان الخليفة لم يكن يفكر بعقلية نظام الشورى وانه كان يرى من حقه تعيين الخليفة وان هذا التعيين يفرض على المسلمين الطاعة ولهذا أمرهم بالسماع والطاعة فليس هو مجرد ترشيح أو تنبيه بل هو الزام ونصب. ونلاحظ أيضا أن عمر رأى هو الآخر أيضا أن من حقه فرض الخليفة على المسلمين ففرضه في نطاق ستة اشخاص وأوكل أمر التعيين الى الستة أنفسهم دون أن يجعل لسائر المسلمين اي دور حقيقي في الانتخاب، وهذا يعني أيضا أن عقلية نظام الشورى لم تتمثل في طريقة الأستخلاف التي انتهجها عمر كما لم تتمثل من قبل في الطريقة

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢ص١٢٦-١٢٧.



التي سلكها الخليفة الاول.

وقد قال عمر حين طلب منه الناس الاستخلاف (لو أدركني احد رجلين فجعلت هذا الامر اليه لوثقت به سالم مولى ابي حذيفة وابي عبيدة الجراح ولو كان سالم حيا ما جعلتها شورى[١].

وقال ابو بكر لعبد الرحمن بن عوف وهو يناجيه على فراش الموت وددت أني كنت سألت رسول الله لمن هذا الامر فلا ينازعه احد[٢].

وحينما تجمع الانصار في السقيفة لتأمير سعد بن عبادة قال منهم قائل ان أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون ونحن عشيرته وأوليائه فقالت طائفة منهم اذا نقول منا أمير ومنكم أمير لن نرضى بدون هذا منهم ابداً.

وحينما خطب أبو بكر فيهم قال كنا معاشر المسلمين المهاجرين أول الناس اسلاما والناس لنا في ذلك تبع ونحن عشيرة رسول الله واوسط العرب أنسابا. وحينما اقترح الانصار أن تكون الخلافة دورية بين المهاجرين والانصار رد أبو بكر قائلا ان رسول الله لما بعث عظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخالفوه وشاقوه وخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه... فهم أول من عبد الله في الارض وهم اولياؤه وعترته واحق الناس بالأمر بعده لا ينازعهم فيه الا ظالم. وقال الحباب بن المنذر وهو يشجع الانصار على التماسك املكوا عليكم أيديكم انما الناس في فيئكم وظلكم فأن أبى هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير. ورد عليه عمر قائلا، هيهات لا يجتمع سيفان في غمد... من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه ونحن اولياؤه وعشيرته الا مدل بباطل او متجانف لإثم أو متورط في هلكة[٣].

(١) طبقات ابن سعد: ج٣ص٢٤٨.

(٢) تاريخ الطبري:ج٤ص٥٢.

(٣) راجع في نصوص يوم السقيفة شرح النهج:ج٦ص٦-٩.



ان الطريقة التي مارسها الخليفة الاول والخليفة الثاني للأستخلاف وعدم استنكار المسلمين لتلك الطريقة والروح العامة التي سادت على منطق الجناحين المتنافسين من الجيل الطليعي المهاجرين والانصار يوم السقيفة والاتجاه الواضح الذي بدأ لدى المهاجرين نحو تقرير مبدأ انحصار السلطة بهم وعدم مشاركة الانصار في الحكم والتأكيد على المبررات الوراثية التي تجعل من عشيرة النبي اولى العرب بميراثه واستعداد كثير من الانصار لقبل فكرة أميرين أحدهما من الانصار والآخر من المهاجرين واعلان أبي بكر الذي فاز بالخلافة في ذلك اليوم عن أسفه لعدم السؤال من النبي عن صاحب الامر بعده، كل ذلك يوضح بدرجة لا تقبل الشك ان هذا الجيل الطليعي من الامة الاسلامية بما فيه القطاع الذي تسلم الحكم بعد وفاة النبي لم يكن يفكر بذهنية الشورى ولم يكن يملك فكرة محددة عن هذا النظام فكيف يمكن أن نتصور أن النبي مارس عملية توعية على نظام الشورى تشريعيا وفكريا واعد جيل المهاجرين والانصار لتسلم قيادة الدعوة بعده على اساس هذا النظام ثم لا نجد لدى هذا الجيل تطبيقا واعيا لهذا النظام أو مفهوما محددا عنه كما اننا لا يمكن أن نتصور من ناحية أخرى ان الرسول القائد يضع هذا النظام ويحدده تشريعيا ومفهوميا ثم لا يقوم بتوعية المسلمين عليه وتثقيفهم به.

٢. ان النبي لو كان قد قرر أن يجعل من الجيل الاسلامي الرائد الذي يضم المهاجرين والانصار من صحابته قيما على الدعوة بعده ومسؤولا عن مواصلة عملية التغيير فهذا يحتم على الرسول القائدﷺ ان يعبئ هذا الجيل تعبئة رسالية وفكرية واسعة يستطيع أن يمسك بالنظرية بعمق ويمارس التطبيق على ضوئها بوعي ويضع للمشاكل التي تواجهها الدعوة باستمرار حلولها النابعة من الرسالة خصوصا اذا لاحظنا ان النبيﷺ كان وهو الذي بشر بسقوط كسرى وقيصر يعلم بأن الدعوة مقبلة على فتوح عظيمة وان الامة الاسلامية سوف تضم اليها في غد قريب شعوبا جديدة ومساحة كبيرة وتواجه مسؤولية توعية الشعوب على الاسلام وتحصين الامة من أخطار هذا الانفتاح وتطبيق أحكام الشريعة على الارض المفتوحة واهل الارض،

وبالرغم من أن الجيل الرائد من المسلمين كان أنظف الاجيال التي توارثت الدعوة واكثرها استعدادا للتضحية لا نجد فيه ملامح ذلك الاعداد الخاص للقيمومة على الدعوة والتثقيف الواسع العميق على مفاهيمها والارقام التي تبرر هذا النفي كثيرة لا يمكن استيعابها في هذا المجال.

ويمكننا بهذا الصدد أن نلاحظ أن مجموع ما نقله الصحابة من نصوص عن النبيﷺ في مجال التشريع لا يتجاوز بضع مئات من الاحاديث بينما كان عدد الصحابة يناهز اثني عشر ألفا على ما أحصته كتب التاريخ وكان النبيﷺ يعيش مع آلاف من هؤلاء في بلد واحد وفي مجلس واحد صباحاً ومساءا فهل يمكن أن نجد في هذه الارقام ملامح الاعداد الخاص. والمعروف عن الصحابة أنهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبي بالسؤال حتى أن أحدهم كان ينتظر فرصة مجيء اعرابي من خارج المدينة يسأل ليسمع الجواب، وكانوا يرون ان من الترف الذي يجب الترفع عنه السؤال عن حكم قضايا لم تقع بعد ومن أجل ذلك قال عمر على المنبر احرج بالله على رجل سأل عما لم يكن فأن الله قد بين ما هو كائن[1]. وقال لا يحل لاحد ان يسال عما لم يكن ان الله قد قضى فيما هو كائن. وجاء رجل يوما الى ابن عمر يسأله عن شيء فقال له ابن عمر لا تسأل عما لم يكن فأني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن[2].

وسأل رجل أبي بن كعب عن مسألة قال يا بني أكان الذي سألتني عنه قال لا قال أما فأجلني حتى يكون[3].

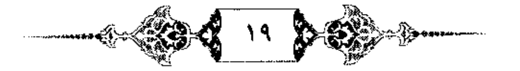
وقرأ عمر يوما القرآن فانتهى الى قوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقصبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا) فقال كل هذا عرفناه فما الاب.

---

(١) سنن الدارمي: ج١ ص٥٠.

(٢) سنن الدارمي: ج١ ص٥٦.

(٣) مستدرك الحاكم: ج٢ ص٥١٤.



ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك ان لا تدري ما الاب اتبعوا ما بين لكم هذه من الكتاب فأعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه الى ربه.

وهكذا نلاحظ اتجاها لدى الصحابة الى العزوف عن السؤال الا في حدود المشاكل المحددة الواقعة وهذا الاتجاه هو الذي أدى الى ضآلة عدد النصوص التشريعية التي نقلوها عن الرسول وهو الذي أدى بعد ذلك الى الاحتياج الى مصادر اخرى غير الكتاب والسنة كالاستحسان والقياس وغيرها من ألوان الاجتهاد التي يتمثل فيها العنصر الذاتي للمجتهد بالأمر الذي أدى الى تسرب شخصية الانسان بذوقه وتصوراته الخاصة الى التشريع.

وهذا الاتجاه أبعد ما يكون عن عملية الاعداد الرسالي الخاص التي كانت تتطلب تثقيفا واسعاً لذلك الجيل وتوعية له على حلول الشريعة للمشاكل التي سوف يواجهها عبر قيادته. وقد أثبتت الاحداث بعد وفاة النبيﷺ ان جيل المهاجرين والانصار لم يكن يملك أي تعليمات محددة عن كثير من المشاكل الكبيرة التي كان من المفروض أن تواجهها الدعوة بعد النبي حتى ان المساحة الهائلة من الارض التي امتد اليها الفتح الاسلامي لم يكن لدى الخليفة والوسط الذي يسنده اي تصور محدد عن حكمها الشرعي وعما اذا كانت تقسم بين المقاتلين أو تجعل وقفا على المسلمين عموما فهل يمكننا أن نتصور أن النبي يؤكد للمسلمين انهم سوف يفتحون ارض كسرى وقيصر ويجعل من جيل المهاجرين والانصار القيم على الدعوة والمسؤول عن هذا الفتح ثم لا يخبره بالحكم الشرعي الذي يجب ان يطبقه على تلك المساحة الهائلة من الدنيا التي سوف يمتد اليها الاسلام.

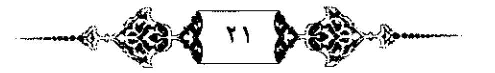
بل اننا نلاحظ اكثر من ذلك ان الجيل المعاصر للرسولﷺ لم يكن يملك تصورات واضحة محددة حتى في مجال القضايا الدينية التي كان النبي يمارسها مئات المرات وعلى مرأى ومسمع من الصحابة ونذكر على سبيل المثال لذلك الصلاة على الميت فأنها عبادة

وكان النبي قد مارسها عادة مئات المرات واداها في مشهد عام من المشيعين والمصلين وبالرغم من ذلك يبدو ان الصحابة كانوا لا يجدون ضرورة لضبط صورة هذه العبادة ما دام النبي يؤديها وما داموا يتابعون فيها النبي فصلا بعد فصل، ولهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاة النبي في عدد التكبيرات في صلاة الميت فقد اخرج الطحاوي عن ابراهيم قال قبض رسول الله والناس مختلفون في التكبير على الجنازة لا تشاء ان تسمع رجلا يقول سمعت رسول اللهﷺ يكبر سبعا واخر يقول سمعت رسول الله يكبر خمسا واخر يقول سمعت رسول الله يكبر اربعا فاختلفوا في ذلك حتى قبض أبو بكر فلما ولي عمر ورأى اختلاف الناس في ذلك شق عليه جدا فأرسل الى رجال من اصحاب رسول الله فقال، انكم معاشر اصحاب رسول الله متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم ومتى تجتمعون على أمر يجتمع الناس عليه فانظروا أمرا تجتمعون عليه فكأنما أيقظهم فقالوا نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين الخ...[1].

وهكذا نجد ان الصحابة كانوا في حياة النبيﷺ يتكلمون غالبا على شخص النبي ولا يشعرون بضرورة الاستيعاب المباشر للأحكام والمفاهيم ما داموا في كنف النبي. وكل ما تقدم يدل على أن التوعية التي مارسها النبي على المستوى العام للمهاجرين والانصار لم تكن بالدرجة التي يتطلبها اعداد القيادة الواعية الفكرية والسياسية لمستقبل الدعوة وعملية التغيير وانما كانت توعية بالدرجة التي تبنى القاعدة الشعبية الواعية التي تلتف حول قيادة الدعوة في الحاضر والمستقبل.

واي افتراض يتجه الى القول بأن النبي كان يخطط لإسناد قيادة التجربة والقيمومة على الدعوة بعده مباشرة الى جيل المهاجرين والانصار يحتوى ضمنا اتهام اذكى وابصر قائد رسالي في تاريخ العمليات التغييرية بعدم القدرة على التمييز بين الوعي المطلوب على مستوى القاعدة الشعبية للدعوة والوعي المطلوب على مستوى قيادة الدعوة وامامتها

(١) عمدة القارئ: ج٤ ص١٢٩.



الفكرية والسياسية.

٣. ان الدعوة عملية تغيير ومنهج حياة جديد وهي تستهدف بناء امة من جديد واقتلاع كل جذور الجاهلية ورواسبها من وجودها والامة الاسلامية ككل لم تكن قد عاشت في ظل عملية التغيير هذه الا عقدا واحدا من الزمن على اكثر تقدير وهذا الزمن القصير لا يكفي عادة في منطق الرسالات العقائدية والدعوات التغييرية لارتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوة عشر سنوات فقط الى درجة من الوعي والموضوعية والتحرر من رواسب الماضي والاستيعاب لمعطيات الاطروحة الجديدة تؤهله للقيمومة على الرسالة وتحمل مسؤوليات الدعوة ومواصلة عملية التغيير بدون قائد بل ان منطق الرسالات العقائدية يفرض ان تمر الامة بوصاية عقائدية فترة اطول من الزمن تهيئها للارتفاع الى مستوى تلك القيمومة.

وليس هذا شيئا تستنتجه استنتاجا فحسب وانما يعبر أيضا عن الحقيقة التي برهنت عليها الاحداث بعد وفاة القائد الرسول وتجلت عبر نصف قرن أو أقل من خلال ممارسة جيل المهاجرين والانصار لإمامة الدعوة والقيمومة عليها اذ لم يمض على هذه القيمومة ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة والتجربة الاسلامية التي تولى جيل المهاجرين والانصار قيادتها تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التي وجهها اعداء الاسلام القدامى ولكن من داخل اطار التجربة الاسلامية لا من خارجها اذ استطاعوا ان يتسللوا الى مراكز النفوذ في التجربة بالتدريج ويستغفلوا القيادة غير الواعية ثم صادروا بكل وقاحة وعنف تلك القيادة واجبروا الامة وجيلها الطليعي الرائد على التنازل عن شخصيته وقيادته وتحولت الزعامة الى ملك موروث يستهتر بالكرامات ويقتل الابرياء ويبعثر الاموال ويعطل الحدود ويجمد الاحكام ويتلاعب بمقدرات الناس واصبح الفيء والسواد بستانا لقريش والخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بني امية.

فواقع التجربة بعد النبي وما تمخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الاستنتاج

المتقدم الذي يؤكد ان اسناد القيادة والامامة الفكرية والسياسية لجيل المهاجرين والانصار عقيب وفاة النبي مباشرة بأجراء مبكر وقبل وقته الطبيعي ولهذا ليس من المعقول أن يكون النبي قد اتخذ اجراء من هذا القبيل.

الطريق الثالث:

وهو الطريق الوحيد الذي بقي منسجما مع طبيعة الاشياء ومعقولا على ضوء ظروف الدعوة والدعاة وسلوك النبيﷺ وهو أن يقف النبيﷺ من مستقبل الدعوة بعد وفاته موقفا ايجابيا فيختار بأمر من الله سبحانه وتعالى شخصا يرشحه عمق وجوده في كيان الدعوة فيعده اعدادا رساليا وقياديا خاصا تتمثل فيه المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة وليواصل بعده بمساندة القاعدة الشعبية الواعية من المهاجرين والانصار قيادة الامة وبناءها عقائديا وتقريبها باستمرار نحو المستوى الذي يؤهلها لتحمل المسؤوليات القيادية.

وهكذا نجد أن هذا هو الطريق الوحيد الذي كان بالإمكان أن يضمن سلامة مستقبل الدعوة وصيانة التجربة من الانحراف في خط نموها وهكذا كان.

وليس ما تواتر عن النبي(ص) من النصوص التي تدل على أنه كان يمارس اعدادا رساليا وتثقيفيا عقائديا خاصا لبعض الدعاة على مستوى يهيئه للمرجعية الفكرية والسياسية وانهﷺ قد عهد اليه بمستقبل الدعوة وزعامة الامة من بعده فكريا وسياسيا ليس هذا الا تعبيرا عن سلوك القائد الرسولﷺ للطريق الثالث الذي كانت تفرضه وتدل عليه قبل ذلك طبيعة الاشياء كما عرفنا.

ولم يكن هذا الشخص الداعية المرشح للإعداد الرسالي القيادي والمنصوب لتسلم مستقبل الدعوة وتزعمها فكريا وسياسيا الا علي بن ابي طالب الذي رشحه لذلك عمق وجوده في كيان الدعوة وانه المسلم الاول بها والمجاهد الاول في سبيلها عبر كفاحها



المرير ضد كل أعدائها وعمق وجوده في حياة القائد الرسول وانه ربيبه الذي فتح عينيه في حجره ونشأ في كنفه وتهيأت له من فرص التفاعل معه والاندماج بخطه مالم يتوفر لأي انسان اخر.

والشواهد من حياة النبي والامام علي ان النبي كان يعد الامام اعدادا رساليا خاصاً كثيرة جداً

فقد كان النبي يخصه بكثير من مفاهيم الدعوة وحقائقها ويبدأه بالعطاء الفكري والتثقيف اذا استنفذ الامام اسئلته ويختلي به الساعات الطوال في الليل والنهار يفتح عينيه على مفاهيم الرسالة ومشاكل الطريق ومناهج العمل الى آخر يوم من حياته الشريفة.

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابي اسحاق سألت قثم ابن العباس كيف ورث علي رسول الله قال لأنه كان اولنا به لحوقا واشدنا به لزوقا.

وفي حلية الاولياء عن ابن عباس انه يقول كنا نتحدث ان النبي عهد الى علي سبعين عهدا لم يعهده الى غيره.

وروى النسائي في الخصائص عن الامام علي انه يقول كانت لي منزلة من رسول الله لم تكن لأحد من الخلائق كنت أدخل على نبي الله كل ليلة فأن كان يصلي سبح فدخلت وان لم يكن يصلي اذن لي فدخلت. وروى أيضا عن الامام قوله كان لي من النبي مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار.

وروى النسائي عن الامام ايضا ان كان يقول كنت اذا سألت رسول الله أعطيت واذا سكت ابتدأني ورواه الحاكم في المستدرك أيضا وقال صحيح على شرط الشيخين.

وروى النسائي عن أم سلمة انها كانت تقول والذي تحلف به أم سلمة ان أقرب الناس عهدا برسول الله علي قالت لما كانت غداة قبض رسول الله فارسل اليه رسول الله واظنه كان بعثه في حاجة فجعل يقول جاء على ثلاث مرات فجاء قبل طلوع الشمس

فلما أن جاء عرفنا أن له اليه حاجة فخرجنا من البيت وكنا عند رسول الله يومئذ في بيت عائشة وكنت في آخر من خرج من البيت ثم جلست وراء الباب فكنت ادناهم الى الباب فأكب عليه علي فكان آخر الناس به عهدا فجعل يساره ويناجيه.

وقال أمير المؤمنين في خطبته الناصعة الشهيرة وهو يصف ارتباطه الفريد بالرسول القائد وعناية النبي بإعداده وتربيته (وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا ولد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسي جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل... ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة).

ان هذه الشواهد وشواهد اخرى كثيرة تقدم لنا صورة عن ذلك الاعداد الرسالي الخاص الذي كان النبي يمارسه في سبيل توعية الامام علي على المستوى القيادي للدعوة. كما ان في حياة الامام علي بعد وفاة القائد الرسول ارقاما كثيرة جداً تكشف عن ذلك الاعداد العقائدي الخاص للإمام علي من قبل النبي بما تعكسه من اثار ذلك الاعداد الخاص ونتائجه فقد كان الامام هو المفزع والمرجع لحل أي مشكلة يستعصي حلها على القيادة الحاكمة وقتئذ ولا نعرف في تاريخ التجربة الاسلامية على عهد الخلفاء الاربعة واقعة واحدة رجع فيها الامام الى غيره لكي يتعرف على رأي الاسلام وطريقة علاجه للموقف بينما نعرف في التاريخ عشرات الوقائع التي أحست القيادة الاسلامية الحاكمة فيها بضرورة الرجوع الى الامام بالرغم من تحفظاتها في هذا الموضوع.

واذا كانت الشواهد كثيرة على أن النبي كان يعد الامام اعداداً خاصا لمواصلة قيادة الدعوة من بعده فالشواهد على اعلان الرسول القائد عن تخطيطه هذا واسناده زعامة

الدعوة الفكرية والسياسية رسميا الى الامام علي لا تقل عنها كثرة كما نلاحظ ذلك في حديث الدار وحديث الثقلين وحديث المنزلة وحديث الغدير وعشرات من النصوص النبوية الاخرى.

وهكذا وجد التشيع في اطار الدعوة الاسلامية متمثلا في هذه الاطروحة النبوية التي وضعها النبيﷺ بأمر من الله للحفاظ على مستقبل الدعوة. هكذا وجد التشيع لا كظاهرة طارئة على مسرح الاحداث بل كنتيجة ضرورية لطبيعة تكون الدعوة وحاجاتها وظروفها الاصلية التي كانت تفرض على الاسلام أن يلد التشيع وبمعنى آخر كانت تفرض على القائد الاول للتجربة أن يعد للتجربة قائدها الثاني الذي تواصل على يده ويد خلفائه نموها الثوري وتقترب نحو اكتمال هدفها التغييري في اجتثاث كل رواسب الماضي الجاهلي وجذوره وبناء أمة جديدة على مستوى متطلبات الدعوة ومسؤولياتها.

عرفنا الان كيف ولد التشيع وأما كيف ولد الشيعة ونشأ الانقسام على أساس ذلك في الامة الاسلامية فهذا ما سنجيب عليه الآن.

اننا اذا تتبعنا المرحلة الاولى من حياة الامة الاسلامية في عصر النبي نجد ان اتجاهين رئيسيين ومختلفين قد رافقا نشوء الامة وبداية التجربة الاسلامية منذ السنوات الاولى وكانا يعيشان معا داخل اطار الامة الوليدة التي انشأها الرسول القائد. وقد ادى هذا الاختلاف بين الاتجاهين الى انقسام عقائدي عقيب وفاة الرسول مباشرة شطر الامة الاسلامية الى شطرين قدر لاحدهما أن يحكم فأستطاع أن يمتد ويستوعب أكثرية المسلمين بينما أقصي الشطر الآخر عن الحكم وقدر له أن يمارس وجوده كأقلية معارضة ضمن الاطار الاسلامي العام وكانت هذه الاقلية هي الشيعة.

والاتجاهان الرئيسان اللذان رافقا نشوء الامة الاسلامية في حياة النبي منذ البدء هما:

أولاً- الاتجاه الذي يؤمن بالتعبد بالدين وتحكيمه والتسليم المطلق للنص الديني في كل

جوانب الحياة.

وثانياً- الاتجاه الذي لا يرى ان ايمانه بالدين يتطلب منه التعبد الا في نطاق خاص من العبادات والغيبيات ويؤمن بإمكانية الاجتهاد وجواز التصرف على أساسه بالتغيير والتعديل في النص الديني وفقا للمصالح في غير ذلك النطاق من مجالات الحياة.

وبالرغم من أن الصحابة بوصفهم الطليعة المؤمنة والمستنيرة كانوا أفضل وأصلح بذرة لنشوء أمة رسالية حتى ان تاريخ الانسان لم يشهد جيلاً عقائدياً أروع وأنبل وأطهر من الجيل الذي انشأ الرسول القائد بالرغم من ذلك نجد من الضروري التسليم بوجود اتجاه واسع منذ كان النبي حيا يميل الى تقديم الاجتهاد في تقدير المصلحة واستنتاجها من الظروف على التعبد بحرفية النص الديني كما كان هناك اتجاه آخر يؤمن بتحكيم الدين والتسليم له والتعبد بكل نصوصه في جميع جوانب الحياة.

وقد يكون من عوامل انتشار الاتجاه الاجتهادي في صفوف المسلمين أنه يتفق مع ميل الانسان بطبيعته الى التصرف وفقا لمصلحة يدركها ويقدرها بدلا عن التصرف وفقا لقرار لا يفهم مغزاه. وقد قدر لهذا الاتجاه ممثلون جريئون من كبار الصحابة من قبيل عمر بن الخطاب الذي ناقش الرسول واجتهد في مواضع عديدة خلافا للنص ايمانا منه بجواز ذلك مادام يرى انه لم يخطئ المصلحة في اجتهاده وبهذا الصدد يمكننا أن نلاحظ موقفه من صلح الحديبية واحتجاجه على هذا الصلح وموقفه من الاذان وتصرفه فيه بأسقاط حي على خير العمل وموقفه من النبي حين شرع متعة الحج الى غير ذلك من مواقفه الاجتهادية.

وقد انعكس كلا الاتجاهين في مجلس الرسولﷺ في آخر يوم من ايام حياته فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر ان النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من

يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم قوموا.

وهذه الواقعة وحدها كافية للتدليل على عمق الاتجاهين ومدى التناقض والصراع بينهما. ويمكن ان نضيف اليها لتصوير عمق الاتجاه الاجتهادي ورسوخه ما حصل من نزاع وخلاف بين الصحابة حول تأمير اسامة بن زيد على الجيش بالرغم من النص النبوي الصريح على ذلك حتى خرج الرسولﷺ وهو مريض فخطب الناس وقال، يا أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير اسامة ولئن طعنتم في تأميري اسامة لقد طعنتم في تأميري ابيه من قبله وأيم الله ان كان لخليقاً بالإمارة وان ابنه من بعده لخليق بها.

وهذان الاتجاهان اللذان بدأ الصراع بينهما في حياة النبيﷺ قد انعكسا على موقف المسلمين من اطروحة زعامة الامام للدعوة بعد النبي فالممثلون للاتجاه التعبدي وجدوا في النص النبوي على هذه الاطروحة سبباً ملزماً بقبولها دون توقف او تعديل. واما الاتجاه الاجتهادي فقد رأى ان بإمكانه ان يتحرر من الصيغة المطروحة من قبل النبي اذا ادى اجتهاده الى صيغة اخرى اكثر انسجاماً في تصوره مع الظروف.

وهكذا نرى ان الشيعة ولدوا منذ وفاة النبي مباشرة متمثلين في المسلمين الذين خضعوا عمليا لأطروحة زعامة الامام وقيادته التي فرض النبي الابتداء بتنفيذها من حين وفاته مباشرة. وقد تجسد الاتجاه الشيعي منذ اللحظة الاولى في انكار ما اتجهت اليه السقيفة من تجميد لأطروحة زعامة الامام علي واسناد السلطة الى غيره.

ذكر الطبرسي في الاحتجاج عن ابان بن تغلب قال قلت لجعفر بن محمد الصادق جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله انكر على أبي بكر فعله قال نعم كان الذي انكر عليه اثنا عشر رجلا. من المهاجرين خالد بن سعيد بن العاص وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وبريدة الاسلمي ومن الانصار ابو الهيثم بن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين

وابي بن كعب وابو ايوب الانصاري.

هذه خطوط عامة عن تفسير التشيع بوصفه ظاهرة طبيعية في اطار الدعوة الاسلامية وتفسير ظهور الشيعة كاستجابة لتلك الظاهرة الطبيعية وسوف أترك كثيرا من التفاصيل للأخ العزيز الفاضل الدكتور عبد الله الفياض في كتابه الجليل الذي أقدم له فقد وفق الى درجة كبيرة في دراسته للشيعة بروح موضوعية وبمنهج علمي رصين واستطاع في هذه الدراسة الثمينة أن يرد على كثير من الاقاويل والاراجيف التي تترد حول تفسير ظهور التشيع والشيعة ويثبت بالأرقام ولادة نظيفة للتشيع وبصورة بعيدة عن كل ما يربطه به اعداؤه من عوامل الدس والتخريب ويحتوي الكتاب على استعراض جيد للاتجاهات المتعددة التي ظهرت داخل الاطار الشيعي وتحديد للملامح العامة لكل واحد من تلك الاتجاهات وبالرغم من اني اختلف مع الاستاذ الفياض في مواضيع عديدة من كتابه فأن هذا لا يمنعني عن الشعور بالقيمة العلمية لهذا الكتاب والتفاؤل بتناول أمثال الفياض من كتابنا المحدثين لتأريخنا الاسلامي بالبحث والتحقيق بروح موضوعية غير متأثرة لا بعوامل الدس والتحريف الداخلية في تأريخنا ولا بمشاعر الحقد والكراهية التي يعبر عنها كثير من المستشرقين في دراستهم لتأريخنا وحضارتنا الاسلامية. وأود أن أشير قبل ختام الحديث الى نقطة اعتبر توضيحها على درجة كبيرة من الاهمية وهي ان الاستاذ الفياض يحاول التمييز بين نحوين من التشيع احدهما التشيع الروحي والآخر التشيع السياسي. ويعتقد أن التشيع الروحي اقدم عهدا من التشيع السياسي وان ائمة الشيعة الامامية من أبناء الحسين قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسية وانصرفوا الى الارشاد والعبادة والانقطاع الى الدنيا.

والحقيقة ان التشيع لم يكن في يوم من الايام منذ ولادته مجرد اتجاه روحي بحت وانما ولد التشيع في أحضان الاسلام بوصفه اطروحة مواصلة الامام علي لقيادة النبي الفكرية وقيادته السياسية للدعوة على السواء كما أوضحنا سابقا عند استعراض الظروف التي

أدت الى ولادة التشيع ولم يكن بالإمكان بحكم هذه الظروف التي استعرضناها أن يفصل الجانب الروحي عن الجانب السياسي في اطروحة التشيع تبعاً لعدم انفصال أحدهما عن الآخر في الاسلام نفسه.

فالتشيع اذن لا يمكن ان يتجزأ الا اذا فقد معناه كأطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد النبي وهو مستقبل بحاجة الى المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة الاسلامية معا. وقد كان هناك ولاء واسع النطاق للإمام علي في صفوف المسلمين باعتباره الشخص الجدير بمواصلة دور الخلفاء الثلاثة في الحكم وهذا الولاء هو الذي جاء به الى السلطة عقيب مقتل عثمان ولكن هذا الولاء ليس تشيعا روحيا ولا سياسيا وان نما التشيع الروحي والسياسي داخل اطاره فلا يمكن ان نعتبره مثالا على التشيع المجزأ كما ان الامام كان يتمتع بولاء روحي وفكري من عدد من كبار الصحابة في عهد أبي بكر وعمر من قبيل سلمان وابي ذر وعمار وغيرهم ولكن هذا لا يعني أيضا تشيعا روحيا منفصلا عن الجانب السياسي بل أنه تعبير عن ايمان اولئك الصحابة بقيادة الامام علي للدعوة بعد وفاة النبي فكرياً وسياسياً وقد انعكس ايمانهم بالجانب الفكري من هذه القيادة بالولاء الروحي المتقدم وانعكس ايمانهم بالجانب السياسي منها بمعارضتهم لخلافة ابي بكر وللاتجاه الذي أدى الى صرف السلطة عن الامام الى غيره.

ولم تنشأ في الواقع النظرة التجزيئية الى التشيع الروحي بصورة منفصلة عن التشيع السياسي ولم تولد في ذهن الانسان الشيعي الا بعد أن استسلم للواقع وانطفأت جذوة التشيع في نفسه كصيغة محددة لمواصلة القيادة الاسلامية في بناء الامة وانجاز عملية التغيير الكبيرة التي بدأها الرسول الكبير وتحولت الى مجرد عقيدة يطوى الانسان عليها قلبه ويستمد منها سلوته وأمله.

وهنا نصل الى ما يقال من أن أئمة اهل البيت من ابناء الحسين اعتزلوا السياسة وانقطوا عن الدنيا فنلاحظ أن التشيع بعد أن فهمناه كصيغة لمواصلة القيادة الاسلامية والقيادة

الاسلامية لا تعني الا ممارسة عملية التغيير التي بدأها الرسول الكريم لتكميل بناء الامة على اساس الإسلام فليس من الممكن أن نتصور تنازل الأئمة عن الجانب السياسي الا اذا تنازلوا عن التشيع.

غير أن الذي ساعد على تصور اعتزال الائمة وتخليهم عن الجانب السياسي من قيادتهم ما بدا من عدم اقدامهم على عمل مسلح ضد الوضع الحاكم مع اعطاء الجانب السياسي من القيادة معنى ضيقا لا ينطبق الا على عمل مسلح من هذا القبيل. ولدينا نصوص عديدة عن الائمة عليهم السلام توضح ان امام الوقت دائما كان مستعدا لخوض عمل مسلح اذا وجدت لديه القناعة بوجود الانصار والقدرة على تحقيق الاهداف الاسلامية من وراء ذلك العمل المسلح.

ونحن اذا تتبعنا سير الحركة الشيعية نلاحظ أن القيادة الشيعية المتمثلة في أئمة أهل البيت كانت تؤمن بأن تسلم السلطة وحده لا يكفي ولا يمكن من تحقيق عملية التغيير اسلاميا مالم تكن هذه السلطة مدعمة بقواعد شعبية واعية تعي أهداف تلك السلطة وتؤمن بنظريتها في الحكم وتعمل في سبيل حمايتها وتفسير مواقفها للجماهير وتصمد في وجه الاعاصير.

وفي نصف القرن الاول بعد وفاة النبي كانت القيادة الشيعية بعد اقصائها عن الحكم تحاول وباستمرار استرجاع الحكم بالطرق التي تؤمن بها لأنها كانت تؤمن بوجود قواعد شعبية واعية أو في طريق التوعية من المهاجرين والانصار والتابعين بإحسان ولكن بعد نصف قرن وبعد أن لم تبق من هذه القواعد الشعبية شيء مذكور ونشأت أجيال مائعة في ظل الانحراف لم يعد تسلم الحركة الشيعية للسلطة محققا للهدف الكبير لعدم وجود القواعد الشعبية المساندة بوعي وتضحية وامام هذا الواقع كان لابد من عملين أحدهما العمل من أجل بناء هذه القواعد الشعبية الواعية التي تهيء أرضية صالحة لتسلم السلطة والآخر تحريك ضمير الامة الاسلامية وارادتها والاحتفاظ للضمير الاسلامي والارادة



الاسلامية بدرجة من الحياة والصلابة تحصن الأمة ضد التنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحرفين.

والعمل الاول هو الذي مارسه الائمة بأنفسهم والعمل الثاني هو الذي مارسه ثائرون علوين كانوا يحاولون بتضحياتهم اليائسة أن يحافظوا على الضمير الاسلامي والارادة الاسلامية وكان الائمة يسندون المخلصين منهم.

قال الامام علي بن موسى الرضا للمأمون وهو يحدثه عن زيد بن علي الشهيد انه كان من علماء آل محمد غضب الله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر انه سمع أباه جعفر بن محمد يقول رحم الله عمي زيداً إنه دعا الى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى لله من ذلك انه قال ادعوكم الى الرضا من آل محمد[١].

وفي رواية انه ذكر بين يدي الامام الصادق من خرج من آل محمد فقال لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد ولوددت أن الخارجي من آل محمد خرج وعليّ نفقة عياله[٢]. فترك الائمة اذن لممارسة العمل المسلح بصورة مباشرة ضد الحكام المنحرفين لم يكن يعني تخليهم عن الجانب السياسي من قيادتهم وانصرافهم الى العبادة وانما كان يعبر عن اختلاف صيغة العمل السياسي التي تحددها الظروف الموضوعية وعن ادراك معمق لطبيعة العمل التغييري واسلوب تحقيقه.

النجف الاشرف

محمد باقر الصدر

(١) الوسائل، كتاب الجهاد.

(٢) السرائر لابن ادريس.



مقدمة

يتناول الكتاب الذي اقدمه للقارئ تاريخ طائفة من الشيعة كانوا الرواد الاول للتشيع وواضعي بذرته في عهد الرسول ﷺ، كما كانوا أشهر بناة الفكر الشيعي، وما زال هؤلاء يكونون العمود الفقري للشيعة. وكان اولئك الشيعة يتمسكون بالنص أو التعيين، ويقولون بمضمون وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام بالخلافة والإمامة. وبقيت تلك الجماعة تسير على المنهاج الاول، وتتمسك بالوصية بعد أن تفرقت بالشيعة السبل وتقطعت بينهم الاسباب،و انفصلت عنهم مع الزمن مجموعة الفرق غير الاسلامية وهم الغلاة أمثال الكيسانية والهاشمية والمغيرية وغيرها، ثم انبثقت عنهم الفرق الشيعية الاخرى كالزيدية والاسماعيلية وفروعها.

واستمر الشيعة الذين قالوا بالنص والتعيين على تبني سلسلة من الائمة عرفوا فيما بعد بالأئمة الاثني عشر المعصومين أولهم علي بن ابي طالب عليه السلام وآخرهم الامام الحجة الغائب عجل الله فرجه. وكون الشيعة القائلون بالنص، والذين جريت على تسميتهم في هذا الكتاب بأسلاف الامامية، فرقة شيعية في القرن الثاني للهجرة اطلقت عليها حينذاك اسماء مختلفة: منها (الترابية) نسبة الى أبي تراب كنية علي بن ابي طالب عليه السلام ومنها (الجعفرية) ومنها (الرافضة) أحيانا.

وبعد أن حصلت الغيبة بعد منتصف القرن الثالث للهجرة بقليل، سميت الفرقة الشيعية المذكورة بـ (الامامية) أو الأثني عشرية.

ويترتب على ذلك ان الامامية هم الشيعة القائلون بالنص والتعيين والذين يعتقدون بأثني عشر اماما، تسعة منهم من ولد الحسين عليه السلام اولهم علي بن ابي طالب عليه السلام وآخرهم الامام الغائب الحجة عجل الله فرجه.

ويقع كتابي هذا بأربعة فصول. تناولت في الفصل الاول منه التشيع والشيعة قبل



ظهور فرقة الامامية، كما تطرقت في الفصل الثاني الى ظهور فرقة الامامية ورسوخها بعد غيبة المهدي ﷺ. وخصصت الفصل الثالث منه للبحث عن الغلو والغلاة وموقف الشيعة الامامية منها. أما الفصل الرابع فقد تناولت فيه العقائد الاساسية للشيعة الامامية.

أما المصادر التي اعتمدتها في اعداد هذا الكتاب فكانت متنوعة. ويمكن تقسيمها الى:

أ. كتب الفرق.

ب. كتب الحديث.

ج. كتب التأريخ.

وكانت كتب الفرق أكثر الاصناف المذكورة اهمية واكبرها فائدة، لاختصاصها في موضوع الكتاب أولا، ولان المعلومات المستقاة منها تعبر على الاكثر عن الواقع، أي عما كان، اكثر من كتب الحديث التي تعبر، في الغالب، عما يجب أن يكون ثانيا. وقد اشرت الى بعض الحالات التي ظهر فيها ما ذهبت اليه بهذا الخصوص في مواضعة من هذا الكتاب.

ويبدو ان تأريخية كثير من المعلومات التي تضمنتها كتب الحديث موضع نظر، لذا وجب على المؤرخ عند استعماله لتلك الكتب، ان ينتبه الى تلك الناحية ويشير اليها عند الضرورة. أما كتب التأريخ فأن دورها، بحكم طبيعة هذا الكتاب، ثانوي. وبالرغم من ذلك فأن المعلومات التي استقيتها منها كانت ذات فائدة كبيرة.

أما المراجع الحديثة التي استعنت بها فهي كثيرة. وكانت كتب الدكتور كامل الشيبي حول الشيعة والتصوف اكثرها نفعاً واوثقها صلة بالبحث العلمي.

وبعدما قدمت أود أن أشير الى أن الموضوع الذي عالجته في هذا الكتاب كان بالغ الصعوبة ويترتب على ذلك انني لا ادعي ايفاء الموضوع حقه من البحث والاستقصاء.

وكل ما قدمته بهذا الخصوص كان محاولة اولى، أرجو أن تكون فاتحة لغيرها من البحوث النافعة.

وان صعب عليّ حل معضلة أو أكثر، لجهل أو خطأ، أرجو أن ينبهني القارئ الكريم الى ذلك وله من الله القدير أحسن الجزاء ومني أعظم الشكر والامتنان.

وحاولت جهد الطاقة، أن أكون موضوعيا ضمن الاطار الذي يتطلبه موضوع له صلة وثقى بالعقيدة كموضوعي. واترك للقارئ الحرية في قبول أو تقويم او رفض الاطار الذي تصورته لموضوعية بحثي. كما أرجو ممن يخالفني من القراء، أن يتذكر، قبل اصدار حكمه على بحثي هذا انني أقدم له موضوعا تصارعت في جنباته حقائق التاريخ مع نزوات الكتاب المنبعثة عن التعصب على الشيعة غالبا أو لهم أحيانا. ولا غرابة في ذلك لان الشيعة، كما هو معروف رفعوا علم المعارضة لما اعتقدوا بأنه انحراف عن الصواب، ولما كان من شأنه التمييز بين مسلم وآخر، في اغلب فترات تأريخهم. ونتيجة لذلك صب الحكام، الا ما ندر منهم، جام غضبهم على الشيعة فأعلموا السيف في رقابهم، وأورثوا الخراب في مؤسساتهم، وأشاعوا التشويه في عقائدهم.

وقبل أن اختم أتوجه بالشكر الجزيل الى حضرات الاساتذة الافاضل الذين ساعدوني أثناء اعدادي لهذا البحث وعلى رأسهم الدكتور قسطنطين زريق أحد اساتذة دائرة التاريخ بالجامعة الامريكية ببيروت الذي قرأ مسودته الاولى، عندما وضعت خطوطها العامة قبل سنوات. وقد أبدى ملاحظات وآراء نافعة كان لها أثر كبير في توجيهي عند استئناف البحث في الكتاب واكماله ووضعه بشكله الحالي بعد تتبع للمصادر استغرق من وقتي أكثر من سنتين.

وأعتقد ان الصورة التي وضعتها للشيعة ولإنتاجهم الفكري في القرون الاسلامية الخمس الاولى ستتم عندما أوفق لنشر كتابي الجديد الموسوم بـ (تاريخ التربية عند الامامية

بين عصري الامام الصادق والشيخ الطوسي، وهو اطروحتي للدكتوراه).

ومن الوفاء أن أتقدم بشكري للعلامة الجليل السيد محمد باقر الصدر الذي تفضل بكتابة مقدمة لكتابي هذا بسط فيها آراءه القيمة عن الشيعة والتشيع واشار سماحته الى أنه يختلف معي في بعض الآراء التي وردت في الكتاب.

وكم كان سروري كبيرا حين وجدت من يختلفون معي حول بعض آرائي التي ضمنتها هذا الكتاب لان الاختلاف البناء، وهو ما ظهر في مقدمة المفكر الجليل السيد الصدر، طريق من طرق الوصول الى الحقيقة الذي هو هدف الباحثين في كل عصر ومكان والله من وراء القصد.

عبد الله الفياض

بغداد في ٨ شباط ١٩٧٠

الفصل الاول:

التشيع والشيعة قبل ظهور فرقة الامامية

الشيعة، في اللغة، الانصار والاتباع[1]. أما في الاصلاح، فأن الكلمة المذكورة تطلق على كل من يتولى عليا واهل بيته عليهم السلام. قال الفيروزابادي (وشيعة الرجل، بالكسر، اتباعه وانصاره، والفرقة على حدة، ويقع على الواحد، والاثنين، والجمع والمذكر، والمؤنث. وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا واهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا)[2].

وربما كانت الرواية المنسوبة لابي مخنف اقدم الروايات التي تضمنت كلمة (شيعة) بمعناها الدال على اتباع علي واهل بيته ونصرتهم. وجاء في الرواية المذكورة ان الحسن ابن علي عليه السلام قال لأهل الكوفة انتم شيعتنا[3] وورد المعنى نفسه في روايتي المنقري والمسعودي التاليتين:

فالمنقري يقول ان الامام علياً قال: ان اتباع طلحة والزبير في البصرة (قتلوا

(١) وردت كلمة (شيعة) بمعنى الانصار والاتباع، دون التخصيص بعلي وولده عليهم السلام، في طائفة من النصوص. روى الطبري (٤-٤١٠) ان حسان بن مالك في محادثة مع زميل له قال (وانا اشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حي حقا يومئذ انه اليوم وشيعته على حق، وان كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل انه اليوم على باطل وشيعته...) وروى المسعودي (التنبيه والاشراف ٣٣٠) ان ولدي مروان، اخر خلفاء بني امية، هربا(فيمن تبعهما من اهلهما ومواليهما... ومن انحاز اليهم من اهل خراسان من شيعة بني امية).. قال الشيخ الطوسي (تلخيص الشافي،٣-٩٩) (وعثمان نفسه مع شيعته واقاربه...).
ونفيد من النصوص السابقة ان كلمة (شيعة) في كل منها، استعملت بمعنى الانصار والاتباع وهو المعنى اللغوي للكلمة المذكورة.

(٢) القاموس المحيط ، (مادة) شاع.

(٣) ابو مخنف، لوط بن يحيى (المنسوب) مقتل الامام ابي عبد الله الحسين (النجف، ١٩٦٠)ص١.



شيعتي وعمالي...)[١].

وروى المسعودي ان الامام علياً أقام ومن معه من شيعته في منزله بعد أن تمت البيعة لابي بكر[٢].

ونورد بعدما سيق تعريف الشيعة. قال ابو الحسن الاشعري (وانما قيل لهم الشيعة لانهم شايعوا عليا (ر) ويقدمونه على سائر اصحاب رسول الله ﷺ[٣].

اما الشهرستاني فيعرف الشيعة بقوله (الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته، نصا ووصيته اما جلياً واما خفيا. واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من أولاده، وان خرجت فبظلم يكون من غيره او بتقية من عنده[٤]، ولعل تعريف الشهرستاني أكثر تدقيقاً من تعريف الاشعري لأنه يؤكد على النص بنوعية: الجلي والخفي، وهو امر ضروري لتمييز الشيعة، خاصة الامامية، من غيرهم من المسلمين.

ويتناول الشيخ محمد بن الحسن الطوسي الكلام عن النص والوصية ويربط التشيع بالاعتقاد بكون علي اماما للمسلمين بوصيته من الرسول وبإرادة من الله[٥].

ثم يقسم النص الى نوعين: الجلي والخفي. اما النص الجلي فقد (تفرد بنقله الشيعة الامامية، خاصة - وان كان في اصحاب الحديث من رواه على وجه نقل اخبار الاحاد...) اما النص الخفي فيرى الطوسي ايضا (ان جميع الامة تلقته بالقبول، وان اختلفوا في تأويله

---

(١) نصر بن مزاحم، وقعة صفين (القاهرة)،١٣٦٥هـ ص٧.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، الوصية (النجف لا. ت)ص١٢١.

(٣) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين،ج١ (القاهرة)، ١٩٥٠) ص٦٥.

(٤) الملل والنحل، ج١ (القاهرة،١٩٥٦) ص١٣١.

(٥) تلخيص الشافي،ج٢ (النجف،١٩٦٣) ص٥٦-٧.

والمراد منه ولم يقدم احد منهم على انكاره ممن يعتد بقوله)[1].

وقد يكون النص الجلي على امامة علي وصفا لا تسمية، كما يرى الجارودية من الزيدية. قال الاشعري ان الجارودية يزعمون ان النبي ﷺ (نص على علي بن ابي طالب بالوصف لا بالتسمية، فكان هو الامام من بعده...)[2].

ويخرج الطوسي السليمانية من الزيدية من فرق الشيعة لانهم لا يقولون بالنص، وانما يقولون (ان الامامة شورى، وانها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين، وانها تصلح في المفضول...)[3].

ولما كان قول الصالحية والبترية من الزيدية (في الامامة كقول السليمانية)[4]، ينطبق عليهم، على رأي الطوسي، ما ينطبق على السليمانية.

أما الغلاة من الشيعة، بما فيهم الكيسانية، فلا يعدهم الامامية، الذين يمثل رأيهم الشيخ الطوسي سالف الذكر، من المسلمين بله من الشيعة لانهم خرجوا عن حد الامامة الى الربوبية اولا، وان طوائف منهم كالهاشمية اجازوا انتقال الامامة من ولد علي الى ولد العباس ثانيا، كما ان بعضهم أخرج الامامة من آل الرسول الى عامة الناس وذلك امثال البيانية التي ساقت الامامة الى شخص اسمه بيان[5].

ونختم التعاريف التي اوردناها للشيعة سابقا، بتعريف ابن حزم الذي نعده من أكثر التعاريف شمولا واقربها للتدقيق. يقول ابن حزم (ومن وافق الشيعة في أن عليا عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ واحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي وان

---

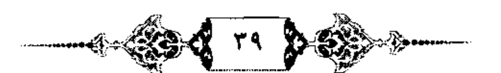
(١) ايضاً، ج٢ ص٤٦.

(٢) مقالات، ج١، ص١٣٣.

(٣) ايضا، ج١ ص١٣٥.

(٤) الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ص٤٢.

(٥) الاشعري، سعد بن عبد الله، كتاب المقالات والفرق (طهران ١٩٦٣) ص٣٧.



خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً)[1].

ومما حدانا الى تفضيل تعريف ابن حزم هو ان الاعتراف بأفضلية الامام علي عليه السلام على الناس بعد رسول الله، وانه الامام والخليفة بعده، وان الامامة في ذريته من فاطمة هو اسّ التشيع وجوهره. ففرق الزيدية التي تساهلت بقضية افضلية الامام علي على سائر الصحابة، وجماعات الغلاة التي خرجت عن حد الامامة الى الربوبية يصعب حشرها في اطار التشيع العام.

ويناقش الدكتور الشيبي مجموعة من العبارات الاصطلاحية التي أدخلها الاسلام امثال (الانصار) و(المهاجرين) و(التابعين) و(الشيعة).

فالأنصار تنصرف الى من ناصروا النبي ﷺ من أهل المدينة كما تنصرف العبارات الاخرى الى دلالاتها المعروفة، وصارت عبارة (الشيعة) مختصة بمشايعي علي وناصريه. ويخلص الشيبي الى القول بأصالة عبارة الشيعة وصدورها عن روح الاسلام وطابعه الجديد في اطلاق الاوصاف على الجماعات التي يجمعها جامع معين، وتلك روح عربية تنعكس من طابع العرب وطراز تفكيرهم. ويرى الشيبي ايضا أن عبارة (الاسلام) نابعة من هذا المنبع، ويستشهد بآيتين من القرآن الكريم[2] ويختم تعليقه بقوله (فالمسلمون هم المنقادون لله، والانصار من نصروا النبي، والمهاجرون من هجروا الاوطان لنصرة النبي... والشيعة من شايعوا عليا، وكل ذلك جار على اسلوب العرب وطابعهم)[3].

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج٢ (طبعة الأوفست مكتبة المثنى بغداد) ص١١٣.

(٢) ال عمران ٣-٦٧ ويونس ١٠-٩٠.

(٣) الشيبي، كامل مصطفى، الصلة بين التصوف والتشيع ج١ (بغداد،١٩٦٣) ص١٠-١١.

متى ظهر التشيع؟

هناك أقوال في ظهور التشيع. أولها - أنه ظهر في زمن النبي ﷺ قال البرقي (ت٢٧٤/ ٢٨٠هـ) ان أصحاب علي أمير المؤمنين ينقسمون الى (الاصحاب، ثم الاصفياء، ثم الاولياء، ثم شرطة الخميس..). ويجعل من الاصفياء (سلمان الفارسي. المقداد. أبو ذر. عمار. أبو ليلى. شبير. أبو سنان. أبو عمرة. أبو سعيد الخدري. أبو برزة. جابر بن عبد الله. البراء بن عازب. عرفة الازدي...)[1].

ولما كان هؤلاء جميعا من أصحاب رسول الله ﷺ، وانهم قالوا بالتشيع لعلي والتزموا بتأييده بعد وفاة الرسول، فلابد أن يكون رأيهم بإمامة علي تكون في حياة الرسول.

أما النوبختي (ت:٣٠٠هـ) فيقول ان أول (الفرق الشيعة وهم فرقة علي بن ابي طالب عليه السلام، المسمون شيعة علي عليه السلام في زمان النبي ﷺ وبعده معروفون بأنقطاعهم اليه والقول بإمامته)[2] روى الصدوق (ت:٣٨١هـ) ان ابن عباس قال(سمعت رسول الله ﷺ يقول انه اذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة قال...)[3] وقال رسول الله ﷺ أيضا (يدخل من أمتي سبعون ألفا بغير حساب، ثم التفت الى علي عليه السلام وقال هم شيعتك يا علي وانت امامهم)[4].

ويظهر ان الاحاديث التي أشارت الى ظهور التشيع في عهد النبي ﷺ كثيرة

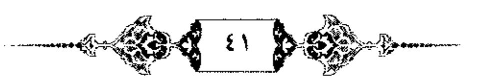
---

(١) البرقي، احمد بن ابي عبد الله، الرجال (طهران، ١٣٤٢ش) ص١.

(٢) فرق الشيعة (استانبول،١٩٣١) ص١٥.

(٣) علل الشرائع (النجف، ١٩٦٣) ص١٥٦.

(٤) الدليمي، محمد، ارشاد القلوب، ج١(بيروت، ١٣٨١)ص١٩٣.



الى حد أن السيد حامد حسين اللكناهوري، وهو من الكتاب المحدثين ملأ بها صفحات كتابه الموسوم بـ (عبقات الانوار) وهو يزيد على عشر مجلدات[١].

أما الرأي الثاني فيجعل ظهور التشيع يوم السقيفة ويستند اصحاب هذا الرأي الى تصريح جماعة من الصحابة يوم السقيفة بوجوب تقديم علي. روى الطبري ان الزبير اخترط سيفه (وقال لا اغمده حتى يبايع علي...)[٢] ويبين اليعقوبي ان جماعة من المهاجرين والانصار تخلفوا عن بيعة أبي بكر (ومالوا مع علي بن ابي طالب منهم العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر والبراء بن عازب، وابي بن كعب...)[٣].

ويصعب القول ان هؤلاء كونوا رأيهم في استحقاق علي عليه السلام للإمامة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله دون مقدمات ويبدو ان عددا منهم كونوا الرأي المذكور في حياة النبي. ثم ان استمرار طائفة من هؤلاء على ولائهم لعلي واعترافهم بإمامته يدل على أن قولهم بإمامة علي لم يكن نتيجة لأفكار طارئة خلقتها ظروف بيعة ابي بكر في سقيفة بني ساعدة.

أما الرأي الثالث فيجعل تأريخ ظهور الشيعة يوم الجمل. قال ابن النديم ان عليا قصد طلحة والزبير (ليقاتلهما حتى يفيئا الى أمر الله جل اسمه وتسمى من اتبعه على ذلك الشيعة، فكان يقول شيعتي وسماهم عليه السلام الاصفياء، الاولياء، شرطة الخميس، الاصحاب)[٤].

ويبدو ان رأي ابن النديم المذكور ضعيف لان رواية البرقي التي أشرنا اليها قبل

---

(١) كاشف الغطاء، محمد حسين، اصل الشيعة واصولها (بيروت، لا. ت) ٨٧-٩٠.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٢ (القاهرة، ١٩٣٨) ص٤٤٤.

(٣) التاريخ، ج٢(النجف، ١٣٥٨) ص١٠٣.

(٤) الفهرست (القاهرة، لا. ت) ص٢٦٣.

قليل تجعل من بين الاصفياء من أصحاب علي (سلمان الفارسي، والمقداد، وابو ذر) ومن المعلوم ان كلا من سلمان الفارسي وأبي ذر كانا قد توفيا قبل معركة الجمل.

ويميل فلهاوزن الى قبول رأي ابن النديم حين يقول (بمقتل عثمان انقسم الاسلام الى حزبين: حزب علي، وحزب معاوية، والحزب يطلق عليه في العربية اسم (الشيعة) فكانت شيعة علي في مقابل شيعة معاوية، لكن لما تولى معاوية الملك في دولة الاسلام كلها... أصبح استعمال لفظ (شيعة) مقصورا على أتباع علي)[١] ولعل فيما قدمناه من أدلة على وجود شيعة لعلي قبل مقتل عثمان وقبل وقوع معركة الجمل يضعف رأي فلهاوزن سالف الذكر.

أما الرأي الرابع فيجعل تاريخ ظهور الشيعة بعد رجوع علي من صفين ومن أشهر القائلين بالرأي المذكور الاستاذ وات مونتكومري (**watt**) يقول وات: ان بداية حركة الشيعة هو أحد ايام سنة ٦٥٨م (٣٧هـ) حين قال جماعة من أتباع علي اننا نوالي من والاك ونعادي من عاداك ويعني ذلك ان هؤلاء كانوا مستعدين للقول بأنهم يقبلون بصورة مطلقة حكم علي في القضايا المهمة[٢] ويبدو ان وات استند برأيه المذكور على نص ورد في الطبري يقول فيه (لما قدم علي الكوفة وفارقته الخوارج وثبت اليه الشيعة فقالوا في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت، واعداء من عاديت)[٣].

ان رأي وات هو الاخر لا يخلو من ضعف استنادا على ما بينا سابقا عن بداية ظهور التشيع وما سنبينه فيما يلي من الصفحات.

وبعد أن عرضت طائفة من الآراء التي حدد بها أصحابها بداية ظهور شيعة علي، أود أن أشير الى أن (شيعة علي) عبارة يكتنفها الغموض، وانها لم تأخذ مدلولها الاصطلاحي

(١) الخوارج والشيعة - ترجمة عبد الرحمن بدوي -(القاهرة ١٩٥٨) ص١٤٦.

(٢) **-watt, w.m.,islam and the integration of society, London,1961,p.104.**

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ٤٦ :٤.

الا بعد مرور فترة طويلة على تاريخ استعمالها، لذا فأن معظم التواريخ التي اقترحها الكتاب المذكورون، يحيط بها شيء من الغموض لأنها لم تفرق بوضوح بين ظهور التشيع لعلي بمعناه الخاص – وهو ما أسميته بالتشيع الروحي – الذي يتضمن القول بإمامة علي، وانها بوصية من النبي وبإرادة من الله، وبين التشيع لعلي، بمعناه العام وهو القول بحقه بالخلافة والعمل على استرداد الحق المذكور دون الالتزام كلية بقضية النص على إمامته.

والرأي عندي ان التشيع لعلي بمعناه الروحي زرعت بذرته في عهد النبي ونمت قبل توليه الخلافة والادلة على ذلك كثيرة أهمها:

أولاً: ورود الاحاديث التي سبقت الاشارة اليها.

ثانياً: وصية النبي لعلي بالإمامة والخلافة. وردت اشارات عديدة بهذا الخصوص يظهر منها ان النبي أوصي لعلي بإمامة المسلمين والخلافة عليهم. روى الطبري ان النبيﷺ في مجلس ضم جماعة من بني هاشم بمكة، قال مشيرا لعلي (ان هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا...)[1].

ويضيف الطبري الى ان النبيﷺ قال الحديث المذكور قبل هجرته الى المدينة، ويعني ذلك ان النبي أشار بالدرجة الاولى الى المدلول الديني لإمامة علي للمسلمين لان الدولة الاسلامية حينذاك لم تقم بعد. وذات مرة جاء رجل الى ابن عباس فقال له اخبرني عن علي بن ابي طالب فقال له ابن عباس (أيها الرجل والله لقد سألت عن رجل ما وطئ الحصى بعد رسول اللهﷺ افضل منه، وانه لأخو رسول الله، وابن عمه ووصيه وخليفته على أمته...)[2] وقال ابو الاسود الدؤلي (ت٤٩هـ/ ٦٨٨م):

(١) التاريخ،٢-٦٣، وابن الاثير، الكامل ج٢ (القاهرة١٢٩٠) ص٢٢.

(٢) القمي، علل الشرائع (النجف، ١٩٦٣) ص١٥٩.

أحب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة والوصيا[1]

ويبدوا من البيت المذكور ان كلمة (وصي) أصبحت معروفة في ذلك العصر بحيث اذا ذكرت مجردة انصرفت الى علي.

أما بيعة غدير (خم) فقد ذكرها اليعقوبي، وبين أن النبي أوصى فيها لعلي بالإمامة[2] وقد تناول الشيخ الاميني[3] البحث عن اشتهار بيعة الغدير. أما رأي الشيعة في الوصية فقد عبر عنه الشيخ الطوسي، المعروف بشيخ الطائفة بقوله ان التواتر حصل عن الشيعة ان النبيﷺ (نص على أمير المؤمنينعليه السلام بالإمامة بعده واستخلفه على أمته بألفاظ مخصوصة نقلوها: منها قولهﷺ: سلموا على علي بإمرة المؤمنين. وقولهﷺ مشيرا اليه صلوات الله عليه، وآخذا بيده: هذا خليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له واطيعوا)[4].

وألف الشيعة عشرات الكتب في وصية النبيﷺ لعلي. فالمسعودي ألف كتابه الموسوم بـ (الوصية)[5]وذكر فيه كيفية اتصال الحجج والاوصياء من لدن آدم الى القائم صاحب الزمان. وكتب العلامة الحلي كتابه الموسوم بـ(اثبات الوصية) وذكر الحلي طائفة من الكتب في الوصية يزيد عددها على الثلاثين كتابا من بينها كتاب المسعودي المذكور سابقا[6].

ثالثاً: اختصاص عدد من الصحابة بعلي واعترافهم بالولاء له خلال حياة الرسول وفي حكم الخلفاء الثلاثة الاول من الراشدين. اختص عدد من الصحابة بعلي واعترفوا

(١) المبرد، الكامل، ج٢(القاهرة، ١٣٠٨) ص١٣٠.

(٢) التاريخ ٢-٩٣.

(٣) طبع كتاب الاميني بيروت، تحت عنوان (الغدير في الكتاب والسنة والادب).

(٤) تلخيص الشافي، ج٢ص٥٦-٧٠

(٥) طبع الكتاب المذكور في النجف دون ان يذكر تاريخ الطبع.

(٦) اثبات الوصية (النجف، لا. ت) ص٣-٤.

بإمامته قبل توليه الخلافة. ومن هؤلاء (المقداد بن الاسود، وسلمان الفارسي، وابو ذر... وعمار بن ياسر، ومن وافق مودته مودة عليعليه السلام، وهم أول من سمي بالتشيع من هذه الامة لان اسم التشيع قديم شيعة ابراهيم وموسى وعيسى والانبياء صلوات الله عليهم أجمعين)[1].

وعند وفاة الرسول وبيعة أبي بكر وجد جماعة من الصحابة عرفوا بشيعة علي. فالمسعودي في معرض كلامه عن امامة علي، يقول أن عليا قام (بأمر الله جل وعلا وسنه خمس وثلاثين سنة واتبعه المؤمنون وقعد عند المنافقون، ونصبوا للملك وامر الدنيا رجلا اختاروه لأنفسهم دون من اختاره الله... فأقام أمير المؤمنينعليه السلام ومن معه من شيعته في منزله...)[2].

وقد وضح عمار بن ياسر عند بيعة عثمان رأيه في علي واهل بيته فقال: (يا معشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن اهل بيت نبيكم ههنا مرة، وههنا مرة فما أنا بآمن من أن ينتزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله). وقال المقداد في المناسبة المذكورة: (ما رأيت مثل ما اوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم... اعجب من قريش... قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول اللهصلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم، أما وايم الله... لو أجد على قريش انصارا لقاتلتهم كقتالي اياهم مع رسول اللهصلى الله عليه وسلم يوم بدر)[3] وفي الفتنة التي قتل بها عثمان قال الفضل بن العباس في علي:

وكان ولي العهد بعد محمد	علي وفي كل المواطن صاحبه
علي ولي الله أظهر دينه	وانت مع الاشقين فيما تحاربه[4]

(١) النوبختي، فرق الشيعة، ص١٦.

(٢) المسعودي، الوصية، ص١١٧-٨.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢(القاهرة، لا. ت) ص٢٣١

(٤) ايضا، ج٢ص٢٣٥.

ومن الجدير بالذكر ان كلمة (ولي) التي وردت في الشعر المذكور لها دلالتها الدينية، ويمكن أن تقوم دليلا على اعتراف الفضل بوجود صفات روحية لدى الامام علي لا توجد لدى غيره من الصحابة. وقد ظهرت كلمة (ولي الله) بمثابة لقب للإمام علي على النقود الفضية المضروبة على الطراز الساساني في عهده. وقد ضرب النقد المذكور واليه يزيد بن قيس الحمداني سنة ٣٧هـ بالري(١).

ومن الادلة على وجود من يقول بالتشيع الروحي لعلي قبل توليه الخلافة، هو ما رواه سعد الاشعري عن وجود جماعة من الشيعة ظهرت بعد وفاة النبي ﷺ قالت بالنص على امامة علي (وقالوا أنه لابد مع ذلك من أن تكون الامامة دائمة جارية في عقبه الى يوم القيامة... فلم تزل هذه الفرقة قائمة لازمة لإمامته وولايته على ما ذكرنا... الى أن قتل... وكانت امامته ثلاثين سنة، وخلافته أربع سنين وتسعة اشهر...)(٢).

ويرى الاستاذ (وات) ان التشيع الروحي لم يظهر الا في سنة ٦٥٨م/ ٣٧هـ وذلك حين جدد جماعة من أنصار علي بيعتهم له، كما اسلفنا وان تلك الجماعة (أصبحت تعتقد ان الحاكم يحكم بتفويض الهي ليس للبشر يد فيه. وأصبح الفرق بين الخوارج والشيعة، نتيجة لذلك، هو أن الخوارج أرادوا سيادة قانون غير شخصي في الدولة، بينما اوكل الشيعة السلطة في تلك الدولة الى قائد يتمتع بصفات روحية)(٣).

ولعل ما اوردته قبل قليل على ظهور التشيع الروحي في عهد النبي ﷺ وفي عهد الخلفاء الثلاثة الاول من الراشدين، يقوم دليلا على ضعف رأي وات سالف الذكر.

رابعاً: وجود عدد من شيعة علي يقولون بآرائه الفقهية في حياته. روى ابن رستم الطبري

---

(١) الحسيني، محمد باقر، تطور النقود العربية الاسلامية (بغداد، ١٩٦٩) ص٥١.

(٢) المصدر السابق، ص١٦-١٧.

(٣) watt,op.cit,p104.



ان سليم بن قيس الهلالي قال مرة للإمام علي (يا أمير المؤمنين اني سمعت من سلمان والمقداد بن الاسود وابي ذر من تفسير القرآن ومن الرواية عن نبي الله شيئا ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، وكان في ايدي الناس اشياء من تفسير القران ومن الاحاديث أنتم تخالفونها، وتزعمون أن ذلك باطل افترى الناس يكذبون على رسول الله تعمدا ويفسرون القرآن برأيهم فقال علي‌عليه السلام... ان في أيدي الناس حقا وباطلا... وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في عهده... ثم كذب عليه من بعده...)[1] ومن المعلوم ان القول بآراء فقهية لإمام معين خير دليل على الاعتراف بإمامته، ثم أن أبا ذر وسلمان قالا بالآراء المذكورة قبل أن يتولى على رئاسة المسلمين السياسية لانهما لم يدركا خلافته. فهما والحالة هذه من أشهر المعتقدين بالتشيع الروحي لعلي.

ومن الجدير بالذكر ان وجهات النظر، سواء كان في تفسير القران وتأويله او رواية السنة النبوية التي سمعها سليم بن قيس من تلامذة علي كانت تختلف مما لدى معاصريهم من المسلمين. وقد تطورت وجهات النظر تلك فتحولت الى مدرسة فكرية اسلامية خاصة عرفت فيما بعد بالمذهب الجعفري. وكان الامام علي المؤسس الاول لعلوم آل البيت التي وصفناها اعلاه بوجهات نظرهم في التفسير والتأويل ورواية السنة النبوية وذهب فقهاء المذهب الجعفري عند تكونه في العصور التالية، الى عدم الاخذ بسنة الصحابة لانهم لا يرون صحة الاستدلال الا بسنة من تثبت لديهم عصمته وهم الائمة الاثنا عشر.

أما وجهات النظر المغايرة لما تبناه الشيعة في حقول التفسير والتأويل ورواية السنة فكانت هي الاخرى نواة للعلوم الدينية عند اهل السنة التي تحولت مع الزمن الى مدرسة فكرية اسلامية اخرى تضمنتها مذاهب اهل السنة المعروفة التي ظهرت بعد القرن الاول للهجرة.

(١) المسترشد في امامة علي بن ابي طالب‌عليه السلام (النجف لا. ت) ص٣١، والنعماني، محمد ابراهيم، الغيبة (تبريز، لا. ت) ص٣٦-٧.

اما التشيع السياسي أو النصرة والاتباع لعلي دون الالتزام بالنص على امامته الدينية فقد اصبح في خلافته منتشرا بصورة واسعة، ثم أخذ يتقلص في آخر عهده وفي الفترة التي تلت مقتله، ولكنه ما لبث أن استعاد شيئا من قوته خاصة في العراق لاسيما بعد أن شعر العراقيون بفقد سيادتهم السياسية على يد الامويين.

ومن الادلة على ظهور التشيع السياسي في خلافة علي هو ان اصطلاح (شيعة علي) أي أنصاره بقي شائع الاستعمال. وكان الاصطلاح المذكور يعني الحزب أو المناصرين. وذات مرة دخل علي على عائشة في البصرة (ومعه شيعته من همدان)[1] ولعل ذلك يعود الى أن عليا بويع خليفة للمسلمين، بما فيهم شيعته. وكان الذين أسهموا في حروبه مع خصومه يتكونون من شيعته ومن غيرهم. يضاف الى ذلك ان عليا أثناء خلافته كان يستعمل غالبا كلمة (مسلمين) بدلا من (شيعة) حين يخاطب أنصاره وذلك لوجود مسلمين بينهم من غير شيعته. وخطب علي ذات مرة في الكوفة فقال (أما بعد فأن الله تعالى لما قبض نبيه عليه وآله الصلاة والسلام قلنا نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأوليائه... ولا ننازع في حقه وسلطانه فبينا نحن كذلك اذ نفر المنافقون وانتزعوا سلطان بينا منا ... وايم الله لولا مخافتي الفرقة بين المسلمين وان يعود أكثرهم الى الكفر...).

وعندما نزل بذي قار اخذ البيعة على من حضره ثم قال: و(فد جرت امور صبرنا عليها وفي اعيننا القذى...).

وكان الصبر عليها أمثل من ان يتفرق المسلمون... وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوة... حين رأيا ان الله قد رد علينا حقنا بعد اعصر فلم يصبرا... حتى وثبا علي دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقي ويفرقا جماعة المسلمين عني...) وعندما التقى اهل الكوفة مع علي بذي قار قال (يا أهل الكوفة انكم من أكرم المسلمين...)[2] ولا

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٢-٠، ٣٧٧

(٢) المفيد - الارشاد (طهران، ١٣٧٧)ص١١٧، ١١٨، ١١٩

يخفى ما للنص الاخير من أهمية لان الخطاب فيه موجه لأهل الكوفة التي كانت مركز شيعة علي أي أنصاره واتباعه.

ونختم كلامنا عن التشيع لعلي بنوعيه الروحي والسياسي بالملاحظات التالية:

١. كان التشيع الروحي أقدم عهدا من التشيع السياسي، وانه يقوم على الاعتقاد بإمامة علي المفروضة من الله. وقد تطور الاعتقاد المذكور ثم تبلور في عقيدة الامامة المعصومة من الخطأ بعد أن أسند كلاميا بقضية القول بالنص على تلك الامامة من النبي وبأمر من الله.

٢. ظهرت بوادر التشيع السياسي أو الولاء لعلي دون الالتزام بقضية الاعتراف بإمامته الدينية في سقيفة بني ساعدة حين اسند حق علي بالخلافة عدد من المسلمين أمثال الزبير والعباس وغيرهما. وبلغ التشيع السياسي اقصى مداه حين بويع علي بالخلافة بعد مقتل عثمان.

٣. كان رواد التشيع الروحي يلتزمون بآراء علي الفقهية الى جانب الالتزام بأسناده سياسيا. وقد نمت بذور الفقه الشيعي، ثم تطورت وانصب معظمها فيما عرف في القرن الثاني للهجرة بالفقه الجعفري.

٤. بقي القائلون بالتشيع الروحي لعلي قلة ضئيلة حتى نهاية خلافته سنة ٤٠هـ.

روى المفيد حديثا يرفعه الى بريد بن معاوية عن أبي جعفر قال: (ارتد الناس بعد النبيﷺ الا ثلاثة نفر: المقداد بن الاسود، وابو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثم ان الناس عرفوا ولحقوا بعد). وفي حديث اخر يجعل الباقرعليه السلام عدد هؤلاء سبعة فيقول (ولم يعرف حق أمير المؤمنين الا هؤلاء السبعة)[1]. وبعد أن استشهد امير المؤمنين عليعليه السلام كتب الحسن الى معاوية يقول: (ان عليا (ر) لما مضى لسبيله رحمة الله عليه-...

(١) الاختصاص (طهران، ١٣٧٦) ص،١٠.



ولاني المسلمون الامر بعده...)[1] ويبدو من النص الاخير ان الحسن لم يشر الى الشيعة بل استعمل كلمة المسلمين بدلا عنها.

و ظهر من رواية للباقر عليه السلام ان المسلمين الذين بايعوا الحسن لم يكن منهم الا خمسون من الشيعة. يقول الباقر عند خطابه لهشام الكابلي (كان علي ابن أبي طالب عليه السلام عندكم بالعراق يقاتل عدوه ومعه أصحابه وما كان فيهم خمسون رجلا يعرفونه حق معرفته ، وحق معرفته امامته)[2].

و لعل ما جاء مجملا بقول الباقر السابق يتضح براوية الاشعري التي يقول فيها (فلما قتل علي التقت الفرقة التي كانت معه والفرقة التي كانت مع طلحة والزبير وعائشة فصارت فرقة واحدة مع معاوية بن ابي سفيان، الا القليل من شيعته ومن قال بإمامته بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهم السواد الاعظم...)[3].

ويبدو من الرواية المذكورة ان القلة التي ثبتت على القول بإمامة علي بعد وفاته هم القائلون بالتشيع الروحي، وان السواد الاعظم الذي تراجع عن تأييد علي وآله بعد وفاته هم القائلون بالتشيع السياسي قبل خلافته ثم أثناء حكمه.

(١) الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ج١ (بيروت، ١٩٦١) ص٣٧.

(٢) الكشي، محمد بن عمر، الرجال (النجف، لا. ت) ص ١٢.

(٣) كتاب المقالات والفرق ص ٥.

الشيعة قبل مقتل الحسين لا يكونون الفرقة او الفرق

ان شيعة علي قبل فاجعة كربلاء سنة ٦١هـ لم يكونوا الفرقة أو الفرق الشيعية، بل كانوا مجرد أنصار وموالين أو حزب. فأحاديث النبيﷺ المذكورة، فضلا عن احتمال تسرب الشك الى بعضها، لا تعني الفرقة ذات العقائد المعينة لان الفرق لم تظهر حينذاك، ويبدو ان المراد بشيعة علي الواردة في تلك الاحاديث انصاره واتباعه. ويظهر ان نص النوبختي سالف الذكر رغم احتوائه على كلمة (فرقة) لا يمكن أن يحمل على ان المقصود منه وجود فرقة دينية تعرف بالشيعة كانت معروفة في عهد النبيﷺ وبعد وفاته لان كلمة (فرقة) وردت في النص مضافة الى علي لذلك تنصرف الى الانصار والجماعة لا الفرقة الدينية ذات العقائد المعينة.

يضاف الى ذلك ان النوبختي نفسه يقول في مكان آخر من كتابه السابق ان (جميع اصول الفرق أربع فرق الشيعة، والمعتزلة، والمرجئة، والخوارج)[١]. ومن المعلوم ان جميع هذه الفرق ظهرت بعد النبيﷺ بفترة غير قصيرة. ولعل المقدسي أقرب الى التدقيق حين يقول:(أن أصل مذاهب المسلمين كلها متشعبة من أربع، الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، واصل افتراقهم قتل عثمان ثم تشعبوا...)[٢] ثم ان نص المسعودي الذي يشير الى اقامة علي وشيعته في منزله بعد بيعة ابي بكر هو الآخر لا يمكن حمله على انه يعني الفرقة الدينية لان المسعودي نفسه في موضع اخر من كتابه السابق يدعو من التف حول علي بعد السقيفة جماعة من المسلمين[٣] ومن المعلوم ان ليس كل مسلم شيعيا.

---

(١) النوبختي المصدر السابق، ص١٥.

(٢) احسن التقاسيم (ليدن، ١٩٠٦) ص٣٨.

(٣) المسعودي، الوصية، ص١٢١.

ونختم كلامنا حول وجود فرقة شيعية او عدمه في الفترة موضوع البحث براي سعد الاشعري الذي يبين فيه ان المقصود بكلمة (فرقة) في عهد الامام علي تعني الجماعة من الناس. وفي معرض كلامه عن عثمان يقول الاشعري (فلما قتل (عثمان) بايع الناس علياعليه السلام فسموا الجماعة، ثم افترقوا بعد ذلك فصاروا ثلاث فرق: فرقة اقامت على ولاية علي بن ابي طالبعليه السلام وفرقة منهم اعتزلت مع سعد بن مالك، وهو سعد بن ابي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب.. وفرقة خالفت علياعليه السلام وهم طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وعائشة بنت ابي بكر...)[1] ويتضح من النص السابق ان الاشعري كان يقصد بالفرقة الجماعة او الانصار السياسيين.

اما السبائية جماعة عبد الله بن سبأ فسنرجئ الكلام عنها الى الفصل الثالث من هذا الكتاب، الذي خصصناه للبحث عن الغلو والغلاة.

ونستخلص من كل ما سبق ان (شيعة علي) قبل مقتل الحسين لم يكونوا الفرقة الدينية التي عرفت فيما بعد بالشيعة. ويؤيد فلها وزن ما ذهبت اليه بقوله: تمكن (الشيعة اولا في العراق، ولم يكونوا في الاصل فرقة دينية، بل تعبير عن الرأي السياسي في هذا الاقليم كله. فكان جميع سكان العراق، خصوصا اهل الكوفة، شيعة علي على تفاوت فيما بينهم)[2].

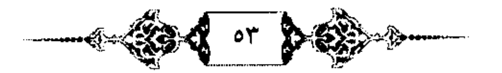
وقد تظافرت عوامل عدة بعد استشهاد علي والحوادث التي حصلت في الفترة التي تلته على مد التشيع بزخم جديد حوله مع الزمن، وبصورة تدريجية الى الفرقة او الفرق الشيعية التي سنتناولها في البحث فيما بعد. وكان تولي الامويين الحكم، وهم لا سابقة لهم في الاسلام، من بين العوامل المذكورة. روي عن ابن عباس انه كان يقول (ان بني امية وطئوا على صماخ الدين وذبحوا كتاب الله بشفرة)[3].

---

(١) كتاب المقالات والفرقص٥.

(٢)

(٣) المفيد، الاختصاص،ص١٢٨



وكان انتصار الامويين يعني انتصار التيار القبلي على التيار الاسلامي لان انتصار معاوية على علي كان (انتصارا مطلقا للتيار القبلي)[1].

واستعان معاوية بقريش فيما استعان لكسب النصر على علي. روى الطوسي ان النبي ﷺ أوصى أمير المؤمنين علياً قائلا: (يا أخي ان قريشا ستظاهر عليك، وتجتمع كلمتهم على ظلمك وقهرك فان وجدت أعوانا فجاهدهم، وان لم تجد أعوانا فكف يدك وأحقن دمك فان الشهادة من ورائك)[2]، روى المفيد حديثا رفعه عن عبد الله بن سنان قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول كان مع أمير المؤمنين من قريش خمسة نفر، وكان ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية...)[3]، ولم يكن انضمام الغالبية العظمى من قريش لمعاوية محض صدفة، انما كان ذلك يعود لاسباب اقتصادية واجتماعية.

فمعاوية كان سليل أبي سفيان زعيم الملأ المكي ووارث مبادئه وقيمه. تلك القيم والمصالح التي حاربها الاسلام وأنتصر عليها. فدعوة الاسلام جاءت لإنصاف المظلومين ولتكوين مجتمع يكون التقدم فيه مبنية على أساس التقوى والصلاح، لا على أساس القوة والنسب. وأرستقراطية قريش بزعامة أبي سفيان عارضت دعوة الاسلام ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾[4] وعجبوا من تعاليم الدين الجديد التي تقول (و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)[5].

وما دار الزمن دورته حتى فاقت ارستقراطية قريش من الهزيمة التي ألحقها بها

---

(١) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام(بغداد، ١٩٤٩)ص٧٢.

(٢) الغيبة (النجف، ١٣٨٥) ص ٢٠٣.

(٣) الاختصاص ٢- ١٣.

(٤) البقرة ٢ -١٣.

(٥) القصص ٢٨ - ٥.

الاسلام لتجد معاوية أبن زعيمها السابق يدعوها لمحاربة رجل ترعرع في ظل الاسلام وتشرب مبادئه، ورأى فيه الذين استضعفوا في الارض رمزا للحفاظ على مكاسبهم التي منحهم اياها الاسلام. وذلك الرجل هو (علي) وكانت نتيجة تلك المعركة هزيمة المستضعفين في الارض واستشهاد امامهم.

وبالرغم من ذلك فكان لانتصار معاوية على علي وما يتبعه من حوادث نتائج ايجابية في حركة التشيع حيث منحها ذلك الانتصار شهيدها الاول وأكسبها قوة لا يستهان بها.

ثم ان اتباع الامويين لسياسة مالية وعنصرية غير عادلة نفرا كثيرا من المسلمين، وخاصة الموالي من حكمهم. وكان للقوة التي عاملوا بها خصومهم من آل البيت، وغيرهم أثر كبير في عزوف جماعات من المسلمين عنهم وانضمامهم الى حركات المعارضة التي قادها شيعة علي والخوارج.

وكانت فاجعة كربلاء على رأس الحوادث التي أثارت استياء كبيراً بين أكثر المسلمين تجاه حكم بني أمية. قال المبرد: (وكان يقال ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء)[1].

كما كان للفاجعة المذكورة اثر كبير في تكتل أنصار العلويين حول أئمتهم من آل البيت. يقول بروان (كان الشيعة او أنصار علي قبل واقعة كربلاء ينقصهم التصميم والحمية نحو عقيدتهم، وقد تغير الوضع المذكور بعد الواقعة المذكورة، فأصبحت تلك البقعة الملطخة بالدماء، حيث سقط حفيد الرسول عطشانا وحوله اجساد ابناء عمه تثير أعمق الاشجان وأعنف العواطف لدى الناس مهما ضعف شعورهم)[2] ويقول فلهاوزن لقد (افتتح استشهاده [الحسين] عصرا جديدا لدى الشيعة، بل نظر الى هذا الاستشهاد على أنه أهم من استشهاد ابيه، لان اباه لم يكن ابن بنت النبي..)[3].

(١) الكامل،ج٢(القاهرة، ١٣٠٨) ص٢٥٧.

(٢) **browne,e.g.,a literary history of Persia, I, Cambridge, 1951, p.226-7.**

(٣) الخوارج والشيعة ص١٨٩.



ويلخص الشيبي رأيه في تطور التشيع منذ ظهوره حتى مقتل الحسين بقوله (ان التشيع كان تكتلا اسلاميا ظهرت نزعته أيام النبي وتبلور اتجاهه السياسي بعد قتل عثمان، واستقل الاصطلاح الدال عليه بعد قتل الحسين)[1].

ولو تتبعنا حركات الشيعة بعد مقتل الحسين لظهر لنا أن عوامل عدة لعبت دورا مهما في حث الشيعة على التكتل من جهة، وان اصطلاح (الشيعة) استقل تدريجيا بحيث ان استعماله مضافا الى علي والى ال بيته، كما هو الحال قبل مقتل عثمان، اصبح نادرا من جهة اخرى[2]. وكان من بين تلك العوامل اولا - اتخاذ العراقيين بعامة واهل الكوفة خاصة عليا واله بمثابة رمز لاستقلال العراق المفقود.

نظر الى الكفاح بين علي ومعاوية على انه كفاح بين اهل الشام واهل العراق. وبعد ان وصل الكفاح المذكور الى نتيجته المعروفة شعر العراقيون بالخذلان وندموا، بعد فوات الاوان، لتقاعسهم عن نصرة علي وبنيه من بعده. ورأى العراقيون في انتصار معاوية على علي انتصارا للشام على العراق.

روى الاصفهاني ان ام الهيثم النخعية قالت ترثي امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام:

---

(١) الشيبي، كامل، الصلة بين التصوف والتشيع (بغداد، ١٩٦٣) ص١٧.

(٢) ظهر استقلال الاصطلاح الدال على التشيع حين اطلقت لفظة (الشيعة) مجردة من الاضافة الى علي في عدة نصوص وردت في الطبري يرجع بعضها الى عهد علي بينما يرجع البعض الاخر الى بعد مقتله. ولكننا نميل الى عد تشيع من اشارت اليهم تلك النصوص من نوع التشيع السياسي اي النصرة والتأييد السياسي لعلي وال بيته. وربما استعمل الطبري الاصطلاح المذكور لان التشيع السياسي في عهده كان قد اختفى وانصهر نوعا التشيع، السياسي والروحي، في نوع واحد وهو التشيع الروحي المبني على امامة علي واله بنص من النبي وبامر من الله. واليك طائفة من نصوص الطبري المشار اليها اعلاه:

قال الطبري (٤-٤٦) (ولما قدم علي الكوفة وفارقته الخوارج وثبت اليه الشيعة فقالوا في اعناقنا بيعة ثانية نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت...). اراد المغيرة سنة ٤٣ ارسال جيش لحرب الخوارج فاقترح عليه احد اصحابه ان يرسل جماعة من الشيعة لقتالهم فأرسل الجيش (وهم ثلاثة الاف نقاوة الشيعة وفرسانهم) الطبري (٤-١٤٤) الخ(على فرسان ربيعة الذين كان رأيهم في الشيعة). الطبري (٤-١٤٨).

الا يا عين ويحك فاسعدينا	الا تبكي أمير المؤمنينا
كأن الناس اذ فقدوا عليا	نعام جال في بلد سنينا
فلا تشمت معاوية بن صخر	فان بقية الخلفاء فينا
واجمعنا الامارة عن تراض	الى ابن نبينا والى أخينا
ولا نعطي زمام الامر فينا	سواه الدهر آخر ما بقينا
وان سراتنا وذوى حجانا	تواصوا ان نجيب اذا دعينا
بكل مهند عضب وجرد	عليهن الكماة مسومينا[1]

ويقول فلهاوزن أن الكفاح بين علي ومعاوية استحال (الى كفاح بين اهل الشام واهل العراق. وانتهى الكفاح بمقتل علي الى غير صالح أهل العراق، ولكن هؤلاء لم يندمجوا في وحدة الدولة الاسلامية التي التأمت من جديد بفضل معاوية الا كارهين مرغمين. ومن ثم اصبح علي راية كفاحهم ضد نير اهل الشام... فتمكن الشيعة اولا في العراق، ولم يكونوا في الاصل فرقة دينية بل تعبيرا عن الرأي السياسي في هذا الاقليم كله...)[2].

ثانياً: تأثير فاجعة كربلاء في تكتل الشيعة. كان لفاجعة كربلاء التي قتل فيها الحسين واصحابه سنة (٦١هـ) كما بينا سابقا أثر عميق في تطور التشيع ونموه بعامة وفي تكتل الشيعة بخاصة. قال الطبري (لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاؤم والتندم، ورأت انها قد اخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين الى النصرة وتركهم اجابته ومقتله الى جانبهم لم ينصروه...)[3].

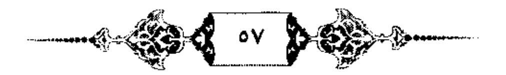
ويقول الطبري في حوادث سنة ٦٥هـ (وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة

---

(١) مقاتل الطالبيين (بيروت، ١٩٦١) ص٣٠ .

(٢) الخوارج والشيعة، ص١٤٧-٨.

(٣) الطبري،٤-٤٢٦.



واتعدوا الاجتماع بالنخيلة.. للمسير الى اهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي وتكاتبوا في ذلك)[1] وقد اوكل الشيعة قيادتهم في حركتهم المعروفة بحركة التوابين الى سليمان بن صرد الخزاعي. قال البلاذري بعد ان اجتمع جماعة من وجوه الشيعة قال احد الخطباء اذا رأيتم (ولينا هذا الامر شيخ الشيعة.. سليمان بن صرد...)[2].

ويبدو من النص السابق أن أول شيعي يتزعم جماعة دينية تسمى الشيعة، هو سليمان بن صرد. ويوضح فلهاوزن أثر استشهاد الحسين في تكتل الشيعة بالكوفة بقوله (والكوفيون الذين جروا الحسين الى الكارثة ثم تركوه وحده يصلاها راح ضميرهم يؤنبهم على ما اقترفت أيديهم، فشعروا بالحاجة الى ارضاء الرب وبالكفارة عن اثمهم بالتضحية بأنفسهم، فسموا أنفسهم (التوابين) وبدأوا لأول مرة ينظمون انفسهم[3].

وكان لفاجعة كربلاء أثر عميق في نفوس الشيعة، فارتفعوا بها من مصائب البشر الاعتيادية الى ان شبهوها بمصائب الانبياء. فروى الصدوق ان ابا عبد الله عليه السلام قال (ان اسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه: وأذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا، لم يكن اسماعيل بن ابراهيم، بل كان نبيا من الانبياء بعثه الله عز وجل الى قومه، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك، فقال ان الله.. بعثني اليك فمرني بما شئت، فقال لي اسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام[4].

وروى الصدوق أيضا، قصة موسى وهارون عندما قال موسى لأخيه يا بن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، وبين أن المقصود من ذلك أن موسى أخذ برأس نفسه ولحيته على العادة المتعاطاة للناس اذا أغتم أحدهم او أصابته مصيبة عظيمة، وأراد موسى بها

(١) ايضا، ٤-٤٢٧.

(٢) انساب الاشراف، ج٥(القدس، ١٩٣٦) ص٢٠٥.

(٣) الخوارج، والشيعة، ص١٨٩.

(٤) علل الشرائع، ص٧٧-٨.

فعل أن يعلم هارون انه وجب عليه الاغتمام والجزع بما اتاه قومه لان الامة من النبي والحجة بمنزلة الاغنام من راعيها، ومن احق بالاغتنام بفريق الاغنام وهلاكها من راعيها وهكذا فعل الحسين بن علي عليه السلام لما ذكر القوم المحاربين له بحرمانه فلم يرعوها قبض على لحيته وتكلم بما تكلم به[1].

ويظهر من رواية الصدوق المذكورة أن الحسين الذي هو حجة من حجج الله أي امام تألم كما تألم موسى لان قومه لم يرتدعوا من موعظته، وأسف على عصيانهم وضياعهم. وبذا أصبحت فاجعة كربلاء فاجعة غير بشرية اعتيادية، وانما هي شبيهة بفاجعات الانبياء، وان الحسين عليه السلام الذي كان موضع تلك الفاجعة لم يتألم لما أصاب نفسه ومتعلقيه من القتل والايذاء، بل انه تألم لان أمة جده المسؤول عن هدايتها بصفته الامام والحجة ضلت بحربها اياه.

ولا عجب بعد أن عرضنا لمحات عن موقف جماعات من الشيعة عرفوا في القرون التالية بالامامية تجاه فاجعة كربلاء، أن نجد الشيخ الامامي جعفر بن محمد بن قولويه (ت:٣٦٧هـ) يخصص الجزء الاكبر من كتابه الموسوم بـ(كامل الزيارات)[2] للإشادة بفضل زيارة قبر الحسين. ويشبه ابن قولويه قاتل الحسين بقاتل يحيى بن زكريا (ص٧٧)، وان جميع ما خلق الله بكوا على الحسين (ص٧٩)، وان السماء والارض بكتا على الحسين ويحيى بن زكريا، وان الملائكة يدعون لزوار قبر الحسين (ص١١٨)، وان زائري الحسين يدخلون الجنة قبل الناس (ص١٣٧).

ولم يحظ أحد من الائمة الاثني عشر بما فيهم علي بن ابي طالب عليه السلام بالاهتمام الذي حظى فيه الحسين عليه السلام من الشيخ جعفر بن قولويه.

---

(١) ايضا، ص٦٨-٩.

(٢) طبع الكتاب المذكور في النجف سنة ١٣٥٦هـ.

ان بذور الفرق الشيعية أخذت تنمو باطراد بعد مقتل الحسين، وامعان الامويين والزبيريين في التنكر للشيعة، وفشل الامويين في كسب القراء والفقهاء الى جانبهم، واجحافهم بحقوق قطاعات كبيرة من سكان الامبراطورية الاسلامية بعامة والموالي بخاصة. فظهرت الكيسانية التي ساقت الامامة الى محمد بن الحنفية وهو ابن لعلي من غير فاطمة بنت النبيﷺ. ثم تفرقت الكيسانية الى جماعات ساقت احداها الامامة من بعد محمد الى ابنه ابي هاشم(١).

وتزعم المختار الثقفي فرقة الكيسانية قال الطبري قد (اجتمعت رؤوس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صرد... فكان المختار اذا دعاهم لنفسه او الى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة قد انقادوا له واجتمعوا عليه فأخذ يقول للشيعة قد جئتكم من قبل المهدي محمد بن علي بن الحنيفة. فو الله ما زال بالشيعة حتى انشعبت اليه طائفة كانت تعظمه وتجيبه)(٢).

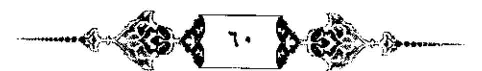
وقد اورد فلهاوزن تفصيلات عن حركة المختار وصلتها بالموالي وغير ذلك مما صلة بالموضوع(٣).

وبالرغم من ان الكيسانية اول من قالت بفكرة الامام المهدي التي اصبحت فيما بعد محور عقيدة الامامية، كما ان زعيمها اول من طبقها في حيز العمل، وان الزعيم المذكور انتصف للشيعة من اعدائهم حين اخذ بثأر الحسين، فان ظهور تلك الفرقة يعد اول انشقاق عقائدي حصل في صفوف الشيعة وذلك لان الكيسانية اخرجت الامامة من ابناء فاطمة الى محمد بن الحنفية وهو ابن لعلي من غير زوجته فاطمة. ولما كانت الامامة كما يعتقد القائلون بالنص والتعيين، منصبا الهيا ليس للبشر ان يمنحوه لأي احد من

(١) انظر عن الكيسانية وفرقها الاشعري (مقالات ج١ص ٨٩ وما بعدها).

(٢) التاريخ ٤-٤٣٤.

(٣) الخوارج والشيعة ، ص١٨٧وما بعدها.



المسلمين بما فيهم ابناء علي من غير فاطمة، نجد الشيخ المفيد يدلل على امامة علي بن الحسين المعاصر لمحمد بن الحنفية امام الكيسانية بوجوه أهمها:

اولاً: ان علي بن الحسين(كان أفضل خلق الله بعد ابيه علما وعملا والامامة للأفضل دون المفضول بدلائل العقول...).

ثانياً: ان عليا كان (اولى بأبيه الحسين عليه السلام وأحق بمقامه من بعده بالفضل والنسب والاولى بالإمام الماضي احق بمقامه من غيره بدلالة آية ذوي الارحام وقصة زكريا عليه السلام).

ثالثاً: وجوب الامامة عقلا في كل زمان وفساد دعوى كل مدع للإمامة في ايام علي بن الحسين عليهما السلام أو مدعا له سواه فثبتت فيه لاستحالة خلو الزمان من الامام).

رابعاً: (ثبوت الامامة ايضا في العترة خاصة بالنظر والخبر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفساد قول من ادعاها لمحمد بن الحنفية (ر) بتعريه من النص عليه، فثبت انها في علي بن الحسين عليهما السلام اذ لا مدعا له الامامة من العترة سوى محمد (ر) وخروجه عنها بما ذكرناه).

خامساً: (نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإمامة عليه فيما روى من حديث اللوح الذي رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم...)[1].

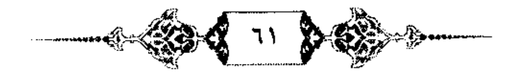
ان أدلة ابطال امامة محمد بن الحنفية التي أوردتها عن المفيد في أعلاه تصلح لإبطال امامة اي علوى من ائمة الكيسانية والزيدية[2]والاسماعيلية[3] حسب مقاييس الشيعة الذين عرفوا فيما بعد بالإمامية والذين يعترفون باثني عشر امام وردت اسماؤهم في حديث اللوح الذي اشار اليه المفيد في ادلته السابقة.

---

(١) المفيد، الارشاد، (طهران،١٣٧٧) ص٢٣٧-٨.

(٢) انظر عن الزيدية (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للأشعري (ص١٢٩وما بعدها)، والنوبختي (فرق الشيعة) ص٥٠-١.

(٣) انظر عن الاسماعيلية (فرق الشيعة) للنوبختي ص٥٧-٨.



أما الشيعة اسلاف الامامية فانهم انتهوا الى القول بإمامة علي بن الحسين (ت ٩٤هـ) وعلي هذا هو الامام الوحيد الحق في نظر الشيخ المفيد الامامي الذي ساق الادلة على بطلان أئمة الشيعة الاخرين المعاصرين لذلك الامام كما بينا ذلك قبل قليل. قال النوبختي (واما الشيعة العلوية الذين قالوا بفرض الامامة لعلي بن ابي طالبعليه السلام من الله ومن رسول اللهﷺ فانهم ثبتوا على امامته ثم امامة الحسن من بعده ثم امامة الحسين بعد الحسن. ثم افترقوا بعد قتل الحسينعليه السلام فرقا فنزلت فرقة الى القول بإمامة علي بن الحسين.. فلم تزل مقيمة على امامته حتى توفي بالمدينة... في اول سنة اربع وتسعين..)[1] اما الفرقة الاخرى فقد قالت بانقطاع الامامة بعد الحسين وان لا امامة لاحد بعده. وفرقة (قالت ان الامامة صارت بعد مضي الحسين في ولد الحسن والحسين...)[2].

ويترتب على ذلك ان فرق الشيعة عند وفاة علي بن الحسين (٩٤هـ) تنحصر في الفرق التالية:

أ. الكيسانية وقد سبقت الاشارة اليها.

ب. الجماعة الشيعية القائلة بانقطاع الامامة بعد موت الحسين.

ج. الفرقة القائلة بإمامة علي بن الحسين.

وبعد وفاة علي بن الحسين ساق جماعة من الشيعة الامامة الى ابنه زيد وعرف هؤلاء بالزيدية وهم الذين (ساقوا الامامة في اولاد فاطمة ولم يجوزوا ثبوت الامامة في غيرهم). الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع، سخي خرج بالإمامة ان يكون اماما واجب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين[3].

وهناك جماعة أخرى من الشيعة استمرت على سوق الامامة في اولاد الحسين وبذا

(١) فرق الشيعة، ص٤٧.

(٢) ايضا، ص٤٨.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل (القاهرة،١٩٤٨) ص٣٠٢.

احتفظت بسلسلة الائمة التي تبنتها جماعة الشيعة التي سميت بالإمامية فيما بعد. يقول النوبختي (واما الذين ثبتوا الامامة لعلي بن ابي طالب ثم للحسن ثم للحسين ثم لعلي بن الحسين ثم نزلوا الى القول بإمامة ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين باقر العلم فأقاموا على امامته الى ان توفي. ولما كانت وفاة الباقر سنة (١١٤ او ١١٩هـ) ترتب على ذلك ان الشيعة الذين اعترفوا بإمامة الباقر بعد ابيه علي زين العابدين لم يطلق عليهم اسم (الامامية) ونظرا لاعتراف هؤلاء الشيعة بسلسلة الائمة التي تبناها الامامية حين تسموا بهذا الاسم فيما بعد، كما سنبين، صح ان نطلق عليهم اسلاف الامامية.

مواطن التشيع والاقوام التي اعتنقته خلال القرنين الاول والثاني للهجرة:

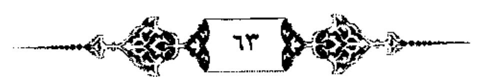
أ. مواطن التشيع

يصعب حصر مواطن الشيعة خلال العهد الاموي لانهم كانوا في حالة تستر وكتمان لمعارضتهم للحكم القائم حينذاك. ويبدو، مع ذلك انهم تركزوا في الكوفة وسوادها والادلة على ذلك كثيرة أهمها:

اولاً: أصبحت الكوفة بعد انتصار معاوية على علي، كما اسلفنا مجرد ولاية تابعة للشام بعد ان كانت عاصمة للدولة الاسلامية في عهد علي. وبعد ان اصبحت السيادة للشام.

وهذا يتجلى في امتلاكها لبيت المال وفي ارتفاع اعطيات أهلها[1]، شعر أهل الكوفة ان مجدهم زال بزوال حكومة علي وولده لذا عدّوهم محط آمالهم المقبلة، ونتيجة لذلك أمتزج الولاء السياسي بالولاء الديني في ولاية الكوفة، وأخذ التشيع

(١) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها – ترجمة عبد الهادي أبو ريده (القاهرة، لا. ت) ص ١٢٦.



ينتشر فيها مع الزمن، بحيث أصبحت أول مركز للتشيع طوال عهد الدولة الاموية. وقد وردت أحاديث بفضلها فكان علي بن أبي طالب يقول: (مكة حرم الله، والمدينة حرم رسول الله، والكوفة حرمي لا يريدها جبار بحادثة الا قصمه الله)[1]،

وكتب المختار من مركزه بالكوفة الى محمد بن الحنفية بعد انتصاره على جيش بني أمية ومقتل عبيد الله بن زياد قائلا: (أما بعد فأنني بعثت أنصارك وشيعتك الى عدوك يطلبونه...)[2]، قال أحدهم: (دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام في زمن بني مروان فقال من أنتم؟ قلنا من أهل الكوفة. قال ما من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة لاسيما هذه العصابة، أن الله هداكم لأمر جهله الناس فأحببتمونا وأبغضنا الناس، وبايعتمونا وخالفنا الناس، وصدقتمونا وكذبنا الناس، فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا...)[3]، قال بن قولويه (ت: ٣٦٧ هـ) ان الامام الباقر عليه السلام: (ان ولايتنا عرضت على أهل الامصار فلم يقبلها قبول أهل الكوفة...)[4]، ويروى حديثا آخر عن الصادق عليه السلام،قال سأل رجل أبا عبد الله فقال: (أني ضربت على كل شيء لي ذهباً وفضة وبعت ضياعي فقلت له أنزل مكة؟ فقال عليه السلام: لا تفعل فأن أهل مكة يكفرون بالله جهرة، قلت ففي حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال عليه السلام: هم شر منهم، قلت فأين أنزل؟ قال عليه السلام: عليك بالعراق الكوفة فأن البركة منها على أثني عشر ميلا هكذا وهكذا، والى جانبها قبر ما أتاه مكروب قط ولا ملهوف الا فرج الله عنه)[5].

وروى أبن قولويه أيضا أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (قال لي جبرائيل يا محمد أن أخاك

(١) الكليني، محمد بن يعقوب. الكافي ج ٤ (طهران، ١٣٨١ هـ) ص ٥٦٣.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الامالي، (طبعة حجر، ١٣١٣) ص ١٥٢.

(٣) الطوسي، الامالي، ص ٨٩.

(٤) كامل الزيارات، ص ١٦٨ ويروي المؤلف حديثا مماثلا في الصفحة نفسها يقول فيه (ان الله عرض ولايتنا...)

(٥) أيضا ص ١٦٨ - ٩.

مضطهد بعدك... يقتله أشر الخلق... ببلد تكون اليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده...)[1]، ويبدو من الاحاديث السابقة ان أهل الكوفة الذين تقاعسوا عن نصرة علي في حياته، وان شخصا كوفيا منهم أجهز عليه في محرابه، وهم الذين خذلوا الحسن وقتلوا الحسين وسبوا عياله، أصبحوا فيما بعد أول من خف لقبول ولاية أهل البيت بعد ان رفضها الناس، وأن بلدهم أصبح أجدر بالسكنى من حرم الله وحرم رسوله. وما نالت الكوفة وأهلها ذلك الفضل الذي لا يؤهلها له تاريخها السابق بالنسبة لآل البيت الا بكونها أصبحت أول مركز نمت بذور التشيع فيه وتطورت بين ربوعه.

ثانياً: كان قوام حركة التوابين من الشيعة الكوفيين، وكانت اكثرية الذين قتلوا في (عين الوردة) من شيعة الكوفة. روى الطبري ان سليمان ابن صرد مر بقبر الحسين قبل ذهابه لحرب عبيد الله بن زياد وخطب بجيشه فقال: (اللهم ارحم حسيناً الشهيد بن الشهيد، المهدي بن المهدي. الصديق ابن الصديق اللهم أنا نشهدك انا على دينهم وسبيلهم، واعداء قاتليهم واولياء محبيهم...)[2].

ثالثاً: اتخذت المعارضة في الكوفة، غالباً، مظهراً دينياً. وكان البيت الاموي، من بيت البيوتات المرشحة لحكم الدولة الاسلامية في ذلك العهد آخر من يستطيع اثبات حقه بالخلافة من الناحية الدينية. روى الطبري ان عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه، الذي أنضم الى العراقيين في ثورتهم ضد الامويين سنة ٨٣ هـ، قال: (قاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه...). وقال الشعبي في المناسبة نفسها: (يا أهل الاسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم، فو الله ما أعلم قوما على بسيط الارض أعمل بظلم، ولا أجور منهم في الحكم فليكن بهم البدار). وقال سعيد بن جبير في تلك المناسبة: (قاتلوهم ولا تألموا من قتالهم بنية ويقين،

(١) أيضا، ص ٢٦٣.

(٢) التاريخ، ج٤، ص٤٥٦.

وعلى آثامهم، قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين وأستذلالهم الضعفاء واماتتهم الصلاة)[1].

ومن الجدير بالذكر ان الفقهاء المذكورين وصفوا بأقوالهم السابقة حكم الحجاج عامل الامويين في العراق. وربما ان الكوفيين بعامة والشيعة منهم بخاصة رأوا في ظلم الحجاج مصداقا لنبؤة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الحجاج. روى الأصفهاني ان الاشعث بن قيس أغضب عليا ذات مرة. فقال الامام علي: (مالي ولك يا أشعث أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك، قيل: يا أمير المؤمنين ومن غلام ثقيف؟ قال: غلام يليهم ولا يبقي أهل بيت من العرب الا ادخلهم ذلا...)[2].

ويبدو ان الامويين لم ينالوا التأييد التام الا من أهل الشام الذين كان تأييدهم لسلطان بني أمية مبنيا على الدفاع عن مكان الصدارة الذي كان لولايتهم، ثم أنهم لم يكونوا يأبهون لمسالة الحق الشرعي[3].

رابعاً: ان معظم القبائل العربية التي سكنت الكوفة أيام الفتوحات كانت من اليمن. روى البلاذري ان الشعبي قال:(كنا- يعني أهل اليمن - اثني عشر الفا، وكانت نزار ثمانية الاف، ألا ترى انا أكثر اهل الكوفة، وخرج سهمنا بالناحية الشرقية فلذلك صارت خططنا بحيث هي)[4].

ويقول فلهاوزن كانت اليمانية في الكوفة أكبر القبائل عدداً وأهمية[5].

ومن الجدير بالذكر ان معظم القبائل اليمانية وخاصة همدان مال الى التشيع لآل علي.

(١) الطبري، التاريخ ٥: ١٦٣.

(٢) مقاتل الطالبين، ص ٢٣.

(٣) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص ١٦١.

(٤) فتوح البلدان (القاهرة، ١٩٣٢) ص٢٧٦.

(٥) الخوارج والشيعة ص١٦٠.

يقول ماسنيون ان همدان القبيلة العظيمة الخطيرة ذات الشوكة والقوة كانت شديدة التشيع[1].

ويعزو وات (watt) تشيع اليمانيين الى أسباب عديدة أهمها:

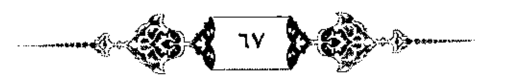
١. ان اكثرية القبائل اليمانية قبل الاسلام كانت تعتنق المسيحية على مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح (المونوفوستية) وذلك لتأثرها بالأحباش الذين كانوا يعتنقون المذهب المذكور. ويرى المونوفستيون ان للمسيح، بكونه قائداً روحيا، طبيعة لاهوتية مضافاً الى طبيعته الناسوتية وبعد ان اعتنقت القبائل اليمانية الاسلام تأثرت بتقاليدها الدينية السابقة فمالت نحو التشيع الذي يحتل فيه الامام، بكونه القائد الروحي للشيعة،مركز المسيح بالنسبة للمونوفستيين.

٢. عاشت القبائل اليمانية لعشرين قرنا خلت، في بلاد سبق ان تكونت فيها دول ذات مدنية عريقة. وبعد ان سقطت الدولة الحميرية سنة ٥٢٥م، خضعت اليمن، في الفترة التي سبقت خضوعها للإسلام لدولتي الاحباش والفرس. وقد ورثت القبائل اليمانية من حكوماتها العربية السابقة تقليدا يتمتع الحاكم بموجبه بصفات روحية (charismatic) مضافاً الى سلطاته السياسية. وبقي الامراء العرب، الذين احتفظوا بسلطات محلية على السكان الحضر الذين كانوا ممتزجين مع السكان البدو في معظم تلك المناطق، يتمتعون بالصفات المذكورة للحكام.

وبعد ان أسلم عرب الجنوب، قبل معظمهم فكرة القائد الذي يتمتع بصفات شبه الالهية. ويمكن ان نعزو انجذاب هؤلاء نحو الاسلام الى انهم رأوا توفر الصفة المذكورة بمحمدﷺ. واعتقد هؤلاء ان خلاص الفرد يتحقق عندما يكون عضواً في مجتمع يقوده فرد يتمتع بصفات شبه الهية.

ونتيجة لذلك كان جماعة من انصار علي الاول يردون على نقد الخوارج قائلين

(١) خطط الكوفة- ترجمة تقى المصعبي (صيدا،١٩٣٩).



بأن عليا إمام الحق والارشاد. وكانت العبارة الاخيرة، دون شك ذات محتوى ديني، اي ان التوجيه المذكور يرشد الانسان نحو الله أي نحو الجنة. وفي الوقت الذي نجد فيه الخوارج يقبلون شكلاً من الاسلام تغلب عليه النزعة البدوية، نجد الشيعة يقبلون شكلا آخر من الاسلام اتخذ مملكة يحكمها قائد شبه الهي[١].

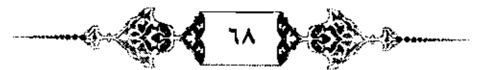
وبالرغم من وجاهة الاسباب التي قدمها (وات) لقبول أكثرية القبائل اليمانية في الكوفة للتشيع لآل علي، فان عقيدة الشيعة الامامية، الذين يهمنا بحث احوالهم في هذا الكتاب، ترفض من آرائه كل فكرة قد تؤل بأن الائمة الاثني عشر عليهم السلام يتمتعون بصفات شبه الهية. اذ يعتقد الامامية بصورة قاطعة ان ائمتهم بشر ولكنهم معصومون عن الخطأ والخطيئة والنسيان كما سنفصل في حينه.

اما الشيعة الذين سكنوا المناطق الشرقية من البلاد الاسلامية امثال خراسان والري واصفهان وجرجان فيبدو أنهم كانوا في الغالب خلال القرنين الاول والثاني للهجرة من الغلاة أو من الزيدية. وسنرجئ الكلام عن الغلاة الى موضعه من هذا الكتاب. وعندما ثار زيد بن علي في الكوفة انضم اليه جماعات من الشيعة الساكنين في عدد من المناطق الايرانية. ذكر الاصفهاني: (ان الشيعة لقوا زيدا فقالوا له اين تخرج عنا... ومعك مائة الف سيف من اهل الكوفة والبصرة وخراسان...).

(واقبلت الشيعة وغيرهم يختلفون اليه (زيد) ويبايعون حتى احصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة، سوى أهل المدائن... وخراسان والري وجرجان)[٢]. وكان لفشل ثورة زيد أثر في تكتل الشيعة وهياجهم ضد حكم بني أمية. قال اليعقوبي:(ولما قتل زيد وكان من امره ما كان تحركت الشيعة بخراسان وظهر امرهم، وكثر من يأتيهم ويميل معهم، وجعلوا يذكرون للناس فعل بني امية، وما نالوا من آل

(١) op.cit,p.104

(٢) مقاتل الطالبين،ص٩٦.



رسول اللهﷺ حتى لم يبق بلد الا فشا فيه هذا الخبر وظهرت الدعاة)[1].

وقبل مقتل يحيى بن زيد قابله متوكل بن هارون فأودعه صحيفة دعاء وقال هي: (أمانة لي عندك حتى توصلها الى ابني عمي محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليعليه السلام فانهما القائمان في هذا الامر بعدي...)[2] ومحمد وابراهيم هذان هما اللذان ثارا في عهد المنصور العباسي وقتلا بأمر منه[3].

أما الشيعة اسلاف الامامية فيبدوا ان عددهم كان ضئيلاً جداً في الاقسام الشرقية من البلاد الاسلامية في الفترة موضوع البحث. ولم يجد مذهبهم حينذاك تربة خصبه في البلاد الايرانية. وقد وفد المذهب المذكور من الكوفة على يد جماعة من العرب سكنوا في مدينة أسمها (قم). وقد تكلم الحسن بن محمد القمي (ت: ٣٧٨هـ) عن تأسيس قم على يد جماعة من عرب الكوفة يعرفون بالأشعريين. وعن جهودهم في ادخال المذهب الشيعي، الذي عرف فيما بعد بالمذهب الجعفري، الى ايران في كتابه الموسوم بـ (تاريخ قم)[4] وقد اوردت ياقوت الحموي تفصيلات عن قم، وقال انها (مدينة مستحدثة اسلامية لا اثر للأعاجم فيها، واول من مصرها طلحة ابن الاحوص الاشعري... وأهلها كلهم شيعة امامية وكان بدء تمصيرها في ايام الحجاج بن يوسف سنة (٨٣هـ)... فلما انهزم ابن الاشعث ورجع الى كابل منهزما كان في جملته اخوة يقال لهم عبد الله والاحوص وعبد الرحمن واسحاق ونعيم وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الاشعري... وكان متقدم هؤلاء الاخوة عبد الله بن سعد وكان له ولد قد ربي في الكوفة فانتقل منها الى قم وكان

---

(١) التاريخ، ج٣ (النجف، ١٣٥٨هـ) ص٦٥.

(٢) الصحيفة السجادية (النجف،١٣٥٢) ص٨.

(٣) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين،ج٢ص١٩٢ وما بعدها.

(٤) طبع الكتاب المذكور بترجمته الفارسية في طهران سنة ١٣٥٣هـ.

اماميا[1] وهو الذي نقل التشيع الى اهلها فلا يوجد بها سني قط)[2].

وقد نفى الصادق، وهو امام الشيعة اسلاف الامامية، وجود شيعة له في خراسان بعد نجاح الدعوة العباسية بقليل. ذكر المسعودي ان الامام الصادق ول لعبد الله بن الحسن حين كلمه بأمر رسالة بعثها له ابو سلمة الخلال اول وزير لبني العباس يدعوه فيها لتسلم الخلافة (يا ابا محمد؟ امر ما اتى بك قال نعم، هو أجل من ان يوصف، فقال: وما هو، يا ابا محمد؟).

قال: هذا كتاب ابي سلمة يدعوني الى ما اقبله. وقد قدمت عليه شيعتنا من اهل خراسان، فقال له ابو عبد الله: يا ابا محمد ومتى كان اهل خراسان شيعة لك؟ انت بعثت ابا مسلم الى خراسان وانت امرته بلبس السواد، وهل الذين قدموا العراق انت كنت سبب قدومهم او وجهت فيهم، وهل تعرف منهم احدا؟[3].

ويبدو ان الشيعة اسلاف الامامية، فضلا عن ندرتهم في خراسان حينذاك، لم يسهموا اسهاما فعالا في جهد بني هاشم المشترك ضد بني امية لان ائمتهم بعد الحسين لا يرون القيام بالسيف في وجه الظلم قبل ظهور المهدي صاحب الزمان. ويروى انا ابا مسلم كتب الى الصادق قائلا: (اني قد اظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني أمية الى مولاة أهل البيت فان رغبت فلا مزيد عليك). فكتب اليه الصادق (ما انت من رجالي ولا الزمان زماني)[4].

ويبدو ان الزيدية والكيسانية هم الذين اسهموا في كفاح بني هاشم المشترك ضد بني امية.

---

(١) اصبح الشيعي من اسلاف الامامية والشيعي الامامي يعني شيئا واحدا في عهد الحموي.

(٢) معجم البلدان، ج٧ (القاهرة، ١٩٠٦) ص١٥٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٣ (القاهرة، لا. ت) ص١٨٤.

(٤) الملل والنحل، ص ٣٠٠-١.

ويقول يحيى بن زيد مقارنا بين نفسه وابيه وبين أئمة الشيعة اسلاف الامامية.(ان الله عزّ وجل ايد هذا الامر بنا وجعل العلم والسيف فجمعا لنا وخص بنو عمنا (يقصد الامامين الباقر وابنه الصادق) بالعلم وحده...)[1].

ب. الاقوام التي قالت بالتشيع خلال القرنين الاول والثاني للهجرة:

يبدو ان التشيع في الفترة المذكورة نما في بيئة عربية في الغالب وهي الكوفة وسوادها، كما بينا سابقا، وكانت غالبية مؤيديه حينذاك من سكانها التي كانت اكثريتهم من العرب. يقول كولدزيهر ان (التشيع كالإسلام عربي في نشأته وفي أصوله التي نبت فيها)[2].

ان النتيجة التي توصل اليها كولدزيهر لها ما يسندها في الحديث والتاريخ. اما في الحديث فان ابا ذر قال رأيت رسول الله وقد ضرب كتف علي بيده وقال يا علي (من احبنا فهو العربي ومن ابغضنا فهو العلج، فشيعتنا اهل البيوتات والمعادن...)[3] وقال الامام الصادق: (نحن بنو هاشم وشيعتنا العرب وسائر الناس الاعراب). وقال ايضا: (نحن قريش وشيعتنا العرب وسائر الناس علوج الروم)[4].

ان الاحاديث المذكورة، سواء قالها ام لم يقولوها، تكشف عن انطباع الشيعة اسلاف الامامية عن العجم خلال القرون الاسلامية الاولى لان اكثرية العجم في تلك القرون كانت قد انضمت الى الفرق الشيعية الغالية، كما سنبين في موضعه من هذا الكتاب،

(١) الصحيفة السجادية، ص٥.

(٢) العقيدة والشريعة في الاسلام - ترجمة محمد يوسف - (القاهرة ١٩٤٦) ص٢٠٥.

(٣) الديلمي، ارشاد القلوب، ج٢، ص٤٧.

(٤) الكليني الكافي، ج٨، ص١٦٦.



كالكيسانية[1] والهاشمية[2]، التي ساندت العباسيين[3] في أوائل حكمهم مساندة فعالة، أو لفرق أهل السنة من المسلمين. ومن المعلوم ان كلتا الجماعتين في نظر الشيعة اسلاف الامامية وخلفائهم، مخطئتين لعدم اعترافهما بأئمة الحق، وهم في نظر اولئك الشيعة، الائمة الاثنا عشر المعصومون.

أما الادلة التاريخية التي تؤيد ظهور التشيع بين العرب وفي بيئة تتغلب عليها الصفات العربية، وهي الكوفة، فأهمها:

اولاً: كان انصار علي الذين ايدوه في حربه مع خصومه يتكونون، في الغالب الاعم من عرب الحجاز والعراق ولم نعثر على اسم فرد ذي اهمية او قائد كبير من قواد علي من (مثلا) كان ايراني الاصل.

ثانياً: كان الذين كتبوا للحسين يستقدمونه، سنة ٦٠هـ، للكوفة، كلهم، كما يظهر من الاسماء التي وردت في الكتاب[4] المنسوب لابي مخنف، من زعماء القبائل العربية الساكنة في الكوفة وسوادها حينذاك.

ثالثاً: كان انصار سليمان بن صرد الخزاعي في حركة (التوابين) كلهم تقريبا من القبائل العربية في العراق. يقول فلهاوزن اجتمع في النخيلة ٤٠٠٠ من التوابين (وكان بينهم عرب من كل القبائل وكثير من القراء ولم يكن بينهم احد من الموالي)[5].

ونستنتج من كل ما سبق ان التشيع نشأ في الاصل، كما نشأ الاسلام، في بيئة عربية، وان انصاره الاول كانوا من العرب ويترتب على ذلك انه ليس مذهبا ايراني الاصل.

---

(١) النوبختي، فلاق الشيعة، ص٢٤.

(٢) ايضا، ص٤٦.

(٣) فلها وزن، الخوارج والشيعة، ص٢٤٨.

(٤) مقتل الامام ابي عبد الله الحسين (النجف، ١٩٦٠) ص١٨.

(٥) الخوارج والشيعة، ص١٩٤.

وقد ايدت البحوث التي قام بها فلهاوزن، بالإضافة الى الادلة التي ذكرناها فيما سبق، ما ذهبنا اليه. ويقول فلهاوزن، بعد ان يفند اراء دوزي وآ. ملر، وهما من اوائل القائلين بان التشيع ايراني الاصل: (اما ان اراء الشيعة كانت تلائم الايرانيين فهذا امر لا سبيل الى الشك فيه، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الايرانيين فهذا امر لا سبيل الى الشك فيه، اما كون هذه الآراء قد انبعثت من الايرانيين فليست تلك الملائمة دليلا عليه. بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك. اذ تقول ان التشيع الواضح الصريح كان قائما اولا في الدوائر العربية، ثم انتقل بعد ذلك منها الى الموالي...)[١].

ويبدو، بالرغم مما سبق، ان حركة المختار في الكوفة كانت بداية لانخراط عدد من الموالي في صفوف الغلاة من الشيعة. واستهوى المختار الموالي لأغراض سياسية، بأن أدخلهم في جيشه وساواهم بالعطاء مع العرب مما أثار حفيظة العرب أنفسهم فقالوا: (عمدت الى موالينا وهم فيئ افأه الله علينا وهذه البلاد جميعا فاعتنقنا رقابهم نأمل الاجر... فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركائنا في فيئنا...)[٢].

وروى الطبري ان احد زعماء الكوفة قال لصاحبه في معرض حديثه عن مقاومة المختار (ومع الرجل [المختار] والله شجعاؤكم... ثم معه عبدكم ومواليكم... وعبيدكم ومواليكم اشد حنقاً عليكم من عدوكم فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة العجم)[٣].

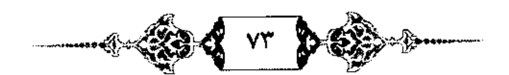
وكانت سياسة التمييز في الحقوق بين العرب وغيرهم من سكان الامبراطورية التي اتبعها الامويين، الذين كانوا يمثلون سيادة العرب لا سيادة الاسلام، من العوامل التي دفعت الموالي للانضواء تحت راية الاحزاب المعارضة من خوارج وشيعة. وحاولت

---

(١) الخوارج والشيعة، ٤:٥١٨.

(٢) الطبري، ٤:٥١٨.

(٣) ايضا، ج٤، ص٥١٨.



احزاب المعارضة من جانبها ان تجد في الموالي حلفاء على بني امية، فاستعان بهم المختار، كما أسلفنا،كما استعان بهم عبد الرحمن بن الاشعث في حركته ضد الامويين، واستعان الخوارج والشيعة بالموالي، ولكن الشيعة كانوا أكثر نجاحاً من الخوارج في ضم الموالي الى صفوفهم في كفاحهم مع بني امية[1].

وكان جل الموالي الذين انضموا الى التشيع خلال المراحل الاولى من تاريخه هم من الغلاة كما سنبين في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

اما الفرق الشيعية المعتدلة التي جمعتها عقيدة الامامية الاثني عشرية فيما بعد،فيظهر انها لم تجد تربة خصبة في ايران خلال القرون الهجرية الثلاثة الاولى.

وتركز التشيع المعتدل في الفترة موضوع البحث في مدينة قم كما اسلفنا وسبق ان بينا ان الامام الصادق انكر وجود شيعة له في ايران عند قيام الدولة العباسية. كما ان معظم البيوتات المهمة ذات الاصل الايراني او التي اتخذت من ايران مراكز لحكمها كالبرامكة وبني طاهر والسامانيين لم يكونوا من الشيعة. يضاف الى ذلك ان امثلة وردت يتبين منها ان الشيعة في النصف الاول من القرن الثالث كانوا مضطهدين في خراسان. روى الكشي ان محمد بن طاهر (ت:٢٢٦هـ) غضب على ابي يحيى الجرجاني، وهو من الشيعة (فأمر بقطع لسانه ويديه ورجليه، وبضربه الف سوط وبصلبه.. وسعى بذلك محمد بن الرازي.. بحديث روى محمد بن يحيى.. لعمر بن الخطاب. فقال ابو يحيى ليس هو عمر بن الخطاب هو عمر بن شاكر..)[2].

ويبدو ان غالبية الايرانيين استمرت على رفضها للتشيع خاصة المعتدل منه الى ما بعد الفترة التي حددناها في صدر هذا البحث. فالمقدسي حين يتكلم عن السواد الاعظم من المسلمين يقول: (ولم أر السواد الاعظم الا من اربعة مذاهب، اصحاب ابي حنيفة

(١) فلها وزن، الدولة العربية وسقوطها، ص٦٨.

(٢) الرجال، ص٤٤٧.

بالمشرق، واصحاب مالك بالمغرب، واصحاب الشافعي بالشاش وخزائن نيسابور، واصحاب الحديث بالشام.. وبقية الاقاليم ممتزجون..).

ويقول ايضا: (الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة.. وبالكوفة الشيعة الا الكناسة فأنها سنة.. واكثر اهل البصرة قدرية وشيعة..) وفي الموصل (حنابلة وجلبة للشيعة..)[1].

ويبدو من النص السابق ان مركز الشيعة الرئيسي في القرن الرابع الهجري الكوفة بخاصة والعراق بعامة وان الشعوب الايرانية كانت منقسمة بين مذهبي ابي حنيفة والشافعي.

ولعل انتشار المذاهب السنية في ايران حينذاك يفسر لنا كيف ان معظم قادة الفكر السني في الفترة موضوع البحث كانوا من الايرانيين او عاشوا بارض ايرانية، وذلك امثال ابي حنيفة والشيخ معروف الكرخي والبخاري والغزالي ونظام الملك الذي عرف بمقاومته للتشيع حين انشأ المدارس النظامية المعروفة.

اما كيف انتشر التشيع في ايران، وكيف اصبحت ايران من امهات بلدان الشيعة في الوقت الحاضر فهي امور خارجة عن نطاق بحثنا. ونكتفي هنا بإيراد رأيين لكاتبين معاصرين وهما احمد كسروي ودونالدسن. يقول كسروي (شاع الترفض في ايران ولكنه لم يتمكن الا في بعض البلدان من قم وسبزوار وغيرهما. فكان الغالب على الايرانيين التسنن ولا سيما ايام السلجوقيين الذين كانوا ملوكا يتعصبون لأهل السنة)[2].

ويقول دونالدسن (وعندما استولت الاسرة الصفوية في ابتداء القرن السادس عشر على الحكم جعلت بدورها المذهب الشيعي المذهب الرسمي للدولة)[3].

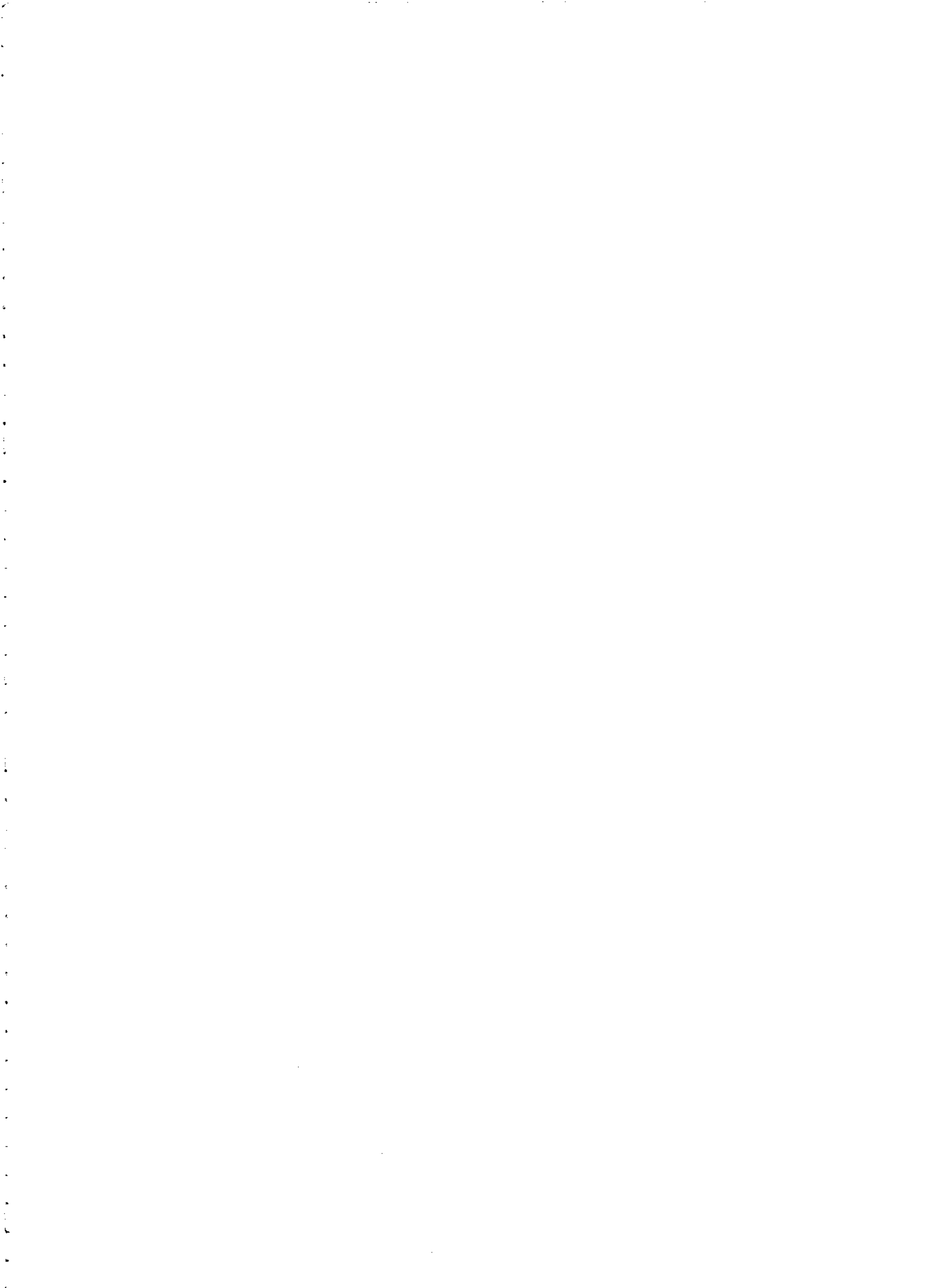
---

(١) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن، ١٩٠٦) ص:٣٩، ١٣٦، ١٤٢.

(٢) التشيع والشيعة (طهران،١٣٦٤) ص٥٢.

(٣) عقيدة الشيعة، ص٢٩٠.





الفصل الثاني:

ظهور فرقة الامامية الاثني عشرية ورسوخها بفكرة غيبة المهدي

تتبعنا في الفصل الاول نشوء فرق الشيعة وتطورها حتى نهاية الربع الاول من القرن الثاني للهجرة وبينا أنه لم تكن بين تلك الفرق فرقة تسمى بالإمامية.

وبعد ان انتقلت الامامة الى الصادق بعد وفاة ابيه الباقر اعترف الشيعة اسلاف الامامية بإمامته، ويظهر ان القائلين بإمامته كونوا فرقة دينية متميزة. روى الكشي ان شيعة الصادق في الكوفة سموا بالجعفرية[١].

وبالرغم من ذلك فقد بقي الشيعة الموالون للصادق في الكوفة يسمون بـ(شيعة علي).

قال سعيد بن يسار (سمعت أبا عبد الله الصادق يقول: الحمد لله صارت فرقة مرجئة وصارت فرقة حرورية، وصارت فرقة قدرية، وسميتم الترابية[٢] وشيعة علي...)[٣].

ونفيد من النصوص السابقة ان الفرقة الموالية للصادق كانت في حياته تسمى بالترابية أو شيعة علي أو الجعفرية ولم تسم بالإمامية.

ويبدو أن اسم الرافضة قد أطلق في حياة الصادق على الشيعة الموالية له.

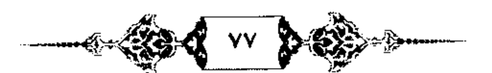
وترد أخبار مختلفة عن معنى (الرافضة) وعمن أطلق ذلك الاسم على الشيعة. ويشير أحد تلك الاخبار الى أن المغيرة بن سعيد المقتول سنة ١١٩هـ/ ٧٣٧م هو الذي أطلق

---

(١) الرجال (بمبي،١٣١٧) ص١٦٥.

(٢) نسبة لابي تراب وهو لقب اطلقه النبيﷺ على عليعليه السلام.

(٣) الكليني، الروضة (طهران،١٣٨١) ص٨٠.



اسم الرافضة على القائلين بإمامة جعفر بن محمد الصادق. يقول سعد الاشعري (فلما توفي ابو جعفر (الباقر)عليه السلام افترقت فرقته فرقتين: فرقة منها بإمامة محمد عبد الله بن الحسن بن حسن بن علي بن ابي طالب... وكان المغيرة بن سعيد قال بهذا القول لما توفي ابو جعفر محمد بن علي وأظهر المقالة بذلك فبرئت منه الشيعة شيعة جعفر من محمد ورفضوه ولعنوه، فزعم انهم رافضة، وانه هو الذي سماهم بهذا الاسم...)[1].

ويخالف أبو الحسن الاشعري الرأي السابق بخصوص تسمية الرافضة فيقول (وانما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر)[2]. أما الشهرستاني فله راي اخر حول الموضوع نفسه. ويقول ان زيد ابن علي كان يقول (يجوز ان يكون المفضول اماما والافضل قائم... ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه، وعرفوا انه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه.. فسميت رافضة)[3].

وللشيخ المفيد رأي اخر في سبب تسمية الشيعة بالرافضة اورده مسندا بحديث نسب الى الامام الصادق قوله عندما اشتكى اليه ابو بصير يحيى بن القاسم الاسدي الذي قال: (فانا قد نبزنا نبزا انكسرت له ظهورنا، وماتت له افئدتنا، واستحلت به الولاة دماءنا في حديث رواه فقهاؤهم هؤلاء. قال: فقال: الرافضة؟ قلت نعم، قال لا والله ما هم سموكم بل الله سماكم...).

وعلل الامام لابي بصير ذلك بان بني اسرائيل رفضوا فرعون ولحقوا بموسى (فأوحى الله الى موسى ان أثبت لهم هذا الاسم في التوراة، فاني قد نحلتهم، ثم ذخر الله الاسم حتى سماكم به اذ رفضتم فرعون وهامان وجنودهما واتبعتم محمد وآل محمد...)[4].

---

(١) كتاب المقالات والفرق، ص٧٦-٧.

(٢) مقالات الاسلاميين،ص٨٧.

(٣) الملل والنحل،١: ١٣٨-٩.

(٤) الاختصاص، ص١٠٤-٥.

ونخرج عن كل ما قيل عن الرافضة بالنتائج التالية:

اولاً: أن خصوم الشيعة من أهل السنة هم الذين سموهم بالرافضة لأسباب تتعلق بموقفهم من خلافة الشيخين. ويؤيد ذلك ما أوردته المصادر، وما قاله أبو بصير في شكواه للإمام الصادق المذكورة في اعلاه.

ثانياً: أن هدف المفيد من ايراد الحديث السابق الاستناد عليه في عقد مقارنة بين مصائب الشيعة التي حلت بهم على يد خصومهم وبين أصحاب النبي موسى على يد فرعون، حذو القذة بالقذة، وذلك لان اولئك وهؤلاء، في نظر المفيد، تعرضوا للإيذاء بسبب طاعتهم لله كما رسمها موسى لأصحابه في سالف الزمان ومحمد وآل محمد لمواليهم في دولة الاسلام. وقد دأب علماء الشيعة على عقد أمثال المقارنة المذكورة حين تحين المناسبة لها. فابن قولويه، مثلا، شبه مقتل الحسين بمقتل يحيى بن زكريا، كما بينا سابقا. وسنعرض لإيراد امثال هذه المقارنات في أمكنتها من هذا البحث.

ثالثاً: ان الرواية التي تنسب للمغيرة تسمية الشيعة بالرافضة ضعيفة ولا تصمد للنقد. لان رفض الشيعة المعتدلين للمغيرة أمر طبيعي لأنه من الغلاة، فلا موجب لحنق الشيعة من تسمية اطلقها عليهم احد الغلاة الخارجين عن الدين في نظرهم لانهم خرجوا من حد الامامة الى الربوبية. ولا موجب ايضا لان يستحل ولاة السلطان دماء الشيعة، على حد قول أبي بصير، اذا كانت التسمية لا علاقة لها بالخلاف المذهبي والمس بسيرة الشيخين.

ويظهر أن كلمة (الشيعة) مجردة كانت تطلق أيضا على الموالين للإمام الصادق في عهده. ويدل على ذلك ما رواه الكشي من ان عمرو بن يزيد قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فحدثني مليا في فضائل الشيعة...)[1] وقال أبان بن تغلب المعاصر للإمامين

(١) الرجال، ص٣٩.



الباقر والصادق لزميل له (تدري من الشيعة؟ الشيعة الذين اذا اختلف الناس عن رسول الله ﷺ اخذوا بقول علي، واذا اختلف الناس عن علي اخذوا بقول جعفر بن محمد)[1].

ويؤكد هذا ما سبق أن بيناه وهو أن انصار الصادق ومواليه لم يسموا بالإمامية في عهده. ولما كان هؤلاء يعتقدون بإمامة الائمة المعصومين حسب التسلسل الذي تبنته الشيعة الامامية حين سميت بهذا الاسم فيما بعد، آثرنا ان نطلق عليهم اسم (أسلاف الامامية). يضاف الى ذلك ان اخذ اولئك الشيعة بقول جعفر بن محمد دون غيره من اولاد علي يعني انهم يعتنقون المذهب الجعفري، والجعفرية والامامية الاثنا عشرية اصبحوا فيما بعد شيئا واحدا.

ويبدو أن اصطلاح (شيعة) مضافة الى امام معين و(الشيعة) مجردة كانا هما المستعملين دون الامامية للدلالة على موالي آل البيت أثناء امامة موسى الكاظم (ت:١٨٣هـ). زار الكاظم، بعد وفاة الصادق، أحد مواليه فقال(شيعتك وشيعة أبيك)[2] وبعد وفاة الكاظم ظهر الواقفة الذين انكروا إمامة الرضا عليه السلام. قال الكشي (كان بدو الواقفة انه كان اجتمع ثلاثون الف دينار عند الاشاعثة لزكاة اموالهم وما كان يجب عليهم فيها فحملوه الى وكيلين لموسى عليه السلام بالكوفة... وكان موسى عليه السلام في الحبس فاتخذا بذلك دورا وعقدا العقود.. فلما مات موسى فانتهى الخبر اليهما أنكرا موته واذاعا في الشيعة انه لا يموت لأنه القائم، فاعتمدت عليه طائفة من الشيعة.. حتى كان موتهما اوصيا بدفع ذلك المال الى ورثة موسى عليه السلام فاستبان للشيعة انهما...)[3] وبعد موت الكاظم سمي القائلون بإمامته، وامامة علي بن موسى من بعده (القطعية) (لأنها قطعت على وفاة موسى بن جعفر وعلى امامة علي ابنه بعده ولم تشك في امرها ولا ارتابت ومضت على

(١) النجاشي، الرجال (طهران، لا.ت) ص١٠.

(٢) الكشي، الرجال، ص ٣٩٠-١.

(٣) ايضا، صض٣٩٠-١.

المنهاج الاول)[1].

ويتضح من النص السابق ان انصار الكاظم ومواليه لم يعرفوا بالإمامية عند وفاته ونفيد من كل ما سبق ذكره ان اصطلاح (الامامية) ما كان معروفا حينذاك بين الاصطلاحات المذكورة، وان تلك الاصطلاحات جميعها تعني شيئا واحدا لأنها كانت تطلق على الشيعة اسلاف الامامية أو الجعفرية او القطعية بعد وفاة الكاظم، وهم شيعة آل البيت الذين ساقوا الامامة الى جعفر الصادق وابنه موسى من بعده وعلي بن موسى بعد أبيه، ويقصد بآل البيت، في نظر هؤلاء حصراً، الائمة المعصومون من ولد الحسين دون غيره من آل علي. وهذا ما قصده النوبختي في اعلاه بقوله انها مضت على المنهاج الاول اي تبنت سلسلة الائمة الذين عرفوا فيما بعد بالأئمة الاثني عشر المعصومين.

وبعد ما قدمت سأحاول فيما يلي ان اقترح بداية لظهور مصطلح (الامامية) واطلاقه على جماعة من الشيعة القائلين بإمامة اثني عشر اماما تسعة منهم من ولد الحسين وآخرهم المهدي المنتظر.

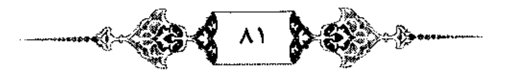
لقد وصف جماعة من الشيعة قبل حصول الغيبة سنة ٢٦٠هـ بأنهم اماميون منهم علي بن اسماعيل التمار الذي عده الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ) (أول من تكلم على مذهب الامامية)[2] وعلي هذا كان معاصرا لهشام بن الحكم الذي توفي سنة ١٩٩هـ على أشهر الروايات. ومنهم محمد بن خليل بن جعفر المعروف بالسكاك صاحب هشام بن الحكم وتلميذه. وكان محمد المذكور (امامياً له كتاب في التشبيه)[3] واذا صح ان وفاة هشام بن الحكم كما ذكرنا يظهر ان هناك جماعة عرفوا بالأمامية في حدود نهاية القرن الثاني للهجرة. ولكننا نرجح ان مصطلح (امامية) لم يكن معروفا في ذلك الحين، وان الطوسي وابن داود

---

(١) النوبختي، فرق الشيعة، ص٦٧، والشهرستاني، الملل والنحل، ج١،ص١٥٠.

(٢) الفهرست (النجف،١٩٦٠) ص١١٣.

(٣) الحلي، ابن داود، الرجال (طهران،١٣٤٢) ص٣١٠.



الحلي (من علماء القرن السابع) اطلقا على علي التمار والسكاك المذكورين في اعلاه كلمة (امامي) لانهما كانا شيعين من موالي اهل البيت او لان اصطلاح (امامي) و(شيعي) تعني في عهدهما شيئا واحدا. وكان حبيب بن اوس ابو تمام الطائي (ت:٢٣١هـ) (اماميا وله في اهل البيت مدائح كثرة)[١] ويقول النجاشي (ت:٤٥٠هـ) عند ترجمته لعلي بن عبيد الله بن حسين بن علي انه (كان ازهد ال ابي طالب واعبدهم في زمانه، واختص بموسى والرضا عليه السلام واختلط بأصحابنا الامامية..)[٢].

ولما كانت وفاة الرضا سنة ٢٠٣هـ، يبدو لأول وهلة ان جماعة من الشيعة عرفوا بالإمامية كانت موجودة في بداية القرن الثالث للهجرة. والذي أراه ان نص النجاشي هذا يصدق عليه ما قلناه في اعلاه عن النصين اللذين أوردهما الطوسي والحلي.

ويؤيد ما قاله سعد الاشعري حول انقسام الشيعة الى خمس فرق بعد وفاة علي الرضا عليه السلام لم يكن بينها فرقة تسمى الامامية. وان من بين تلك الفرق (فرقة قالت الامام بعد علي بن موسى ابنه محمد بن علي... واتبعوا الوصية والمنهاج الاول من لدن النبي عليه السلام[٣] ان سعدا الاشعري وصف الفرق الشيعية التي قالت بإمامة محمد بن علي الجواد (ت:٢٢٠هـ) بانها اتبعت الوصية والمنهاج الاول، ويعني ذلك ان اولئك الشيعة تبنوا سلسلة الائمة التي تبنتها الامامية حين عرفت بهذا الاسم فيما بعد. فأولئك، والحالة هذه، شيعة يمكن تسميتهم اسلاف الامامية او الجعفرية او القطعية ولكنهم حتى وفاة الجواد لم يسموا بالإمامية بعد.

وبعد وفاة الجواد نزل أصحابه (الذين ثبتوا على امامته الى القول بإمامة ابنه ووصيه

---

(١) ايضا، ص٩٨.

(٢) الرجال، ص١٩٤.

(٣) المقالات والفرق، ص٩٣.

علي بن محمد... فلم يزالوا كذلك حتى توفي علي ابن محمد...)[1] ولما كانت وفاة علي بن محمد المعروف بالهادي سنة ٢٥٤هـ فان الشيعة القائلين بإمامته لم يعرفوا بالأمامية بعد. ولما كان الهادي يقع ضمن سلسلة الائمة الاثني عشر، وانه وصي[2] ابيه فان شيعته هم الذين عرفوا فيما بعد بالإمامية دون ان يسموا بذلك الاسم في عهده.

وبعد وفاة علي الهادي انتقلت الامامة الى ابنه الحسن المعروف بالعسكري، يقول سعد الاشعري: (وقال سائر اصحاب علي بن محمد بإمامة ابنه الحسن بن علي...)[3] ولما كانت وفاة الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ فان شيعته حتى ذلك التاريخ لم يسموا بالإمامية. ولما توفي العسكري لم ير له خلف ولم يعرف له ولد ظاهر فافترق اصحابه من بعده خمس عشرة فرقة [4] ويجعل النوبختي عدد فرق الشيعة التي ظهرت بعد وفاة العسكري أربع عشر فرقة [5]. وكانت الفرقة الاولى من بين تلك الفرق، على رواية الاشعري[6]، والثانية عشر، عند النوبختي[7] هي (الامامية). يقول سعد الاشعري: (ففرقة منها وهي المعروفة (بالإمامية) قالت لله في أرضه بعد مضي الحسن بن علي حجة على عباده وخليفة في بلاده قائم بأمره من ولد الحسن بن علي الرضا، آمر، ناهٍ، مبلغ عن ابائه، مودع عن اسلافه، ما استودعوه من علوم الله وكتبه واحكامه وفرائضه وسننه عالم بما يحتاج اليه الخلق من أمر دينهم ومصالح دنياهم، خلف لأبيه، ووصي له، قائم بالأمر بعده، هاد للامة مهدي

(١) ايضا، ص٩٩.

(٢) يعتقد الشيعة الامامية ان الامام المعصوم لا يوصي الا لإمام معصوم مثله، فتكون وصية والد الهادي له دليل على امامته وعصمته.

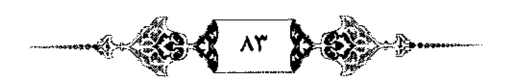
(٣) المقالات والفرق، ص١٠١.

(٤) ايضا، ص١٠٢.

(٥) فرق الشيعة، ص٧٩.

(٦) المقالات والفرق، ١٠٢.

(٧) فرق الشيعة، ص٩٠.



على لمنهاج الاول والسنن الماضية من الائمة الجارية، فيمن مضى منهم القائمة فيمن بقي منهم، الى ان تقوم الساعة... ولو كان في الارض رجلان كان احدهما الحجة، ولو مات احدهما لكان الباقي منهما الحجة، ما اتصل أمر الله ودام نهيه في عباده... وذلك ان المأثور عن الائمة الصادقين مما لا دفع بين هذه العصابة من الشيعة الامامية.

ولاشك في عندهم... ولا يجوز ان تخلو الارض من حجة من عقب الامام، الامام الماضي قبله ولو خلت ساعة لساخت الارض ومن عليها، فنحن متمسكون بإمامة الحسن بن علي، مقرون بوفاته موقنون بأن له خلفا من صلبه... وانه الامام من بعد ابيه الحسن... وانه في هذه الحالة مستتر خائف مغمود، مأمور بذلك، حتى يأذن الله... فيظهر ويعلن امره)[1].

ويستمر الاشعري في حديثه عن غيبة الامام الثاني عشر، ويسند تلك الغيبة بقول للأمام علي عليه السلام مفاده (ان الله لا يخلي الارض من حجة له على خلقه، ظاهراً معروفاً او خافياً مغموراً لكي لا يبطل حجته وبيناته).

ويبين ان اخبارا مماثلة وردت عن الائمة الاخرين. ولا يبيح الاشعري للعباد (ان يبحثوا عن امور الله ويقفوا اثر مالا علم لهم به، ويطلبوا اظهاره...) وان فعلوا ذلك ارتكبوا الامور المحرمة عليهم. وان طلب الناس اظهار ما ستره الله عنهم، يكونون كمن اعان على سفك دم الامام المهدي ودماء شيعته. ويقول لا يجوز (لنا ولا لاحد من الخلق ان يختار اماماً ومعقوله). وينهي الاشعري حديثه عن معتقدات فرقة الامامية بغيبة المهدي بقوله: (فهذه سبيل الامامة وهذا المنهاج الواضح، والغرض الواجب اللازم الذي لم يزل عليه الاجماع من الشيعة الامامية المهتدية... وعلى ذلك كان اجماعنا الى يوم مضى الحسن بن علي (ر)[2] ويوجد تشابه كبير جداً بين رواية الاشعري ورواية النوبختي

(١) الاشعري المصدر السابق ص١٠٢-١٠٣.

(٢) ايضا ص١٠٤, ١٠٥, ١٠٦.

عن غيبة الامام المهدي التي اعتقدت به فرقة من الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ وسميت من أجل ذلك بالإمامية[1].

ونفيد من كل ما سبق:

اولاً: ان سعدا الاشعري والنوبختي عنيا (بالإمامية) الجماعة الشيعية التي أنهت سلسلة أئمتها بالإمام القائم اي الحجة صاحب الزمان التي خفيت على الناس ولادته واجمل ذكره ولم يعرف الا انه امام ابن امام وبالرغم من ذلك فان الاشعري استثنى بعض ثقاة الشيعة من الجهل بأمر ذلك الامام فيقول(ولابد مع هذا الذي ذكرناه ووصفناه استتاره وخفائه من ان يعلم امره وثقاته وثقاة ابيه وان قلوا، لان الاشارة بالوصية من امام الى امام بعده لا تصح ولا تثبت الا بشهود عدول من خاصة الاولياء...)[2]. ومن الجدير بالذكر ان عدد ائمة الامامية بلغ اثنا عشر اماما بعد غيبة الامام الثاني عشر وهو المهدي، لذلك اصبح الشيعة الامامية يوصفون بالاثني عشرية.

ثانياً: يظهر ان الاشعري، وهو من المعاصرين للغيبة لأنه توفي سنة ٣٠١هـ كما اسلفنا، حدد سلطة العقل والراي في اختيار الائمة بما فيهم الامام الغائب، واعتمد بصورة اساسية في هذا الموضوع على دليل النقل.

ويبدوا ان الدليل العقلي المؤيد بعلم الكلام بخصوص اختيار الامام وغيبته اخذ يحتل مركزا اكبر في عقيدة الامامية فيما بعد كما يظهر من كتابات الشيخ الطوسي في كتابيه الموسومين بـ (الغيبة، وتلخيص الشافي) الوارد ذكرهما فيما سبق. واعتقد ان ذلك امر طبيعي لان العقيدة تهذب، وتسند بالمباحث الكلامية مع الزمن.

ثالثاً: لقد فند النوبختي معتقدات جميع الفرق الشيعية التي ظهرت بعد وفاة الامام

(١) فرق الشيعة ص ٩٠, ٩١, ٩٢, ٩٣.

(٢) المقالات والفرق ص١٠٥-٦.



الحادي عشر، واعلن صواب فرقة (الامامية) الذين سلكوا وحدهم، على رأيه، سبيل الامامة واتبعوا المنهاج الواضح لاعترافهم بإتمام سلسلة الامامة بالأمام الغائب[١].

ويظهر أن الاعتراف بغيبة الامام الثاني عشر، التي حصلت بعد ٢٦٠ هـ، أصبح محور التشيع عند الامامية. وقد أورد النعماني (من علماء القرن الثالث) في كتابه الموسوم بـ(الغيبة)[٢] مجموعة من الاحاديث في أثبات الغيبة. فروى أن الامام الصادق قال: (ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم: من زعم أنه إمام وليس بإمام، ومن زعم في إمام حق أنه ليس بإمام وهو إمام، ومن زعم أن لهما في الاسلام نصيبا).

قال محمد بن تمام (قلت لأبي عبد الله عليه السلام ان فلانا يقرئك السلام، ويقول لك أضمن لي الشفاعة؟ فقال عليه السلام: أمن موالينا؟ قلت نعم، قال عليه السلام: أمره أرفع من ذلك، قال قلت: أنه رجل يوالي عليا ولم يعرف من بعده من الاوصياء. فقال عليه السلام: ضال، قلت فأقر بالأئمة جميعا وجحد الآخر[٣]، قال عليه السلام كمن أقر بعيسى وجحد محمدا، أو أقر بمحمد وجحد عيسى نعوذ بالله من جحد حجة من حججه...)[٤]، روى الامام الصادق أن عليا عليه السلام قال أعلموا (أن الارض لا تخلو من حجة لله عز وجل، ولكن الله سيعمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم، وأسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الارض ساعة واحدة من حجة لساخت بأهلها ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه كما كان يوسف يعرف الناس وله منكرون...)[٥]، ويروي النعماني حديثا تنبأ فيه الامام علي بغيبة الحجة، وما يحدث بعد ذلك من تغلب الاشرار على الشيعة، ثم يقول: (و في هذا الحديث عجائب

---

(١) فرق الشيعة،ص٨٠ وما بعدها.

(٢) طبع الكتاب المذكور بطهران، ١٣٨٣ هـ.

(٣) يقصد الامام الغائب.

(٤) النعماني، محمد بن أبراهيم، الغيبة، ص ٥٥.

(٥) أيضا، ص ٧٠.

وشواهد على حقيقة ما تعتقده الامامية وتدين به والحمد لله)[1].

وسنورد تفصيلات عن غيبة المهدي وعن أهميتها عند الشيعة الامامية، عند كلامنا عن عقائد الامامية في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

ويبدو ان الشيعة الامامية قبيل نهاية القرن الثالث للهجرة اصبحوا متميزين عن غيرهم من الشيعة وانهم اخذوا يخطؤون الفرق الشيعية الاخرى.قال النجاشي ان الحسن بن موسى النوبختي المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها كتب كتبا عديدة منها كتاب (الرد على فرق الشيعة ما خلا الامامية)[2] ويسمى الامامية بالاثني عشرية ايضا. قال الشريف المرتضى: (قال الشيخ - ايده الله - وليس من هؤلاء الفرق التي ذكرناها فرقة موجودة في زماننا هذا - وهو ٣٧٣هـ - الا الامامية الاثنا عشرية القائلة بإمامة ابي الحسن، المسمى باسم رسول الله القاطعة على حياته، وبقائه الى وقت قيامه بالسيف)[3] ويقول الشهرستاني في معرض كلامه عن الشيعة الاثني عشرية ان الذين قطعوا بموت موسى الكاظم وسموا قطعية (ساقوا الامامة بعده في اولاده. فقالوا الامام بعد موسى الكاظم ولده علي الرضا... ثم بعده محمد التقي الجواد... ثم بعده علي بن محمد التقي ومشهده بقم[4]، وبعده الحسن العسكري الزكي. وبعده ابنه محمد القائم المنتظر... وهو الثاني عشر وهذا طريق الاثني عشرية في زماننا هذا)[5].

وغلب على اولئك الشيعة القائلين بإمامة اثني عشر اماما اخرهم القائم المنتظر، اسم الامامية وهم مدار بحثنا هنا. وترد كلمة الامامية في النصوص مجردة مرة، ومقرونة

---

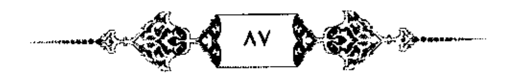
(١) أيضا، ص ٧٢.

(٢) الرجال، ص٥٠.

(٣) الفصول المختارة، ج٢ (النجف، ١٣٦٠) ص١١١.

(٤) المعروف ان مشهده بسامراء العراق.

(٥) الملل والنحل،ج١، ص١٥٠.



بكلمة شيعة مرة اخرى. فاذا عرض ابن النديم لابي النظر محمد بن مسعود يصفه بانه (من فقهاء الشيعة الامامية)[1].

وينعت ابن النديم ابا علي بن احمد الجنيد بانه من اكابر الشيعة الامامية[2]. ويصف ابن النديم ايضا، علي بن احمد الكوفي بانه من الامامية افضلهم[3]. ويقول ابن الاثير في حوادث سنة ٤٦٤هـ وتوفي فيها (في شهر رمضان ابو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفري فقيه الامامية)[4] وعندما يتكلم العلامة الحلي عن السيد المرتضى يقول (وبكتبه استفادت الأمامية منذ زمانه(ر) الى زماننا وهو سنة ثلاثة وتسعين وستمائة...)[5] ويقول الطوسي ان علي بن الحسن كان(قريب الامر الى اصحابنا الامامية القائلين بالاثني عشر...)[6].

ومن الجدير بالذكر ان النعماني وهو من الشيعة الامامية المعاصرين لغيبة الامام الثاني عشر كان يطلق مصطلح (الشيعة) مجردا ويقصد به الشيعة الامامية حصرا. وذلك انه يصف بالمصطلح المذكور الشيعة الاثني عشرية القائلين بالغيبة وهؤلاء، كما بينا سابقا، هم الشيعة الامامية، دون غيرهم من فرق الشيعة. فالنعماني في معرض كلامه عن امكان ربط الغيبة بزمن معين او عدمه يقول: (فان قولهم عليهم السلام الذي يروى عنهم في الوقت انما هو على جهة التسكين للشيعة والقريب للأمر عليها اذ كانوا قد قالوا انا لا نوقت...)[7].

(١) ابن النديم، الفهرست (القاهرة، ١٨٤٨) ص٢٧٥.

(٢) ايضا، ص٢٧٧

(٣) ايضا، ص٢٧٣.

(٤) الكامل، ج١٠ (القاهرة،١٢٩٠) ص٢٦.

(٥) الرجال (طهران،١٣١١) ص٤٦-٧.

(٦) الفهرست (النجف، ١٩٦٠) ص١١٨.

(٧) الغيبة، ص١٠٠.



روى النعماني أيضا ان احدهم قال (سمعت علياً عليه السلام يقول كأني بكم تجولون جولان الابل تبتغون مرعى ولا تجدونها يا معشر الشيعة...).

ومن المعلوم ان الحالة التي وصفت لا تنطبق الا على الشيعة الامامية وذلك عند ابتلائهم بغيبة الامام الثاني عشر، ويقصد النعماني اصحابه الامامية، بخطابه التالي، دون ان يسميهم باسمهم، وذلك ان كلمة الشيعة الواردة في الخطاب المذكور تنصرف اليهم. يقول النعماني ولابد من الايقان(بما ورد عن الائمة عليهم السلام من انه لابد من كون هذه الغمة ثم انكشافها عند مشيئة الله لا مشيئة خلقه واقتراحهم جعلنا الله واياكم يا معشر الشيعة المؤمنين المتمسكين بحبله المنتهين الى امره ممن ينجو من فتنة الغيبة...)[1].

ومن الواضح ان المقصود بالشيعة الواردة بالنص هم الامامية لانهم ينفردون من بين فرق الشيعة الاخرى بالابتلاء بالغيبة كما بينا سابقا.

ونلخص مما فصلناه في هذا الفصل بالقول ان مصطلح (الامامية) لم يصبح علما لفرقة من فرق الشيعة الا بعد حصول غيبة الامام الثاني عشر من الائمة المعصومين وان تلك الغيبة تعدّ الاساس الذي بنيت عليه فرقة الامامية. وهذا ما عناه ابن الجوزي بقوله (والامامية قالوا لا يمكن ان تكون الدنيا بغير امام من ولد الحسين)[2].

(١) الغيبة، ص١٠٠-١٠١.

(٢) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن، تلبيس ابليس (القاهرة ١٩٢٨)ص٢٢.

الفصل الثالث:

الغلو والغلاة وموقف الشيعة الامامية منهما

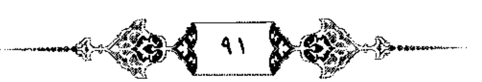
سنتناول في بحثنا عن الغلو والغلاة الخطوط العريضة للموضوع دون الدخول بالتفصيلات، وسنخص بالتفصيل مظاهر الغلو التي تركزت حول اشخاص وسير أئمة الامامية الاثنا عشرية التي تبدأ سلسلتهم بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب وتنتهي بالإمام المهدي الحجة المنتظر.

سمي الغلاة بهذا الاسم لأنهم غلو في علي وفي طائفة من الأئمة من ولده، وقالوا فيهم قولاً عظيماً، أخرجوهم به من حدود البشرية الى الالهية. وتجمع الأهواء الغالية على تجسد الالهية في علي والأئمة من ولده غالباً، وفي النبي محمدﷺ وفي بعض ولد العباس وفي طائفة من عامة الناس احياناً. ولا يقتصر الامر في هذا القول على اعتبار مشاركة اولئك السادة للكائن الاعلى في الصفات والقوى الالهية التي ترفعهم فوق المستوى البشري المألوف، ولكن على اعتبار ان علياً والأئمة من ولده بخاصة هم صور وأشكال يتمثل فيها الجوهر الإلهي ذاته، وان جثمانية هذا الجوهر ليست الا سوى حادث طارئ.

قال الشهرستاني في تعريفه للغالية (هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الالهية فربما شبهوا واحداً من الائمة بإلاله، وربما شبهوا الاله بالخلق[1]).

اما الاسباب التي أدت الى ظهور الغلو فهي متعددة من أهمها:

(١) الملل والنحل، ج١، ص١٥٤.



اولاً: تعلق جماعات من الاقوام التي دخلت الاسلام بتقاليدها الدينية والاجتماعية القديمة التي ورثتها من بيئتها التي عاشت فيها قبل الاسلام.

وتصح الفرضية المذكورة لا على جماعات من القبائل اليمانية التي انخرطت في سلك التشيع بشكله الغالي حسب، بل على الجماعات الايرانية الاصل التي قبلت في الغالب التشيع بصورته الغالية خلال القرنين الاول والثاني للهجرة. وسبق ان عرضنا في الفصل الاول من هذا الكتاب نظرية الاستاذ وات (watt) التي تتلخص في ان تلك الجماعات من اليمانية كانت قبل اعتناقها للإسلام تعتنق المسيحية على المذهب المونوفستي، الذي يقول بأن للمسيح، بكونه قائداً روحياً، طبيعة لاهوتية بالاضافة الى طبيعتة الناسوتية، وان جماعات من القبائل اليمانية احتفظت بعد اعتناقها للاسلام بتقاليدها الدينية السابقة فاعتنقت التشيع الذي يحتل فيه الامام، بكونه القائد الروحي للشيعة، مركز المسيح بالنسبة للمونوفستيين. وقد اورد وات ادلة اخرى لإثبات فكرته المذكورة يجدها القارئ في موضعها من هذا الكتاب.

اما الجماعات الايرانية الاصل التي انظمت للتشيع بشكله الغالي فقد ورثت من بيئتها القديمة فكرة عبادة الملوك واتصافهم بصفات الاله. واصبح الائمة في نظر الموالي الغلاة يحتلون المراكز الروحية التي يحتلها الملوك الايرانيين في عهد الوثنية. وسبق أن اشرنا الى أن جل الموالي الذين اعتنقوا التشيع خلال المراحل الاولى من تاريخه هم من الغلاة. يقول فلهاوزن (وكان تحول الموالي الى شيعة غلاة حادثاً ذا اهمية في التاريخ العالمي... وشاء (المختار) القضاء على الفوارق بين المسلمين من الطبقة الاولى، والمسلمين من الطبقة الثانية، فمن يأخذ عليه ذلك، لا يكون له الحق في ان يأخذ على الحجاج انه عمل العكس فاكد هذه الفوارق بكل قوة وأعادها الى ما كانت عليه. والحق ان المختار خليق بالمديح لكونه كان اسبق من غيره في ادراك ان الاحوال القائمة انذاك لا يمكن ان تبقي كما هي، اذ لم يكن الاسلام بل العنصر العربي هو الذي يعطي الحقوق المدنية الكاملة في الحكومة

الدينية. ولو كان المختار قد حقق هدفه الاصلي لكان من الممكن ان يكون منقذ الدوله العربية[1].

ثانياً: دور الظلم الذي حل بآل بيت الرسول في دفع جماعات من المسلمين للمغالاة في حقهم.

تعرض آل البيت لمظالم قاسية اقترفها بحقهم عدد من حكام المسلمين، فكان ذلك من الدوافع لعطف جماعات كبيرة من معاصريهم على قضيتهم، وتضخم العطف المذكور مع الزمن فتحول عند البعض من الاحترام والتقدير والإتمام بالسير الصالحة الى الغلو والخروج بالأئمة من حدود البشرية التي رسموها لأنفسهم الى حدود الالهية التي ارادها لهم الغلاة من أتباعهم.

ولسنا هنا في معرض ايراد التفصيلات عن المظالم التي حلت بآل البيت، وسنورد طائفة من الاخبار على سبيل المثال لا الحصر، عمد الامويون الى التنكيل بآل البيت وشيعتهم منذ عهد معاوية، الذي أمر بقتل حجر بن عدي وجماعته صبراً بتهمة مهلهلة لا تعدو حبه لعلي والإخلاص لذكراه بعد موته، ولعل رسالة الحسين بن علي لمعاوية تبين طرفاً مما كان الشيعة يلاقونه من عنت الحاكمين، قال الحسين يخاطب معاوية: (ثم سلطت [زيادا] على العراقيين يقطع ايدي المسلمين وارجلهم ويسمل عيونهم، ويصلبهم على جذوع النخل... فكتبت اليه ان اقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي عليه السلام والله الذي كان يضرب عليه اباك ويضربك...)[2] وفي عهد يزيد خلف معاوية حدثت فاجعة كربلاء المعروفة، ووصف محمد ابن الحنفية سيرة معاوية وبنيه بقوله «الا ان اعمال بني أمية اسرع فيهم من سيوف المسلمين....»[3] وعندما ولي

---

(١) الخوارج والشيعة، ص ٢٥٢- ٣.

(٢) الكشي، الرجال، ص ٣٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٥ (ليدن، ١٣٣٢) ص ٧١.

عبد الله بن الزبير الحكم بمكة اساء جوار بني هاشم «وحصرهم وآذاهم وقصد لمحمد ابن الحنفية فأظهر شتمه وعيبه وأمره وبني هاشم ان يلزموا شعبهم بمكة وجعل عليهم الرقباء وقال لهم فيما يقول والله لتبايعن او لأحرقنكم بالنار فخافوا على انفسكم...»(١).

وذات مرة كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله في المدينة «ان اقسم في ولد علي بن ابي طالب عشرة آلاف دينار فتعلل الوالي فكتب له عمر» اذا اتاك كتابي هذا فاقسم في ولد علي من فاطمة(ر) عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم»(٢).

وقد وردت اشارة يظهر منها ان الامويين، على لسان احد ولاتهم المعروف بالحجاج، قالوا قولة لايبيحها لهم الشرع ولا العقل، وهي انهم فظلوا الخلافة على النبوة، وروى المسعودي خبراً رفعه الى الربيع بن خالد قال: «سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول: أخليفة احدكم في أهله اكرم عليه أم رسوله في حاجته؟ فقلت: الله عليّ ان لا أصلي خلفك ابدا، ولئن رأيت قوماً يجاهدونك لأقاتلنك معهم...»(٣) فإذا صح هذا الخبر فأنه يصلح لان يحتل القمة بين أعمال بني أمية التي هي أسرع فيهم من سيوف المسلمين، على حد قول محمد ابن الحنفية، الذي أوردناه قبل قليل، واذا علمنا ان سيرة علي وآله، وخاصة أئمة الشيعة الامامية الذين هم مدار بحثنا هنا، كانت على النقيض من سيرة حكام بني أمية من حيث التقوى والانقطاع عن مباهج الحياة الدنيا، نقدر أثر هاتين السيرتين في تنفير الناس من بني أمية من جهة وميلهم لآل البيت من جهة أخرى.

وعندما تقاعس الغلاة من رفع آل البيت الى سدة الحكم في الدنيا رفعوهم الى مصاف الالهة دون رضاهم.

---

(١) ايضاً، ج٥، ص ٧٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣،ص١٢١.

(٣) ايضاً، ج٣، ص ٨٧.

ثالثاً: تقاعس الكوفيين عن نصرة علي وآله في حياتهم دفعهم الى الغلو بهم في مماتهم:

كانت الحرب بين علي ومعاوية، كما أشرنا في الفصل الاول من هذا الكتاب، عبارة عن حرب بين القيم والمبادئ الاسلامية ممثلة ً في علي، والقيم القبلية والطبقية ممثلة ً في معاوية، وقد لاقت قيم معاوية ومبادؤه رواجاً بين ابناء ذلك العصر فأنفضوا عن علي ونصروا معاوية كما هو معروف، وقد لاح للعراقيين بعد ان عضتهم الخطوب، واثقلتهم ضرائب بني أمية انهم اخطأوا في تقاعسهم عن نصرة علي وبنيه، يقول الوردي اندفعت «جماهير الناس مع رؤسائهم نحو جانب معاوية وتركوا علياً وراءهم، وهم يظنون ان الامر بسيط لايعدوا كونه اختلافاً بين زعيمين يدينان بدين واحد... ثم تبين لهم بعد مرور الزمن ان الامر اعمق من هذا حيث رأوا ان سياسة علي كانت انفع لهم في المدى البعيد، وان سياسة معاوية كانت براقة مغرية في الظاهر ولكنها تحتوي في باطنها على سم زعاف لهم»[1].

وقد اخذ حب الكوفيين لآل البيت يزداد مع الزمن، ومع تراكم عوامل الندم، واشتداد ضغط الحكام حتى تحول عند بعضهم الى الغلو الذي رفع الأئمة من مصاف البشر الالهية، وقد تبين ذلك الاتجاه الى خصم من خصوم الشيعة معاصر للغلو والغلاة وهو هشام بن عبد الملك الاموي، فكتب الى يوسف بن عمروا واليه على العراق: «اما بعد فقد علمت بحال اهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت ووضعهم اياهم في غير مواضعهم لأنهم افترضوا على انفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحلوهم علم ما هو كائن»[2].

وظهر لجماعة من الزنادقة ان الناس فتنوا في الامام الصادق في حياته.

روى المفيد ان الامام الصادق كان يفتي الناس في المسجد الحرام، فلما رآه جماعة من

(١) الوردي، علي، مهزلة العقل البشري (بغداد، ١٩٥٥)، ٧٩.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٥ ص ٤٨٨.

الزنادقة قالوا لزميل لهم اسمه عبد الكريم بن ابي العوجاء المقتول: ١٥٥هـ «هل لك في تغليط هذا الجالس وسؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحيطين به فقد ترى فتنة الناس به وهو علامة زمانه...»[١].

السَّبائية

أما بداية الغلو في الأئمة العلويين فقد عزيت الى عبد الله بن سبأ رئيس الفرقة المعروفة بالسبائية[٢] وقد اختلف في أصل عبد الله بن سبأ وفي كونه شخصية حقيقية أم خيالية، وفي غير ذلك من أمور سنأتي على ذكرها في ما يلي من الصفحات.

فأبن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً[٣]، ويروي الطبري ان عبد الله بن سبأ كان «يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء»[٤]. وتبين له وتسما ان المؤرخين المسلمين اطلقوا على عبد الله بن سبأ لقب ابن السوداء نسبةً لامه، وانه كان يهودياً من صنعاء[٥].

أما سعد الاشعري فانه رغم اشارته الى يهودية ابن سبأ نقلاً عن جماعة من العلماء، يتبنى عروبة ابن سبأ واصله اليماني بقوله «وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني» ثم يجعل له مساعدين في رئاسة السبائية وهما «عبد الله بن حرس وابن اسود»[٦] فسعد الاشعري ربما يكون أول من أثار الشك في يهودية ابن سبأ وذلك باثبات اصله العربي. واعتقد ان لشكه المذكور نتائج مهمة اذا انه يؤدي الى فقدان هدف من اهداف مروجي

(١) الارشاد (طهران، ١٣٧٧) ص ٢٦٣.

(٢) النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٩.

(٣) ايضاً، ص٢٠.

(٤) التاريخ ٣: ٤٥٩، محمد بن يحيى، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان(بيروت، ١٩٦١) ص ٥٥.

(٥) **Houtsma,m,thIbn Sab,a",Ency.ofIslam,I,b.29.**

(٦) المقالات والفرق، ص ٢٠.

قصة ابن سبأ وهو زعمهم ان اصل التشيع من اليهودية على اعتبار ان اول من قال بوصية النبي لعلي هو عبد الله بن سبأ اليهودي الاصل. اما زمان ظهور الاراء السبائية ومكانها ففيهما اختلاف. يقول النو بختي «فلما قتل عليعليه السلام افترقت التي اثبتت على امامته... فصاروا فرقاً ثلاث: فرقه منهم قالت ان علياً لم يقتل ولم يمت... وهي اول من قال منها بالغلو وهذه الفرقة تسمى السبائية اصحاب عبد الله بن سبأ ...» ويبدو من الرواية السابقة ان زمن ظهور السبائية كان بعد مقتل علي.

اما مكان الفرقة المذكورة فهو العراق لأن علياً، كما تقول الرواية نفسها نفى ابن سبأ من الكوفة الى المدائن[١].

اما الطبري، وهو المصدر الرئيس لقصة ابن سبأ، فيورد روايتين فيما يتعلق بزمن ظهور ابن السوداء قال في الرواية الاولى أنه ظهر بعد ان اسلم في زمن عثمان دون ان يحدد تاريخاً معيناً[٢] ويقول الطبري في الرواية الثانية ان عبد الله بن عامر والي البصرة علم، بعد مضي ثلاث سنين من امارته، بوجود رجل اسمه حكيم بن جبلة كان يسكن البصرة ويترأس عصابة من اللصوص كانت تغير في المناسبات على اطراف بلاد فارس فكتب في أمره الى عثمان فأمر الخليفة بحجزه وجماعته في البصرة «فكان (حكيم بن جبلة) لايستطيع ان يخرج منها فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع اليه نفر...»[٣].

ولما كانت ولاية أبن عامر على البصرة في سنة ٢٩هـ[٤] وانه حبس حكيم بن جبلة رئيس اللصوص بعد ثلاث سنين من بدايتها، يكون قدوم ابن السوداء للبصرة بين ٣٢- ٣٣هـ. ويظهر من رواية الطبري السابقة انها تحدد وقتاً لظهور السبائية اسبق من

(١) فرق الشيعة ص١٩.

(٢) التاريخ، ٣/ ٣٧٨- ٩.

(٣) أيضاً ٣: ٣٦٨.

(٤) أيضاً ٣: ٣٢٠.



رواية الاشعرى التي اوردناها في اعلاه، فهي تجعل ظهورهم في السنوات الاخيرة من حكم عثمان، بينما الاشعري يجعل ذلك الظهور بعد مقتل علي. وسنرى فيما بعد ان تحديد هذا التاريخ كان مهماً في نظر من اقحموا قصة ابن سبأ في النزاع بين عثمان وبين من ثار عليه من المسلمين، لانهم ارادوا ان يظهروا ان خروج ابن سبأ كان في السنوات الست الاخيرة من حكم عثمان وهي السنوات التي قويت فيها المعارضة وعدها المؤرخون فترة المخالفات التي ارتكبها عثمان.

اما المكان او الامكنة التي ظهر فيها ابن سبأ وجماعته فهي، كما وردت عند رواة قصة ابن سبأ الحجاز والبصرة والكوفة والشام ثم مصر.

قال الطبري اسلم ابن سبأ زمن عثمان «ثم تنقل في بلاد المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على مايريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فأعتمر فيهم...»[1].

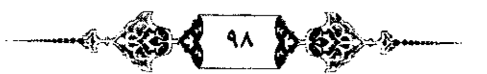
ويؤيد محمد بن يحيى رواية الطبري السابقة مع تغييرات طفيفة، مما يدل على انه اتخذ الطبري مصدراً له، ويبدو ان محمد بن يحيى وصل الى النتيجة التي وصلها الطبري وهي ان ابن السوداء جاز من الشام الى مصر «فكثر اصحابه فيها، وكاتب اخوانه من اهل الامصار ومد لهم في غيهم، فهو اول من بث دعاة في اناس يدعون الى الخروج»[2].

ونود ان نشير هنا الى ان قول واضعي قصة السبائية بأن ابن سبأ فشل في الشام، بينما نجح في مصر لا يخلو من هدف خفي، وذلك انهم ارادوا أن يعزوا ثورة مصر على عثمان الى نجاح دعوة ابن سبأ فيها، بينما كان هدوء الشام ناتجاً عن فشل تلك الدعوة.

وبعدما قدمنا نطرح السؤال التالي وهو:هل كان ابن سبأ موجوداً في الواقع أم ان

(١) التاريخ، ٣: ٣٧٨-٩.

(٢) التمهيد، ص ٥٥.



شخصيته خيالية؟

يبدو ان ابن سبأ كان شخصية الى الخيال اقرب منها الى الحقيقة وان دوره، ان كان له دور، قد بولغ فيه الى درجة كبيرة لأسباب دينية وسياسية، والأدلة على ضعف قصة ابن السوداء كثيرة منها:

اولاً: لم ترد قصة ابن سبأ في المصادر المهمة التي روت حوادث خلافة عثمان وقضية مقتله امثال طبقات ابن سعد وانساب الاشراف للبلاذري. وكان الطبري المصدر الرئيس الذي أورد تلك القصة بتفصيلاتها وقد تتبع السيد مرتضى العسكري قصة ابن سبأ فوجد ان المصادر التي روتها والتي كتبت بعد تاريخ الطبري كلها اتخذت الطبري مصدراً لها. وعند الرجوع الى الطبري نجد ان مصدره في تلك القصة سيف بن عمر البرجمي (ت:١٧٠هـ)، وقد اورد السيد العسكري تفصيلات وافية عن دور سيف في تزوير التاريخ واختلاق الحوادث. وقد اوصل العسكري بحثه الى ان الرواة قالوا ان سيف «يروي عن خلق كثير من المجهولين. ضعيف الحديث ليس بشيء متروك يضع الحديث، وهو في الرواية ساقط، يروى الموضوعات عن الثقاة، عامة حديثه منكره، متهم بالوضع والزندقة»[١].

اما بروكلمان فيقول كان سيف» يحرف الاحاديث والأحداث، يعظم بعضاً ويحقر بعضا، ولكنه كان يحسن الوصف والبيان، فاغتر الطبري بذلك واختار كتبه مصدراً أصيلاً في تاريخه لما روى من الوقائع في أوائل الاسلام، وتبع الطبري المتأخرون، وفلهاوزن هو الآخر لم يعد سيفاً من بين المؤرخين الثقاة»[٢].

ثانياً: لو عرضنا القصة للنقد الداخلي لوجدناها حافلة بالتناقض والمبالغة خاصةً فيما

(١) عبد الله بن سبأ (النجف، ١٩٥٦) ص ١٧، وخمسون ومائة صحابي مختلق (بيروت، ١٩٦٨) ص ١١ ومابعدها.

(٢) تاريخ الادب العربي، ج ٣ (القاهرة، ١٩٦٢) ص ٣٧.

يخص تاريخ الحوادث التي احتوتها القصة وصعوبة امكان نسبة كثير من الآراء التي بشر بها ابن سبأ اليه.

فتاريخ ظهور السبائية هو عند الاشعري والنوبختي بعد مقتل علي، كما اسلفنا، بينما هو عند الطبري وعند من جعله مصدراً له من المؤرخين المتأخرين عنه، الفترة الاخيرة من حكم عثمان. فالطبري، وهو المصدر الرئيس لقصة ابن سبأ، يحدد الفترة الواقعة بين سنة ٣٢-٣٣هـ بداية لظهور ابن سبأ. وروى الطبري ان ابن سبأ كان في البصرة في ذلك التاريخ ثم انتقل الى الكوفة، ومنها الى الشام وهناك لاقى أبا ذر وتباحث معه حول قضية المال وهل هو مال الله أو مال المسلمين. ويترتب على ذلك ان ابن سبأ كان في الشام في حدود سنة ٣٣هـ لان تنقله من البصرة الى الكوفة ثم الشام يتطلب نصف سنة على الاقل. وعند الرجوع الى الطبري نجد ان المناظرة التي جرت بين معاوية وابي ذر حول قضايا المال كانت في سنة ٣٠هـ قال الطبري «لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال ياأبا ذر الا تتعجب الى معاوية يقول المال مال الله ألا أن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين، فأتاه أبو ذر فقال ما يدعوك الى ان تسمي مال المسلمين مال الله......»[1].

وبعد المناظرة المذكورة كتب معاوية الى عثمان في امر ابي ذر واخبره أنه يثير الفتنة عليه، فطلب الخليفة من معاوية ان يبعث بأبي ذر الى المدينة «فبعث (معاوية) بأبي ذر ومعه دليل»[2] ولما وصل أبو ذر الى المدينة قابل عثمان في السنة نفسها وجرى بينهما نقاش حول المال، وانتهى الى نفي أبي ذر الى منطقة تعرف بالربذة حيث توفي هناك سنة ٣١ أو ٣٢هـ[3] ومن هذا يظهر ان الجدل حصل بين أبي ذر ومعاوية في سنة ٣٠ للهجرة وان

(١) التاريخ، ٣. ٣٣٥.

(٢) أيضاً ج٣ ص ٣٣٦.

(٣) القمي، عباس، الكنى والالقاب، ج١ (النجف، ١٥٩٦) ص٧٣.

ابا ذر أعيد للمدينة في السنة نفسها، ثم مالبث ان توفي في سنة ٣١ أو ٣٢هـ كما أسلفنا، كل هذه الحوادث حصلت قبل التاريخ الذي حدده واضعو قصة ابن سبأ لظهوره وهو سنة ٣٣ هـ. فكيف يصح ان نقر مقابلة أبي ذر لابن سبأ في الشام سنة ٣٠ هـ مع ان أبن سبأ لم يظهر بعد، وان ظهوره ان صح، كان بعد وفاة أبي ذر ولعل في هذا دليل على ان ابن سبأ لم يكن شخصية تاريخية وأن ابى ذر لم يلقه في أي وقت من الاوقات. يقول الدكتور الوردي في معرض كلامه عن شخصية ابن سبأ «ويبدو ان هذه الشخصية العجيبة اخترعت اختراعاً وقد وقد اخترعها اولئك الاغنياء الذين كانت الثورة موجهة ضدهم»[1]. ويرى الوردي ان ابن سبأ هو عمار، ويرى ان من غرائب التاريخ ان نرى كثيراً من الامور التي تنسب الى ابن سبأ موجود في سيرة عمار ابن ياسر على وجه من الوجوه، ويسوق أدلة على ذلك منها:

١. ان ابن سبأ كان يكنى بأبن السوداء ومثله في ذلك عمار.
٢. كان عمار من أب يماني، ومعنى هذا انه كان من أبناء سبأ، فكل يمان يصح ان يقال عنه انه ابن سبأ.
٣. وعمار فوق ذلك كان شديد الحب لعلي بن ابي طالب يدعو له ويحرض الناس على بيعته في كل سبيل.
٤. وقد ذهب عمار في أيام عثمان الى مصر واخذ يحرض الناس ثمة على عثمان، فضج الوالي منه وهم بالبطش به.
٥. وينسب الى ابن سبأ قوله أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق وان صاحبها الشرعي هو علي بن أبي طالب .
٦. و ٧. قضايا تتعلق بدور عمار في حرب الجمل وفي علاقته مع أبي ذر.

ويستخلص الوردي ان ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر. فقد كانت قريش تعتبر

(١) الوردي علي، وعاظ السلاطين (بغداد، ١٩٥٤)ص ١٥١.



عماراً رأس الثورة على عثمان، ولكنها لم تشأ في أول الامر ان تصرح بأسمه فرمزت عنه بأبن سبأ او ابن السوداء،وتناقل الرواة هذا الرمز غافلين وهم لايعرفون ماذا كان يجري وراء الستار[1].

وقد قبل الدكتور الشيبي الرأي السابق، ثم حاول تعزيزه بأيراد نصوص تثبت القضايا التي وردت في محتوياته[2].

الآراء المنسوبة لعبد الله بن سبأ:

يبدو ان رواة قصة ابن سبأ وضعوا على لسان بطل قصتهم آراء ذات أهمية بالغة منها:

١. **الرجعة**: روى الطبري ان ابن سبأ قال «لهم [أهل مصر] فيما يقول لعجب ممن يزعم ان عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع. وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. قال فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها».

٢. الوصاية: قال ابن سبأ لمريديه، كما يروي الطبري «انه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال محمد خاتم الانبياء وعلي خاتم الاوصياء، ثم قال بعد ذلك من اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الامة. ثم قال لهم بعد ذلك ان عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله ﷺ فأنهضوا في هذا الامر فحركوه وابدوا بالطعن على امرائكم واظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم الى هذا الامر فبث دعاته...»[3].

٣. القول بأن المال مال المسلمين لامال الله. روى محمد بن يحيى خبراً رفعه الى سيف

---

(١) أيضاً، ص ٢٧٤- ٨.

(٢) الشيبي، كامل، الصلة بين التصوف والتشيع، ج١ ص٣٦- ٤٠.

(٣) التاريخ، ٣: ٣٧٨-٩.



بن عمر ان ابن السوداء لما ورد الشام لقي ابا ذر فقال: «يا أبا ذر ألا تعجب الى معاوية يقول: المال مال الله عز وجل، ألا كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين، ويمحو أسم المسلمين؟ فأتاه أبو ذر فقال: ما يدعوك الى أن تسمي مال المسلمين مال الله، فقال معاوية: يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله، والمال ماله والخلق خلقة، والأمر أمره، قال: فلا تقله. قال: فأني لا أقوله أنه ليس لله، ولكن سأقول مال المسلمين وأنوي. وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك، فقال له: من انت؟ أضنك والله يهودياً. فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به فأتى به معاوية، فقال هذا: والله الذي بعث عليك ابا ذر. وقام ابو ذر بالشام، وجعل يقول يا معشر الاغنياء، واسوا الفقراء، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار... فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه على الاغنياء، وحتى شكا الاغنياء ما يلقون من الناس»[1].

٤. نسبة الالهية الى علي. يقول الرازي ان السبائية هم أتباع عبد الله بن سبأ. (وكان – عبد الله بن سبأ – يزعم ان علياً هو الله تعالى. وقد احرق علي (ر) منهم جماعة...)[2] ولابن السوداء آراء اخرى ذات صلة بالنقد الذي وجه الى للخليفة عثمان والى ولاته. «والى ابن السوداء» يقول طه حسين «يضيف كثير من الناس كل ما ظهر من الفساد والاختلاف في البلاد الاسلامية أيام عثمان»[3].

أما القول بالرجعة الذي نسب الى ابن سبأ فهو يختلف عن الرجعة التي تحصل بعد ظهور المهدي، والتي اصبحت من ضروريات مذهب الامامية. وسنشير الى ذلك عند كلامنا عن عقائد الامامية في فصل لاحق. ويطلق ابن الجوزي على غلاة القائلين برجعة من نوع الرجعة المنسوبة لابن سبأ اسم (الرجعية) ويعدها فرقة متميزة عن الامامية.

(١) التمهيد، ص ٧٤ـ ٥، والطبري، ٣: ٣٣٥.

(٢) الرازي، فخر الدين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (القاهرة، ١٩٣٨) ص ٧٢.

(٣) الفتنة الكبرى، ج١ (القاهرة ١٩٤٧) ص ١٢٨ – ٩–.

ويقول انهم «زعموا ان علياً واصحابه يرجعون الى الدنيا وينتقمون من اعدائهم»[1].

ويبدوان واضعي قصة ابن سبأ أستهد فوا من نسبتهم القول بالرجعة الى ابن سبأ تشويه فكرة الرجعة عند الشيعة الامامية. تلك الفكرة التي تختلف في مضمونها، كما سنبين في حينه، عن مفهوم الغلاة للرجعة.

أما القضية الثانية التي نسبت الى ابن سبأ فهي القول بوصية النبي لعلي. ويعلم واضعو قصة ابن سبأ ان الشيعة يقولون بفكرة الوصاية. ولكن الشيعة يرون أن الله أمر نبيه محمد أن ينص على علي بالوصية. ونص النبي على ذلك في يوم الغدير بحضور سبعين أو ثمانين ألفاً من المسلمين. ويرى الحلي أن حديث الوصية لم يرد بكتب الشيعة فقط بل أورده أحمد ابن حنبل في مسنده بطرق ثمانية، وأورده ابن عبد ربه في العقد الفريد، وأورده مسلم في الصحيح[2]. بينما أراد واضعو قصة ابن سبأ أن يجعلوا مصدر وصاية النبي لعلي يهوديا طارئا على الاسلام هو ابن السوداء وليس النبي وبأمر من الله. ولا يخفى ما في هذه القضية من التشويه والنكاية بالشيعة وهو، على ما أعتقد، ما قصده واضعو قصة ابن سبأ.

أما فيما يتعلق بالزعم القائل بأن أبن سبأ وجماعته نسبوا الالهية الى علي فيبدو أن الغلو بالإمامة عند السبائية تطور مع الزمن فتحول الى القول بالإلهية. يقول سعد الاشعري بعد أن يشرح عقيدة السبائية بالغلو في علي «وقالو بعد ذلك في علي أنه اله العالمين...»[3] أما الرازي فيجعل القول بألوهية علي عقيدة أساسية لدى السبائية ونص بصراحة على أن ابن سبأ «يزعم أن علياً هو الله تعالى[4]. وبمرور الزمن اصبح ابن سبأ لم يقل بإلاهية

(١) تلبيس ابليس، ص٢٢.

(٢) الحلي، الحسن بن يوسف، اثبات الوصية (النجف لا. ت) ص١٩.

(٣) المقالات والفرق، ص ٢١.

(٤) اعتقادات، ص ٧٢.



علي حسب بل يزعم أنه هو نبيه. يقول العلامة الحلي: « عبد الله بن سبأ...غال ملعون حرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، كان يزعم أن علياً عليه السلام اله وانه نبي لعنه الله»[1]. وهكذا جعلوا ابن سبأ ينتقل مع الزمن، من القول بالغو بإمامة علي الى القول بإلاهيته وينتهي الى الادعاء بالنبوة. ولعل التنقل المذكور وتراكم الاضافات على محتوى القصة يقوم دليلاً على ضعفها وعلى اختلاق الاقوال المنسوبة لابن سبأ فيها. ويقول هوتسما أن أفكار أبن سبأ لم تبق على ما أرادها واضعوها الاوائل بل تطورت. ويضيف قائلاً: (يصعب جداً أن نقرر القضايا التي قالها أبن سبأ وتلك التي قالها خلفاؤه)[2].

وهكذا أراد واضعو قصة ابن سبأ أن ينالوا من مركز الامام علي باتخاذ أبن سبأ له بمثابة الاله، وسبق لهم أن شكوا في وصية الرسول له حين نسبوها لأبن السوداء. وبعد أن فرغوا من الدس على علي تناولوا بالتشهير زعماء شيعته أمثال أبي ذر وعمار والاشتر وغيرهم.

وقد ركز واضعو قصة أبن سبأ على نزاع ابي ذر مع عثمان حول قضية المال وهل هو مال الله أم مال المسلمين أو بعبارة أخرى هل أن الخليفة مطلق بالتصرف بأموال الدولة أم أنه خاضع لرقابة المسلمين ولا يحق له التصرف بأموالهم دون مراعاة مصلحتهم. والنزاع المذكور في واقعة حصل بين الخليفة عثمان وأبي ذر في المدينة قبل فترة من نفي أبي ذر الى الشام حيث رتب اللقاء المزعوم بينه وبين ابن سبأ ولا علاقة لأبن سبأ في تلقين أبي ذر لآرائه في أنفاق المال العام وفي واجب الاغنياء نحو الفقراء.

وذات يوم في مجلس ضم عثمان وأبا ذر وكعب الاحبار الذي كان يهودياً فأسلم، قال عثمان «أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين، فدفع أبو ذر في صدر كعب، وقال له: كذبت يابن اليهودي، ثم تلا: ليس البر ان تولوا وجوهكم

(١) الحلي، الحسن بن يوسف، الرجال (طهران، ١٣١٢) ص ١١٤.

(٢) op.cit,Ip.29



قبل المشرق والمغرب، فقال عثمان: أترون بأساً ان نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب لابأس بذلك، فرفع أبو ذر عصاه فدفع بها صدر كعب، وقال: يابن اليهودي ما أجرأك على القول في ديننا فقال له عثمان: ما أكثر اذاك لي ! غيب وجهك عني فقد آذيتني، فخرج أبو ذر الى الشام، فكتب معاوية الى عثمان: ان أبا ذر تجتمع اليه الجموع، ولا آمن أن يفسدهم عليك، فأن كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك. فكتب اليه عثمان بحمله فحمله على بعير...»[١].

ونود أن ننبه القارئ الى ما يأتي:

١. مصدر آراء ابي ذر في المال. يظهر ان ابا ذر لم يتأثر بشخص أو أشخاص معينين عندما أعلن رأيه بالمال العام والخاص، وانه اقتبس ذلك الرأي من بيئة المدينة ومن تعاليم الاسلام. لذلك نجده يغضب على ابن اليهودي كعب عندما أراد التدخل في تلك القضية التي تقصر معرفته بها، في نظر أبي ذر، عن معرفته هو في حين نجد عند واضعي القصة ان ابن سبأ، أثناء مقابلته في الشام لأبي ذر علمه آراءه في المال العام والخاص[٢].

٢. مكان الحوار والأشخاص المشتركون فيه. يبدو من نص المسعودي الذي أوردناه في أعلاه، ان الحوار جرى بين عثمان وأبي ذر في المدينة. بينما جعل واضعو قصة السبائية ذلك الحوار يجري لأول مرة بين معاوية وأبي ذر في الشام لا في المدينة.

٣. زمان الحوار: كان الزمان عند واضعي القصة سنة ٣٠هـ[٣] أي بعد وصول أبي ذر الى الشام، بينما جرى الحوار المذكور، كما يبدو من نص المسعودي أيضاً، قبل سفر أبي ذر للشام أي قبل سنة ٣٠هـ.

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٢٢٨.

(٢) الطبري، ٣: ٣٣٥،

(٣) أيضاً، ٣:٣٣٥.



ولا يخفى على القارئ أن جميع الجهود التي بذلها واضعوا قصة ابن سبأ في تزييف الحوادث المذكورة كانت ترمي الى هدف مهم في نظرهم وهو رغبتهم في ان يثبتوا أن تصرف عثمان وولاته في الاموال كان سليماً، وان ابا ذر في نقده لذلك التصرف كان مغرراً به من قبل ابن سبأ اليهودي الأصل.

ومن الجدير بالذكر ان آراء أبي ذر المالية كانت معقدة وتناولت الشك بحق الخليفة في أن يتصرف ببيت المال كما يريد دون أخذ مصلحة المسلمين بنظر الاعتبار، كما تناولت واجب الاغنياء في مواساة الفقراء بغض النظر عن دفعهم الظرائب المفروضة كالزكاة مثلاً. قال البلاذري: «لما اعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت... مائة الف درهم وجعل أبو ذر يقول: بشر الكانزين بعذابٍ اليم...» ولما طلب عثمان من أبي ذر أن ينتهي قال: «فوالله لارضي الله بسخط عثمان احب الي وخير لي من أن اسخط الله برضاه فأغضب عثمان ذلك واحفظه...»[1] قال المسعودي كان ابو ذر بحضرة عثمان حين «أتي بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال، فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم، فقال عثمان: اني لارجو لعبد الرحمن خيراً، لانه كان يتصدق، ويقرئ الضيف وترك ماترون، فقال كعب الاحبار: صدقت يا أمير المؤمنين، فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب،... وقال يابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال: ان الله اعطاه خير الدنيا والآخرة، وتقطع على الله بذلك وانا سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مايسرني ان أموت وادع مايزن قيراطاً) فقال له عثمان: وارِعني وجهك...»[2].

واذا علمنا ان كعب الاحبار الذي عاب عليه ابو ذر تدخله في النقاش بينه وبين الخليفة حول قضايا المال العام والخاص، كان ذا قدم راسخة في الاسلام، وانه صحب النبي ﷺ.

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف، ج ٥، ص ٥٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٢٢٨-٩.

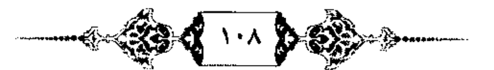


تظهر لنا صعوبة قبول ابي ذر لتلقين ابن سبأ الذي لم يكن ابن يهودين مثل كعب الاحبار حسب، بل هو طارئ في الاسلام اسلم في أواخر أيام عثمان كما يقول ابطال قصته.

اما عمار بن ياسر فقد أرادوا واضعوا قصة ابن سبأ ان يشوهوا معارضته لعثمان ويجعلوها ناتجة عن وقوعه تحت تأثير ابن سبأ. قال الطبري ان عثمان بعد ان سمع فيما أثاره ابن سبأ من التشويش في الأمصار ارسل رجالا ممن يثق بهم الى الامصار فأرسل محمد بن مسلمة الى الكوفة، وإسامة بن زيد الى البصرة، وعمار ابن ياسر الى مصر، وعبد الله بن عمر الى الشام. فرجعوا جميعاً قبل عمار وقالوا: «أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلين ولا عوامهم... واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه اغتيل فلم يفجأهم الا كتاب من والي عثمان على مصر ابن ابي سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا اليه منهم عبد الله ابن السوداء»[1]. وأراد واضعوا القصة أن يورطوا عمار بن ياسر في الوقوع تحت تأثير أبن سبأ كما وقع أبو ذر وغيره من قبل. ولو رجعنا الى المصادر لوجدنا أن معارضة عمار لعثمان تعود الى بداية تولي الاخير للخلافة. خطب عمار بعد بيعة عثمان في المسجد فقال: (يامعشر قريش، أما أن صرفتم هذا الامر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمن من أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله...)[2]. وذات مرة أخذ عثمان مالا من بيت المال بالمدينة بسفط فيه حلي وجواهر فأخذ منه عثمان ماحلى به أهله فأظهر الناس الطعن عليه: فقال لنأخذ حاجتنا من هذا الفيء وأن رغمت أنوف أقوام فقال له علي أذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه. وقال عمار بن ياسر اشهد الله ان أنفي أول راغم من ذلك فقال عثمان أعلي يا أبن المتكأ تجتريء؟ خذوه. فأخذ ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى

(١) الطبري، ٣: ٣٧٩.

(٢) المسعودي. مروج، ج٢، ص٢٣١.



غشي عليه...»[1]. ويبدو ان معارضة عمار لعثمان كانت مستمرة وعنيفة نال من أجلها عمار الضرب وحاقت به الفتن. وقد أثارت شدة تجاه عمار غضب بني مخزوم حلفاء عمار فانحرفوا عن عثمان من أجل ذلك[2].

ونود ان نشير هنا الى ما يأتي:

أ. ان رواية سيف بن عمر في الطبري التي تبناها واضعو قصة ابن سبأ أظهرت على لسان اعضاء بعثة عثمان للأمصار، خلا عمار الذي وقع بمصر في شراك ابن سبأ، أن الامور في الامصار التي زاروها كانت جارية على مايرام وان المسلمين خواصهم وعوامهم لم ينكروا شيئاً من سيرة عثمان.

ب. استثنى واضعوا القصة مصر من بقية الاقطار وجعلوا الناس فيها متذمرين من سيرة عثمان لا بسبب انحراف تلك السيرة ولكن بسبب نجاح دعوة ابن سبأ فيها بمعاونة عمار، رسول الخليفة الى مصر، الذي انجرف هو الآخر بأباطيل ابن سبأ اليهودي الاصل.

ج. لو رجعنا الى الروايات التاريخية التي سلمت من تأثير واضعي قصة ابن سبأ لظهر لنا ان التذمر من سياسة عثمان في آخر فترة من خلافته كان شاملاً للأمصار الاسلامية كافة ماعدا الشام لنجاح سياسة معاوية فيها. ولعل في ذلك دليلاً على بطلان قصة ابن سبأ، وان ابا ذر وعماراً وعلياً كانوا ضحايا بريئة من التهم التي ألصقها بهم أبطال قصة ابن السوداء.

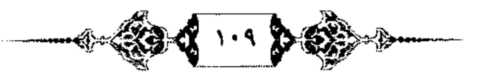
واليك فيما يلي نماذج من تلك الروايات:

روى البلاذري أن الوليد بن عقبة والي الكوفة في عهد عثمان استلف من بيت المال مبلغاً من المال. وعندما طلب اليه الخازن عبد الله بن مسعود أن يرجع المال ماطله وامتنع

---

(١) أنساب الاشراف، ٥: ٤٨.

(٢) المسعودي، مروج ج٢، ص ٢٢٧.



عليه. ثم كتب الوليد الى عثمان يعلمه في امعان ابن مسعود في مطالبته «فكتب عثمان الى عبد الله بن مسعود إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما اخذ من المال. فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال كنت اظن اني خازن للمسلمين فأما اذ كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك»[1] وتعقدت القضية بعد ذلك بين الخليفة وابن مسعود واستدعي ابن مسعود للمدينة وعاقبه الخليفة بالضرب حتى كسر ضلعه[2].

ويبدو ان عثمان كان يسير على خطة مقصودة في تولية اقربائه على الامصار رغم انهم اقل كفاءة أحياناً واضعف ايماناً، في نظر معاصريهم، من الولاة الذين حلوا محلهم وقد وضح الخطة المذكورة الوليد بن عقبة في محاولة له مع سعد بن أبي وقاص حين حل محله في ولاية الكوفة. قال البلاذري جاء الوليد واليا على الكوفة محل سعد بن أبي وقاص (فلما دخل الكوفة قال له سعد: ما أدري أحمقت بعدك. قال ماحمقت بعدي ولا كست بعدك، ولكن القوم ملكوا فاستأثروا). وقال الناس عن الوليد الذي استبدل بسعد نتيجة لان القوم ملكوا فاستأثروا (بئسما ابتدلنا به عثمان عزل أبا اسحاق الهين اللين الجسر صاحب رسول الله ﷺ وولى أخاه الفاسق الفاجر الاحمق الماجن...)[3].

وبعد ان عزل الوليد عن الكوفة وليها سعيد بن العاص الذي كان عثمان قد وهبه أموالا كثيرة. قال البلاذري (انكر الناس على عثمان اعطاه سعيد بن العاص مائة ألف درهم. فكلمه علي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك. فقال ان له قرابة ورحماً قالوا فما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذو رحم؟ فقال: ان ابا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا احتسب في اعطاء قرابتي قالوا: فهديهما والله احب الينا من

(١) انساب الاشراف، ج٢، ص ٣١.

(٢) أيضاً، ج٢، ص ٣٦.

(٣) انساب الاشراف، ج٢، ٢٩-٣٠.

هديك....)[1].

ويظهر من ان الرواية السابقة ان معظم أعضاء مجلس الشورى اجمعوا على انتقاد سياسة عثمان المالية. وهؤلاء، كما هو معروف، كانوا رؤساء المسلمين في عهد عثمان. فهل لقن ابن السوداء وأعوانه هؤلاء كلهم، ودفعهم لانتقاد عثمان؟ اعتقد ما من احد يعتقد امكان ذلك الا من وضعوا قصة ابن السوداء.

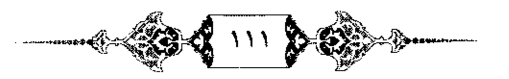
وقد أثار سعيد بن العاص مشكلات لعثمان في الكوفة ذات أهمية بالغة، وهي جديرة بأن تؤلب أهل الكوفة على عثمان وولاته، فقال سعيد يوماً (انما السواد بستان قريش (فقال مالك الأشتر) اتجعل مراكز رماحنا وما افاء الله علينا بستاناً لك ولقومك والله لو رامه أحد لقرع فرعاً..)[2] وأثار سعيد دون أن يشعر مشكلة تتعلق بقسمة الفيء بين قريش وبقية القبائل العربية من جهة، وتتعلق أيضاً بفكرة الفيء وهل هو مال المسلمين بما فيهم من أسلم من غير العرب (الموالي) أم أنه لعثمان وولاته أولا، ولبقية قريش ثانيا. وكتب في قضية ابن السواد ورأى سعيد فيه الى عثمان فما كان جوابه الا أن أمر بنفي مالك الاشتر وصحبه الى الشام وعدهم عصاة خارجين على النظام. ولم يسمع الخليفة رسالة القراء فيهم حين كتبوا له:) ان سعيدا كثر على قوم من أهل الورع والفضل والعفاف فحملك في أمرهم مالا يحل في دين ولا يحسن في سماع وأنا نذكرك الله في أمة محمد ...)[3] ولا نعلم، بعد هذا هل ان معارضة اهل الكوفة بزعامة مالك الاشتر تتعلق بأمر حقهم في الفيء أم أنها وليدة تحريض ابن السوداء وصحبه؟

ومن الجدير بالذكر ان واضعي قصة ابن السواد استثنوا اهل الشام من فتنته. فصوروهم وكأنهم لم يشعروا، كما شعر غيرهم من أهل الامصار بسوء سيرة عثمان وولاته، أو أنهم

(١) أيضاً، ج٥، ص ٢٨.

(٢) البلاذري، انساب، ٥: ٤٠.

(٣) أيضا، ٥، ٤١.



أكثر تقوى من غيرهم، لذا لم يثوروا على امامهم العادل عثمان وولاته الذين شوه ابن سبأ سيرتهم، والواقع ان سكوت أهل الشام عن نقد سيرة عثمان وولاته لايعود لجهلهم أو لتقواهم ولكنه يعود لجدارة واليهم معاوية الذي ساسهم بالعزم والدهاء.

ونختم قضية البحث عن أسباب الثورة على عثمان وولاته برأي ابن سعد حول حكم عثمان. قال ابن سعد (لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميراً يعمل ست سنين لاينقم الناس عليه شيئاً، وانه لأحب الى قريش من عمر لان عمر كان شديداً عليهم، فلما وليهم عثمان لانَ لهم ووصلهم، ثم توانى في أمرهم واستعمل اقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر، وكتب لمروان بخمس مصر، وأعطى اقرباءه وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الاموال واستلف من بيت المال... فأنكر عليه ذلك)[1].

وأعتقد ان ما ذكره ابن سعد يكفي لثورة المسلمين على عثمان ولا حاجة بهم لان ينتظروا ابن سبأ حتى يحرضهم على الثورة على خلفيتهم دون حق.

ونفى وجود أبن سبأ عدد من الكتاب المحدثين كان من بينهم الدكتور علي الوردي الذي سبقت الاشارة اليه، والدكتور طه حسين[2] والدكتور كامل مصطفى الشيبي[3] والسيد مرتضى العسكري الذي ألف كتابا في الموضوع اسماه (عبد الله بن سبأ)[4] وعند الكلام عن ابن سبأ يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: (أما عبد الله ابن سبأ ـ الذي يلصقونه بالشيعة أو يلصقون الشيعة به ـ فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنه والبراءة منه. واخف كلمة تقولها كتب الشيعة في حقه ويكتفون بها في ترجمة حاله عند ذكره في العين هكذا: (عبد الله أبن سبأ ألعن من أن يذكر) ويتابع كاشف الغطاء قوله: (على انه

---

(١) الطبقات الكبرى، ج٣، (بيروت، ١٩٥٧) ص ٦٤.

(٢) الفتنه الكبرى، ج١، (القاهرة، ١٩٤٧).

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع، ج١، (بغداد ١٩٦٣).

(٤) عبد الله بن سبأ (القاهرة، ١٣٨١).

ليس من البعيد رأي القائل: ان عبد الله ابن سبأ ومجنون بني عامر وأبي هلال وأمثال هؤلاء الرجال والابطال كلها أحاديث خرافة وضعها القصاصون وأرباب السمر والمجون...)[1].

الكيسانية

وكان الكيسانية من الشيعة الغلاة. يقول سعد الاشعري أن الكيسانية قالوا (في علي قولاً عظيماً شنعا...)[2] وكانوا يقولون بإمامة محمد بن علي المعروف بابن الحنفية، وزعموا (ان علي بن ابي طالب نص على امامة ابنه محمد بن الحنفية لانه دفع اليه الراية بالبصرة)[3]. وقالوا بالتناسخ (ويزعمون ان الامامة جرت في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في ابن الحنفية، ومعنى ذلك ان روح الله صارت في النبي، وروح النبي صارت في علي، وروح علي صارت في الحسن، وروح الحسن صارت في الحسين، وروح الحسين صارت في محمد ابن الحنفية، وروح ابن الحنفية صارت في ابنه أبي هاشم...)[4] ويعتقدون في ابن الحنفية (اعتقادا فوق حده ودرجته، من: احاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من (السيدين) الاسرار بجملتها من علم التأويل والباطن، وعلم الافاق والأنفس)[5] ويجمع الكيسانية (القول بأن الدين طاعة رجل)[6].

وقالت فرقة من الكيسانية (ان محمد بن الحنفية هو المهدي سماه أبوه علي مهديا،

---

(١) أصل الشيعة واصولها (بيروت لات) ص٨٤.

(٢) المقالات والفرق، ص٢٣.

(٣) الاشعري ابو الحسن، مقالات الاسلاميين، ج١، ص ٩٠.

(٤) الاشعري ، سعد، المقالات والفرق، ص ٢٦ - ٧.

(٥) الشهرستاني الملل والنحل، ج١ ص ١٣١ وقصد الشهرستاني بالسيدين الحسن والحسين عليهما السلام

(٦) أيضاً. ١. ١٣١.



ولا يجوز ان يكون مهديان: مهدي في أيام ابن الحنفية ومهدي بعد ذلك) وقالوا ان ابن الحنفية (غاب فلا يدرى اين هو وسيرجع ويملك الارض، ولا امام بعد غيبته الى رجوعه...)[١].

ونستفيد من النصوص السابقة مايأتي:

أولاً: أن الكيسانية خرجوا بالإمامة من أولاد علي من فاطمة الى ولده محمد بن الحنفية. وبذلك مهدوا لخروج الامامة لا من ولد فاطمة فحسب بل من ولد علي كافة. فظهر جماعة منهم (يتسمون المعاوية[٢] ويزعمون ان الارواح تتناسخ) وان روح الله صارت في محمد ثم في علي، ثم في محمد بن الحنفية، ثم في ابنه أبي هاشم، ثم فيه (عبد الله بن معاوية)[٣] وقد توفي عبد الله بن معاوية هذا في سجن ابي مسلم في خراسان سنة ١٣٠هـ بعد فشل ثورته التي سبق أن أقام بها ضد الامويين.

وبذا اخرجت (المعاوية) الامامة من ولد علي الى شخص غير علوي من ذرية جعفر بن أبي طالب وتوسعت قضية اخراج الامامة، مع الزمن، على يد فرق الكيسانية ولم تعد تلك الامامة مقتصرة على آل أبي طالب بل ان دائرتها توسعت فشملت بني هاشم. وذلك ان فرقة اخرى من الكيسانية يصح ان نعدها سلفا للراوندية جعلت الامامة في ولد العباس، قال سعد الاشعري ان الكيسانية افترقت بعد موت ابي هاشم فقالت فرقة ان أبا هاشم أوصى) الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس... فهو الامام وهو الله وهو العالم بكل شيء، فمن عرفه فليصنع ماشاء، وهؤلاء غلاة الروندية [الراوندية]...[٤-أ].

وأرجح ان وصية أبي هاشم الى محمد بن علي العباسي موضوعه، وان (الهاشمية)

---

(١) الاشعري، المقالات، ص ٢٧.

(٢) نسبة الى عبد الله بن معاوية بن........................ جعفر بن ابي طالب.

(٣) الاشعري، سعد، المقالات، (ص ٤٢). قال الاشعري. (ص ٤٣) ان با مسلم قتل عبد الله هذا

(٤) -أ. المقالات والفرق، ص ٣٩- ٤٠.

جماعة ابي هاشم واسلاف الراوندية قالوا بإمامة محمد ابن علي العباسي مباشرة، وذلك انه بعد ان جاز اخراج الامامة من ولد علي من فاطمة الى ابن الحنفية، ثم الى ولد جعفر بن أبي طالب اصبح من الممكن تقليدها لبني العباس وقد استفاد العباسيون ودعاتهم الغلو ووجهوا تذمر الغلاة، الذين كان جلهم من الموالي في عصر الامويين لمصلحتهم فاستعملوه للتشهير ببني أمية أولا ثم في اسقاط حكمهم يوم حان الوقت.

ثانياً: وقد انحط مركز الامامة كثيراً على يد فرق من الكيسانية وذلك حين أباحت تلك الفرق لأفراد من الناس لايمتون للعلويين ولا للهاشميين بصلة أن يتقلدوا الامامة. قال سعد الاشعري ان حمزة بن عمارة البربري الذي كان ينتمي الى أصحاب ابن حرب من الكيسانية ثم فارقهم، (ادعى أنه نبي وان محمد بن الحنفية هو الله...)[1] وقال الاشعري أيضاً ان فرقة من الكيسانية خرجت (الى القول بإمامة بيان بن سمعان النهدي، وادعى بيان ان أبا هاشم اوصى اليه فاستجابت له طائفة ممن قال بامامة ابن الحنفية)[2] ثم ان طائفة (ادعت ان امامة عبد الله بن عمرو ابن الحرب الكندي الشامي بع أبي هاشم، وانه أوصى اليه، وان روح ابي هاشم انتسخت فيه....)[3] وهكذا اصبحت الامامة بفعل فرق الكيسانية الغلاة تنتقل من أصحابها الشرعيين، وهم حسب عقيدة الامامية، الائمة الاثنا عشر المعصومون، الى ابناء علي من غير فاطمة ثم الى احد ولد جعفر بن ابي طالب، ثم الى العباسين واخيراً الى رجل بربري وآخر نهدي وثالث كندي.

وقد التفت الشيخ المفيد أحد فقهاء الشيعة الامامية الى خطر ذلك الاتجاه فتقدم بأدلة

---

(١)(٦٨-ب) روى الشهرستاني (الملل، ١: ١٣٧) ان ابا مسلم صاحب الدولة كان كيسانياً وانه «اقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها».

٦٩- الفرق والمقالات، ص ٢٨- ٣٢.

(٢) أيضاً، ص ٣٥.

(٣) أيضاً، ص ٣٥.

نقلية وأخرى عقيلة[1] اتينا على ذكرها في الفصل الاول من هذا الكتاب، على ابطال امامة محمد بن الحنفية واثبات امامة معاصره علي بن الحسين المعروف بزين العابدين.

واعتقد ان من بين الاسباب التي ادت الى انحطاط مركز الامامة، وسهل للغلاة ان يلصقوا افكارهم الغالية الغريبة عن الاسلام فيها، هو الاتجاه الذي تبناه بعد مقتل الحسين عليه السلام الائمة المعصومون حين أجلوا الخروج بالسيف على ظلم معاصريهم من الحكام انتظارا لخروج المهدي القائم قال الشيخ الطوسي: (ت٤٦٠هـ) كان المعلوم من حال ابائه (المهدي صاحب الزمان) لسلاطين الوقت وغيرهم انهم لا يرون الخروج عليهم. ولا يعتقدون انهم يقومون بالسيف ويزيلون الدول، بل كان المعلوم من حالهم انهم ينتظرون مهديا لهم، وليس يضر السلطان اعتقاد من يعتقد امامتهم اذا امنوهم على ممتلكاتهم ولم يخافوا جانبهم...)[2] وقد رأى جماعات من المعارضين وبخاصة الموالي، الذين كانت اكثريتهم غلاة والذين آلمهم التمييز العنصري وأثقلت الضرائب كاهلهم، ان العدل الذي يعم على الارض بعد خروج المهدي الغائب بعيد المنال، وان فيهم حاجة ملحة الى قيادة حاضرة تقودهم نحو النصر على حكامهم الظالمين. ولما عجز هؤلاء عن وجود تلك القيادة في المرشحين الشرعيين للإمامة، انصرفوا عنهم للآخرين من ذوي الطموح السياسي، وربما من ذوى الرغبة في الاصلاح الاجتماعي أمثال المختار وزيد بن علي وعبد الله بن معاوية وأخيرا بني العباس.

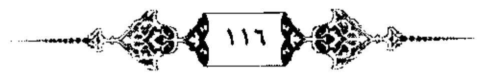
ثالثاً: كان الكيسانية أول من رسخوا فكرة المهدي الغائب وطرحوها في حيز العمل. نسب الكيسانية القول بفكرة مهدية محمد بن الحنفية الى ابيه علي عليه السلام كما يظهر من نص سابق أوردناه في صدر هذا البحث.

ويبدو ان فكرة مهدية ابن الحنفية كانت شائعة في عصره. قال ابن سعد (فلما اتسق

---

(١) المفيد، الارشاد ص ٢٣٧ – ٨.

(٢) الغيبة (النجف، ١٣٨٥) ص٢٠٠.



الامر للمختار كتب لمحمد بن علي المهدي من المختار...)[١] وفي محادثة مع ابراهيم بن الاشتر قال المختار لإبراهيم (وقد كتب ليك المهدي...)[٢] وذات مرة جاء رجل الى ابن الحنفية وقال (السلام عليك يا مهدي...) وجرى حديث بين محمد والرجل عن أمر آل محمد فقال الرجل (كانت تبلغنا عنك أحاديث من وراء وراء فأحببت ان اشافهك للكلام...)[٣].

ويظهر ان ابن الحنفية لم يقر الغلو الذي قيل فيه، ولم يعترف بأنه المهدي المنتظر، روى ابن سعد حديثاً رفعه الى ابي العربان المجاشعي قال: (بعثنا المختار في ألفي فارس الى محمد بن الحنفية... قال فبلغ محمداً انهم يقولون ان عندهم شيئاً أي من العلم. قال فقام فينا وقال انا والله ما ورثنا من رسول الله الا مابين هذين اللوحين ثم قال اللهم حلا وهذه الصحيفة في ذوابة سيفي قال فسألت وما كان في الصحيفة قال من أحدث حدثاً أو آوى محدثا...)[٤] وقال محمد للرجل الذي قابله وسأله عن أشياء سرية نميت الى الرجل عن محمد: (أما بعد فإياكم وهذه الاحاديث فأنها عيب عليكم، وعليكم بكتاب الله... فإنه به هدى اولكم وبه يهدي آخركم...)[٥].

ويظهر ان المختار هو الذي روج فكرة مهدية محمد لأسباب سياسية أي أنه أراد ان يحكم باسمه دون اشراكه بالسلطة الفعلية. وعندما هم (ابن الحنفية أن يقدم الى الكوفة وبلغ ذلك المختار فثقل عليه قدومه فقال: ان في المهدي علامة، يقدم بلدكم هذا فيضربه رجل في السوق بالسيف لاتضره...فبلغ ذلك ابن الحنفية فأقام...)[٦].

(١) الطبقات، ج٥، ص ٧٣.
(٢) أيضا ج٥، ص ٧٢.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٥ ، ص ٧٠.
(٤) أيضاً، ج ٥، ص ٧٧.
(٥) أيضاً، ج ٥، ص ٧٠.
(٦) أيضاً، ج ٥، ص ٧٤.



المغيرية

اطلق اسم (المغيرية) على هؤلاء نسبة الى المغيرة بن سعيد البجلي المقتول سنة ١١٩هـ. وادعى المغيرة، رغم تبرؤ[١] الامام من ذلك، ان الامام الباقر (أوصى اليه فهو الامام الى ان يخرج المهدي)[٢] والمهدي عند أصحاب الغيرة هو (محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن) المقتول في عهد المنصور العباسي. وبذا يكون المغيرة قد جعل نفسه في أول الامر اماما ولكن بصورة مؤقتة. والمغيرة بادعائه الامامة وممارسة وظيفتها معاً خطى خطوة جريئة. في حين ان من سبق من الغلاة، أمثال المختار الثقفي كانوا يدعون بأنهم يحكمون نيابة عن الامام دون ان يصرحوا بأنهم أئمة. ولعل ذلك يؤيد ما قلناه سابقاً وهو ان الادعاء بنيابة الامام كان خطوة ممهدة للادعاء بالإمامة بصورة فعلية. ومما يؤيد ذلك أيضاً هو ان الخطوات التالية التي اتخذها المغيرة آلت الى اخراج الامامة ممن ينتمون الى عنصر النبوة والإمامة وحصرها في ابن سعيد ثم في ابنه من بعده. اذا نجد جماعة من المغيرة بعد وفاة الباقر يصرفون دعوتهم الى (محمد بن عبد الله بن حسن.. فلما قتل صاروا لا امام لهم ولا وصي ولا يثبتون لاحد امامة بعده)[٣] وبذا سد المغيرية جميع الابواب التي توصل العلويين للإمامة بعد محمد بن عبد الله وعندئذ انتقلوا الى الخطوة الاخيرة وهي اثبات امامة ابن المغير من بعد ابيه.

فقالت جماعة منهم (ان الامام عبد الله بن المغير بن سعيد بعد ابيه)[٤]. ويبدو ان ابن

(١) الكشي، الرجال، ص ١٩٥.

(٢) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٤.

(٣) أيضاً، ص ٥٢.

(٤) الاشعري. سعد المقالات، ص ٤٤.

المغيرة بن سعيد، شأنه في ذلك شأن جماعة من أمثاله من الغلاة، عمل على اخراج الامامة من اطارها البشري برفع الائمة الى مصاف الالهة ليستطيع اشغال منصب الامام في الحياة الدنيا ويستغله لمصلحته قال سعد الاشعري (وكان المغيرة بن سعيد وبيان بن سمعان وبزيع[1]. وصائد[2]. وقد نصبوا أنفسهم انبياء وآل محمدﷺ أرباباً خالقين...)[3]. ومن المعلوم ان الارباب الخالقين لا يحكمون مباشرة في هذه الارض، بل ان انبياءهم يطبقون احكامهم على العباد عن طريق تنفيذ شرائعهم. ولم يكتف المغيرة بأن يكون نبياً لواحد من آل محمدﷺ فادعى انه نبي لرب العالمين. قال النوبختي (ثم تراقى الامر بالمغيرة الى أن زعم أنه رسول نبي وان جبرائيلعليه السلام يأتيه بالوحي من عند الله)[4].

وكان المغيرة يقول (بالتناسخ)[5]، ويعني ذلك ان روح الامام الباقر اتنقلت من جسده وحلت في جسد المغيرة، وان روح المغيرة انتقلت الى جسد ابنه عبد الله، فهما والحالة هذه امامان تجب طاعتهما. وناقش الدكتور الشيبي رأي فريد لندر الذي يصور مذهب المغيرة بأنه عبارة عن مزيج من الديانات الشرقية القديمة، وأنه متأثر بالغنوصية وخاصة الماندية والمانوية[6]. ويخلص الشيبي الى القول بأن ذلك سواء صح ام لم يصح (فأن المغيرة ومعاصره وزميله في الغلو والمصير بياناً قد ربطا عقيدتهما ربطاً محكما بما تأولاه من القرآن سند لدعوتهما فبدتا وكأنهما فكرتان ذات اصاله وطابع).

---

(١) زعيم فرقة من الغلاة تسمى (البزيعية) الاشعري، ص ٥٤. يضبطه النوبختي (فرق، ص ٣٨) بالغين.

(٢) زعيم فرقة من الغلاة النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٢.

(٣) الاشعري المقالات، ص ٥٥.

(٤) فرق الشيعة، ص ٥٥.

(٥) أيضاً: ص ٥٥.

(٦) الصلة بين التصوف والتشيع، ج ١ ص، ١٣٣ - ٤.

الخطابية

هم أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الاجدع الاسدي المقتول سنة ١٣٨هـ وظهر ابو الخطاب في الكوفة وقال بالغلو. وكان (يدعي ان ابا عبد الله جعفر بن محمدعليه السلام جعله قيمه ووصيه من بعده وعلمه اسم الله الاعظم،ثم تراقى الى ان ادعى النبوه، ثم ادعى الرسالة، ثم ادعى أنه من الملائكة، وأنه رسول الله الى اهل الارض والحجة عليهم)[١].

وكان أبو الخطاب من تلامذة الصادق وقد التقى به عدة مرات. روى الكشي ان الصادق قال (كان أبو الخطاب احمق فكنت احدثه فكان لا يحفظ وكان يزيد من عنده)[٢]. وروى معاوية بن حكيم في خبر يرفعه الى جده انه قال انه اجتمع مع ابي الخطاب في مجلس الصادق وان ابا الخطاب أظهر خشونة في تصرفه تجاه الإمام[٣] وروى عنبسه بن مصعب ان الصادق قال له (أي شيء سمعت من أبي الخطاب؟ قال: سمعته يقول انك وضعت يدك على صدره وقلت له: عه ولا تنسى وانك تعلم الغيب وانك قلت له هو:عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على احيائنا وأمواتنا.قال لا والله ما مس شيء من جسدي جسده الا يده. وأما قوله اني قلت (اعلم الغيب) فوالله الذي لا اله الا هو ما اعلم الغيب..... واما قوله اني قلت هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على احيائنا وأمواتنا، فلا آجرني الله في امواتي، ولا بارك في احيائي ان كنت قلت له شيئا من هذا قط)[٤].

---

(١) النوبختي، فرق الشيعية. ص ٣٨.

(٢) ايضا، ص ٢٥١.

(٣) ايضا، ص ٢٥٠.

(٤) ايضاً، ص ٢٤٨.

ونفيد من النصوص السابقة انه بالرغم من تلمذة ابي الخطاب للامام الصادق، وأنهما التقيا في مناسبات عدة. فأن الامام نفى بصورة قاطعة ما نسبه اليه ابو الخطاب من اقوال. ويبدو ان ابا الخطاب كان من الغلاة الطموحين وانه، شأنه في ذلك شأن من سبقه من الغلاة، اراد ان يتخذ من صلته بالإمام الصادق جسرا للوصول الى أهدافه، ومباشرة العمل بإسم الامام. وذات مرة قال احدهم (لما لبى القوم الذين لبوا[1] في الكوفة دخلت على أبي عبد الله عليه السلام[2] فأخبرته بذلك فخر ساجداً ودق جؤجؤه بالأرض وبكى ...واقبل يلوذ بأصبعه ويقول: بل عبد الله قن داخر. مراراً كثيرة ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته. فندمت على اخباري اياه فقلت جعلت فداك وما عليك انت من ذا. فقال: يا مصادف ان عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله ان يصم سمعه ويعمي بصره. ولو سكتُ عما قال في ابو الخطاب لكان حقا على الله ان يصم سمعي ويعمي بصري)[3].

اما الاراء التي تبناها ابو الخطاب فكان مناقضة للشريعة الاسلامية. فأحل ابو الخطاب لاصحابه المحارم من الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأمرهم بترك الزكاة والصلاة والصيام والحج، وأباح لهم الشهوات. وتأولوا على ما استحلوا قول الله: يريد الله اين يخفف عنكم[4]. (وقالوا خفف عنا بأبي الخطاب ووضع عنا الاغلال والآصار يعنون الصلاة والزكاة والصيام والحج، فمن عرف الرسول النبي الامام فليصنع ما أحب)[5].

(١) عندما قال الغلاة اصحاب ابي الخطاب. لبيك جعفر لبيك. النوبختي فرق، ص٣٩.

(٢) يقصد الامام الصادق.

(٣) الكشي، الرجال، ص ٢٥٣.

(٤) القران ٤ : ٢٨.

(٥) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٣٨.

ويبدو من النص السابق ان الخطابية توصلوا الى ما توصلت اليه الكيسانية من قبل وهو أن الدين طاعة رجل، وان من عرف الرسول النبي الامام فليصنع ما احب على احد قولهم. ولعل في ذلك ما يقوم دليلاً على ان كثيراً من اراء الغلاة السابقين تجمعت في عقيدة ابي الخطاب، وانه كان لا وارثا لتلك الاراء فحسب بل كان منظماً ومفلسفاً لها. وقد التفت الدكتور الشيبي الى ذلك فقال كان لا بي الخطاب دور خطير في تطوير الغلو وإسناده بالنصوص والأحاديث[1].

واستعان الخطابية في دعم ارائهم بالتأويل وهو بابٌ واسع يستطيع ان يلجه بسهوله كل من اراد ادخال اراء غريبة في الاسلام. قال سعد الاشعري تأول الخطابية قول الله: (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان اعيبها[2] لكي لا تعطب اهلها، ان السفينة ابو الخطاب وان المساكين اصحابه، وان الملك الذي ورائهم عيسى بن موسى العباسي، وهو الذي قتل ابا الخطاب وان ابا عبد الله (يقصد الامام الصادق) اراد يعيبنا بلعنه ايانا في الظاهر وفي الباطن عنى اضدادنا ومن خالفنا. وتأولوا في ذكره ابا الخطاب انه عنى قتادة بن دعامة البصري فقيه اهل البصرة، وكان قتادة يأتي ابا جعفر (الامام الباقر) وأبا عبد الله، وكان يكنى بابي الخطاب. فتأول ابو الخطاب وأصحابه انه الذي لعنه ابو عبد الله، وان ابا عبد الله يلبس على اصحابة ليزيدهم ضلالا وتيها. فاخبر ابو عبد الله بذلك فقال (والله ماعنيت إلا محمد ابن مقلاص ابن ابي زينب الاجدع البراد عبد بني اسد فلعنه الله ولعن اصحابه ولعن الشاكين فيه، ولعن من قال اني اضمر وأبطن غيرهم)[3].

وهكذا نجد الخطابية يحلون كثيراً من مشكلاتهم العقائدية وغير العقائديه بتأويلهم

(١) الصلة بين التصوف والتشيع. ج١، ١٤٣،

(٢) القران ٨١: ٨٠.

(٣) المقالات، ص ٥٥.

الغريب للآية المذكورة.

ونختم بحثنا عن حركات الغلو العنيفة بحركة ابي الخطاب وهو معاصر للامام الصادق، كما اسلفنا. وهذا لا يعني ان حركة ابي الخطاب كانت نهاية للغلو، كما لا يعني ان حركات الغلو انتهت بمقتل مؤسسيها او موتهم فالمغيرة بن سعيد، مثلاً، قتل سنة ١١٩هـ ولكن حركته لم تمت بموته، بل بقيت جماعة من اتباعه تقول بآرائه الى مطلع القرن الرابع الهجري.

قال سعد الاشعري كان المغيرة بن سعيد (يدعي بأنه يحيي الموتى، ويقول بالتناسخ وكذلك قول اصحابة الى اليوم)[1].

ولما كانت وفاة الاشعري سنة ٣٠١هـ يعني ذلك ان طائفة من المغيرية كانت موجودة في حدود ذلك التاريخ.

كما اننا لن نستقص حركات الغلو لانها كانت متشابهة في خطوطها العامة الى درجة لايستهان بها، سواء كان ذلك من حيث الاهداف التي استهدفها مؤسسوا تلك الحركات، او من حيث كون تلك الحركات جميعاً كانت متشحة بلباس ديني في الظاهر، بينما تخفي في باطنها الدعوة الى تهديم الاسلام والتشكيك بأهداف قادته من أئمة وعلماء وخلفاء احياناً.

ويبدوان هؤلاء الغلاة استهدفوا تشويه مبادئ الاسلام من الداخل بعد ان اعياهم دحرهُ بالسيف.

وقد سهلت سيرة حكام المسلمين المعاصرين لحركات الغلو وغير المعاصرين لها مهمة اولئك الغلاة واكسبتهم عطف عناصر مهمة من المستضعفين في الارض وذلك ان اولئك الحكام ايدوا حركة التمييز العنصري والمحلي، واثقلوا طبقات كبيرة من رعاياهم،

(١) المقالات، ص٧٧.



والموالي منهم بخاصة، بالضرائب في عهد بني أمية، كما احلّ اولئك الحكام الطبقية محل التمييز العنصري، واستمروا على فرض الضرائب الثقيلة في صدر الدولة العباسية.واذا علمنا ان مبادئ الاسلام، كما وردت في القرآن والسنة لاتقر استغلال المسلم لأخيه المسلم ولاتبيح استعباد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا، ندرك الاسباب التي دعت جماعات كبيرة من المستضعفين في الأرض لأن يرفعوا عقيرتهم بالشكوى والتذمر.

وكانت النتيجة ان أصبح عدد كبير من اولئك المستضعفين انصاراً للمنادين بمقاومة الاستغلال عند ظهوره بشكل بشع خلال خلافة عثمان، كما أصبحوا من أنصار المختار، وزيد بن علي، وعبد الله بن معاوية، والمغيرة بن سعيد، وبيان النهدي، وأبي الخطاب وغيرهم من الاسماء التي أتينا على ذكرها أثناء البحث.

وهكذا كان للتذمر الاجتماعي نصيب كبير في نجاح طائفة من ذوي الطموح السياسي او من ذوي الاخلاص لدياناتهم القديمة التي كانوا يدينون بها قبل الاسلام، وفي تمكين هؤلاء ايضاً من قيادة حركات الغلو وتوجيهها نحو الاهداف التي رسم خطوطها العامة اولئك القادة ومستشاروهم.

أما لماذا اتخذت اكثرية فرق الغلاة آل البيت رمزاً لثورتهم، فنرى ان ذلك يعود الى ان آل البيت كانوا من عنصر النبوة والامامة، أولا، وانهم لا يؤيدون استغلال المسلم لأخيه المسلم كما كان الحكام المسلمون المعاصرون لهم يفعلون، ثانياً، وان بني الحسين وبخاصة ماعرف منهم فيما بعد بالأئمة المعصومين،اعتزلوا السياسة بعد مقتل الحسين وانصرفوا للارشاد والعبادة والانقطاع عن الدنيا بحيث اصبح استغلال اسمائهم ميسورا للطامعين والطامحين من قادة الغلاة، ثالثاً.

موقف الشيعة الامامية واسلافهم من الغلو والغلاة:

اتخذ من عاصر الغلو من أئمة الشيعة، الذين عرفوا فيما بعد بالأئمة المعصومين الاثني عشر، موقفاً صريحاً وصلبا في الوقت نفسه تجاه الغلاة.

فتبرؤا منهم ونفوا وجود أي صلة لهم بأولئك الغلاة. واتخذت مقاومة الشيعة المعتدلين وأئمتهم للغلاة أشكالا متعددة، واتبع منظمو تلك المقاومة وسائل متنوعة، استهدفت جميعها تفتيت دعوة أولئك الغلاة. ومن أشهر تلك الوسائل:

اولاً: التأكيد على مناقضة الغلو للاسلام. روى ان الامام علي قال: (بني الكفر على اربع دعائم الفسق والغلو والشك والشبهة)[1] وقال الامام الصادق: (ادنى مايخرج به الرجل من الايمان ان يجلس الى غال فيستمع الى حديثه، ويصدقه على قوله. ان ابي حدثني عن أبيه عن جده عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الاسلام الغلاة والقدرية)[2] أما النوبختي، وهو من الشيعة الامامية فيقول عند بحثه عن الغلاة: (فهذه فرق أهل الغلو ممن انتحل التشيع والى الخرميدنية، والمزدكية، والزنديقية، والدهرية مرجعهم جميعاً لعنهم الله. وكلهم متفقون على نفي الربوبية عن الجليل الخالق... واثباتها في بدن مخلوق)[3]. وبعد ان استعرض سعد الاشعري، وهو من الامامية أيضاً، اقوال الغلاة، قال (تعالى الله عما يقولون لعنهم الله)[4] وقال الاشعري في موضع آخر (وفرقة من الغلاة لعنهم الله اظهروا دعوة التشيع واستنبطوا المجوسية)[5].

(١) الكليني، الكافي، ص ٣٦٩.

(٢) القمي، محمد بن علي، الخصال (طهران، ١٣٢٠) ص ٣٧.

(٣) فرق الشيعة، ص ٤١.

(٤) المقالات، ص ٥٩.

(٥) ايضاً، ص ٦١.



روى الكشي ان الصادق قال لأحد اصحابه (قل للغالية توبوا الى الله فأنكم فساق كفار مشركون)[1].

ثانياً: نفى الأئمة لوجود صلة عقيدية بينهم وبين قادة الغلاة، والتصريح بأن اولئك القادة كانوا يكذبون عليهم: تبرأ الأئمة في مناسبات عدة من الغلاة ونفوا وجود أي صلة عقيدية بينهم وبين قادة أولئك الغلاة. روى الكشي ان الامام الرضاعليه السلام قال (كان بنان[2] يكذب على علي بن الحسين عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد وكان مغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام[3] فأذاقه الله حر الحديد. وكان محمد بن بشير[4] يكذب على أبي الحسن موسى عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد. وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد)[5].

ونفى الامام الصادق وجود صلة لابيه الباقر بالمغيرة بن سعيد، كما نفى صلته هو بأبي الخطاب. وذات مرة قال الصادق لأصحابه (لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله ولعن الله يهودية كان يختلف اليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، ان المغيرة كذب على أبي فسلبه الله الايمان، وان قوما كذبوا عليّ مالهم اذاقهم الله حر الحديد... ابرأ الى الله مما قال فيّ الاجدع البراد عبد بني اسد ابو الخطاب لعنه الله، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب الا تقبلوه... اشهدكم اني أمرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وما معي براءةً من الله، ان أطعته رحمني، وان عصيته عذبني...)[6].

---

(١) الرجال، ص ٢٥٤.

(٢) الصحيح بيان بن سمعان النهدي المقتول سنة ١١٩هـ.

(٣) هو الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين المتوفى سنة ١١٤/ ١١٩هـ.

(٤) زعيم فرقة من الغلاة تسمى (البشيرية) ترجم له الكشي (الرجال، ص٤٠٥ ومابعدها).

(٥) الرجال، ص٢٥٦.

(٦) ايضا، ص ١٩٦ - ٧.

وذات مرة قال الصادق لبشار الشعيري [ت.ح: ١٨٠هـ] (اخرج عني لعنك الله (وبعد خروجه قال الامام) ويله الا قال بماقالت اليهود، الا قال بما قالت النصارى، الا قال بما قالت المجوس...والله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر أحد...) ثم وصف الشعيري بأنه (شيطان ابن شيطان) وانه خرج ليغوي الشيعة، واخيراً حذر شيعته من الشعيري بقوله (اني عبد الله ابن عبد الله فوالله ضمتني الاصلاب والارحام، وان لميت واني لمبعوث)(١).

ويظهر من الحديث المذكور ان القول بالغلو كان اعظم بلية، في نظر الامام من اعتناق اليهودية أو المسيحية أو المجوسية، كما يظهر منه ان الامام أكد على عبوديته لربه لينفي مالصقه به الغلاة، والشعيري من بينهم، من صفات الهية.

ثالثاً: محاولة الائمة لقطع طريق الدس على الغلاة ومنعهم من انتحال الحديث. عمل زعماء الغلاة على انتحال الاحاديث ودسها في اقوال الأئمة. وكان هدفهم من العملية المذكورة مزدوجاً. فانتحال الاحاديث ذات الاهداف المعينة، يساعد على كسب الانصار والمؤيدين من جهة، ويسهم في تهديم شريعة الاسلام من جهة اخرى. وكلا الهدفين كانا من صميم حركة الغلو. ويبدوا ن الأئمة قد تنبهوا لعملية الانتحال فحاولوا قتلها في مهدها ولكنهم لم يحققوا جميع آمالهم في هذا المجال(٢). روي ان الامام الصادق قال: (لا تقبلوا علينا حديثاً الا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة،

---

(١) ايضاً، ص ٣٤٢.

(٢) راجع ما اوردناه عن كتب الحديث عند الامامية في كتابنا الموسوم بـ (الاجازات العلمية عند المسلمين) المطبوع ببغداد سنة ١٩٦٧م. ولعل فيما اوردناه هنا عن تسرب احاديث الغلاة لبعض كتب الحديث عند الشيعة، يبرر دعوتنا لتهذيب ذلك الصنف من مجموعات الحديث الشيعية. تلك الدعوة التي انتقدناها دون حق فضيلة الاستاذ الغريفي في كتابه الموسوم بـ (قواعد الحديث) المطبوع في النجف سنة ١٩٦٩م. وكانت الدعوة المذكورة في جوهرها، منصبة بالدرجة الاولى على تنقيح ذلك النوع من المجموعات مما يحتمل تسربه اليها من احاديث الغلاة. اما الي تصوره الغريفي من توثيقنا لرواة صحيحي مسلم والبخاري فهو أمر لم نتطرق اليه ولانقره).



فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب اصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي) فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ماخالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا محمد ﷺ...)[1].

وقد وردت اشارة يبدوا منها أن الغلاة كانوا ينتحلون الاحاديث عن الأئمة ويضعونها على السنة رواة من ثقات الشيعة المعتدلين ليضمنوا رواجها بين الناس بعامة وجماعات الغلاة بخاصة. قال سعد الاشعري ان الحربية من الغلاة قالوا (بالغلو والتناسخ والاظلة[2] والدور[3]، وادعوا ان هذه المقالات كان يرويها جابر بن عبد الله الانصاري، وجابر ابن يزيد الجعفي[4]، وان مذهبهما هذا، وابطلوا جميع الفرائض والشرائع والسنن)[5].

ويلجأ الغلاة احياناً الى دس أحاديثهم المنتحلة في كتب الشيعة، ويبدو ان الأئمة التفتوا الى ذلك فحذروا منه. روى الكشي ان هشام بن الحكم سمع الصادق يقول: (كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه، وكان اصحابه المسترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها الى المغيرة فكان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها الى أبي ثم يدفعها الى أصحابه فيأمرهم ان يثبتوها (يبثوها) في الشيعة، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم)[6].

ويبدو ان عملية انتحال الاحاديث من قبل الغلاة ودسها في كتب الشيعة المعتدلين لم

---

(١) الكشي الرجال، ص١٩٥.

(٢) الاظلة تعني عالم المجردات، الاشعري، المقالات، ص١٨٢.

(٣) انظر الاشعري، ص، ١٨٣. تجد تفصيلات عن معنى الدور.

(٤) قال النوبختي (فرق. ص٣١) ان جابر الانصاري وجابر الجعفي كانا بريئين مما نسبه اليهما المغيرية.

(٥) الاشعري، المقالات، ص٤٣.

(٦) الرجال، ص ١٩٦.



تنته بمقتل المغيرة سنة ١١٩هـ بل نجد اشارة للعملية نفسها تعود الى مطلع القرن الثالث الهجري. ولعل في ذلك مايدل على عمق غور حركة الغلو من جهة، واستمرارها من جهةِ أخرى. قال الكشي ان يونس بن عبد الرحمن قال: (وافيت العراق فوجدت بها قطعةَ من أصحاب ابي جعفرعليه السلام... فسمعت منهم وأخذت كتبهم فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا (ت ٢٠٣هـ) فانكر منها احاديث كثيرة ان يكون من أحاديث أبي عبد اللهعليه السلام وقال لي: ان ابا الخطاب كذب على ابي عبد اللهعليه السلام لعن الله ابا الخطاب، وكذلك أصحاب ابي الخطاب يدسون هذه الاحاديث الى يومنا هذا في كتب اصحاب ابي عبد اللهعليه السلام فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن فأنا ان تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة...)[1].

ونختم البحث عن الغلو والغلاة بآراء وملاحظات ندرجها بما يلي:

اولاً: احتل علي وآل بيته مركزاً مرموقاً بين الغالبية العظمى من المسلمين، فلا عجب ان نجد الغلو في بداية ظهوره يتركز في الغالب حول اشخاصهم ويظهر في بيئة شيعية هي الكوفة ونواحيها.وكلما امعن خصوم علي من المسلمين في تشويه منزلته وافتعال الاحاديث والأخبار في الحط من قدره، كلما زادوه رفعة وجعلوا طوائف من المسلمين يفتنون به ويخرجونه وآل بيته من مصاف البشر الى منزلة الربوبية دون علم منه أو رضاه. روى المفيد ان الشعبي كان يقول (لقد كنت اسمع خطباء بني أمية يسبون أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام على منابرهم وكأنما يشال بضبعه الى السماء، وكنت اسمعهم يمدحون اسلافهم على منابرهم وكأنهم يكشفون عن جيفة). وقال الوليد بن عبد الملك لبنيه يوماً يا بني عليكم بالدين فأني لم أر الدين بنى شيئاً فهدمته الدنيا، ورأيت الدنيا قد بنت بنياناً فهدمه الدين. مازلت أسمع اصحابنا وأهلنا يسبون علي بن ابي طالبعليه السلام ويدفنون فضائله ويحملون الناس على شنأنه فلا يزيده ذلك من القلوب الا قرباً،

---

(١) الرجال، ص١٩٥-٦.



ويجتهدون في تقريبهم من نفوس الخلق فلا يزيدهم ذلك من القلوب إلا بعدا)[1].

وهكذا نجد عوامل عدة تتضافر لتجعل من علي وآل بيته موضعاً للغلو الذي أفتتن فيه الكثيرون من الناس. وقد اثارت هذه الظاهرة قلق الأئمة وقلق المعتدلين من شيعتهم فأخذوا يعملون بجد لإيقاف تيار الغلو، ولكن وسائلهم التي ذكرناها في أعلاه كانت غير كافية لان التبرؤ من الغلاة واظهار كذبهم لم يزدهم الا تمادياً في الغي في أغلب الاحيان.

ويبدو ان علماء الامامية بعد ان تسلموا زمام المذهب بعد الغيبة التفتوا الى الناحية المذكورة فعملوا على مقاومة عدد من أفكار الغلاة، أمثال الدعوة الى اتخاذ الأئمة أرباباً من دون الله، والقول بالتناسخ والحلول، وتلقي الأئمة للوحي، ولكنهم من ناحية ثانية هذبوا ونسقوا الصفات التي خص الله بها أئمتهم، كما يعتقدون، ومنها العصمة والإلهام والعلم، وغير ذلك من اختصاصات الأئمة. فقالوا ان الامام لابد أن يكون معصوماً من الذنوب لانه ان لم يكن معصوماً لم يؤمن ان يدخل فيما دخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج ان يقام عليه الحد كما يقيمه هو على غيره فيحتاج الامام حينئذ الى امام الى غير نهاية.

والإمام لا يوحى اليه (لان الوحي من جميع جهاته وفنونه منقطع بعد النبيﷺ بإجماع الأمة)[2] ولكن العقيدة تقول ان الله يعلّم الامام بوسائل منها (الالهام والنكت في القلب والنقر في الأذن والرؤيا في النوم والملك المحدث له، ووجوه رفع المنار له، والعمود والمصباح وعرض الاعمال عليه، لان ذلك كله قد صح بالأخبار الصحيحة القوية الاسانيد انها من علامات علوم الامام وجهاتها فلا يجوز دفعها....)[3] .

ثالثاً: ان طائفة من المفاهيم والأفكار الشيعية ذات العلاقة بالبدأ والرجعة تعرضت

(1) الارشاد، ص ١٤٦.

(2) الاشعري، المقالات، ص ٩٧.

(3) ايضاً، ص ٩٧.

للتذهيب والتشذيب وخلصت من كثير من الافكار الغريبة التي ادخلها الغلاة، وأسندت بالقرآن والسنة ومباحث علم الكلام بحيث أصبحت تلك المفاهيم تختلف في المحتوى والهدف عن تلك التي قال بها الغلاة.

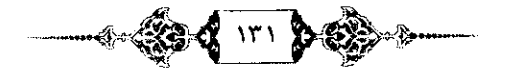
ولعل فكرة انتقال ارواح الانبياء والحجج في الاصلاب أدخلت لتحل محل فكرتي التناسخ والحلول اللتين ادخلهما الغلاة. روى الكشي ان محمد بن فرات سأل الامام الباقر عليه السلام عن قوله عزوجل (وتقلبك في الساجدين) قال في أصلاب النبيين وفي رواية الحسن بن احمد قال: (من صلب نبي الى صلب نبي)[١].

وقد وردت أقوال نسبت للامام علي او لغيره من الأئمة منها ما روى عن الباقر انه قال (قال أمير المؤمنين عليه السلام أنا وجه الله، وأنا جنب الله، وأنا الاول وأنا الآخر، وأنا الظاهر وأنا الباطن وأنا وارث الأرض، وأنا سبيل الله وبه عزمت عليه. فقال معروف بن خربوذ ولها تفسير غير ما يذهب فيها أهل الغلو)[٢] وأعتقد ان القول المذكور وأمثاله من صنع أهل الغلو ولكن التفاسير التي أشار اليها ابن خربوذ هي من صنع علماء الشيعة المعتدلين.

---

(١) الرجال، ص ١٩٤.

(٢) الكشي، الرجال، ص ١٨٤.



الفصل الرابع:

العقائد الاساسية للشيعة الامامية

سأتناول في هذا الفصل العقائد الاساسية للإمامية أمثال الامامة، والعصمة، والغيبة ثم الحق ذلك ببحث مختصر للقضايا الفرعية من تقية ورجعة، وغير ذلك مما له صلة بعقائد الفرقة المذكورة. وسيكون اهتمامي منصباً بالدرجة الاولى على الجوانب العقيدية ذات الصلة بتاريخ الفرقة، وبما يميزها عن غيرها من الفرق، اما مايتصل من عقائد الامامية بالإلهيات والعبادات فمكانه غير هذا الكتاب.

الامامة

الاعتقاد بالإمامة أمر واجب بالنسبة لكل شيعي امامي. وقد شذ بعضهم عن اجماع الغالبية العظمى من علماء الامامية[(١)-أ] فرأى (ان دفع الامامة كدفع النبوة لا فرق بينهما لان الجهل بالإمامة كالجهل بالنبوة)[(١)-ب] ويسوق الامامية أدلة من الكتاب والسنة على

(١ - أ) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان، ج٩(النجف ١٩٦٣)، ص ٣٥١-٢.
فسر الطوسي الآية (١٤) من سورة الحجرات بما يأتي:
قال في وصف المؤمن [ثم وصف المؤمن على الحقيقة فقال (انما المؤمن على الحقيقة (الذين آمنوا بالله) وصدقوا وأخلصوا بتوحيده (ورسوله) أي وأقروا بنبوت نبيه (ثم لم يرتابوا) أي لم يشكو في شيء من أقوالهم]
ونخلص من ذلك بنتيجة هي ان الاعتراف بوحدانية الله، والتصديق برسالة محمدﷺ وعدم الشك في شيء من أقوالهما تكفي لوصف الفرد بالإيمان وعبر بعضهم عن ذلك بقوله ان الامامة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين.
(١-ب) المرتضى علي بن الحسين مجموعة في فنون علم الكلام تحقيق محمد حسين آل ياسين (بغداد ١٩٥٥)، ص ٧١.

وجوب الامامة قال ابن شهرآشوب ان الله بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١] بدأ بالخليفة قبل الخليقة، والحكيم العليم يبدأ بالأهم قبل الأعم، وقوله ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٢] دليل على انه لا يخلوا كل زمان من حافظ للدين أما نبي او امام[٣]. وقال الشيخ الطوسي عند تفسيره للآية التالية: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٤]. الكلمات هي الامامة على ما قال مجاهد. والمراد بالعهد هو الامامة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قالوا لا يكون الظالم اماماً.

وقال الطوسي ايضاً واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان الامام لا يكون إلا معصوماً من القبائح لان الله تعالى نفى ان ينال عهده ـ الذي هو الامامة ـ ظالم، ومن ليس بمعصوم فهو ظالم، ومن ليس بمعصوم فهو ظالم: اما لنفسه او لغيره[٥].

أما الادلة على واجب الامامة في السنة فهي كثيرة، وقد جمع ابن شهراشوب طائفة منها[٦]. وروى الكليني ان حديثا جرى عن الامامة بحضور احد اصحاب الرضا عليه السلام فاخبره بذلك. فقال الامام الرضا: (جهل القوم...ان الله...لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين.. وانزل في حجة الوداع..: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ وامر الامامة من تمام الدين... هل يعرفون قدر الامامة ومحلها من الامة فيجوز فيها اختيارهم... ان

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) الانعام: ٨٩.

(٣) ابن شهر آشوب محمد بن علي، مناقب آل ابي طالب،ج١ (النجف ١٩٥٦)، ص ٢١١.

(٤) البقرة: ١٢٥.

(٥) التبيان في تفسير القران ج١ (النجف، ١٩٥٧) ص ٤٤٦، واما بعدها.

(٦) مناقب آل ابي طالب، ج١، ص ٢١١. واما بعدها.

الامامة خص الله...بها ابراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة... فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال الخليل مسروراً بها: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله...: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية امامة كل ظالم الى يوم القيامة وصارت في الصفوة فلم تزل في ذريته...حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله... فقلدها صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام.. فصارت في ذرية الاصفياء... فهي في ولد علي عليه السلام خاصة الى يوم القيامة...ان الامامة منزلة لانبياء وارث الاوصياء...)[1].

وتناول الشيخ الطوسي المعروف بشيخ الطائفة موضوع الامامة بالتفصيل في كتابة الموسوم بـ (تلخيص الشافي في الامامة)[2]. وتوصل الطوسي الى ان وجود الامام ضروري لان الشريعة مؤبدة وان المصلحة لها ثابتة الى قيام الساعة لجميع المكلفين، وعلى هذا لابد لها من حافظ، وليس يخلو الحافظ من ان يكون جميع الامة او بعضها. ثم يستطرد فيقول (وليس يجوز أن يكون الحافظ لها الامة، لان الامة يجوز عليها السهو، والنسيان، وارتكاب الفساد والعدول عما علمته، فاذن لابد لها من حافظ معصوم يؤمن من جهته التغيير والتبديل والسهو، ليتمكن المكلفون من المصير الى قوله. وهذا هو الامام الذي نذهب اليه)[3].

وبعد ان يفند الطوسي امامة الاخرين، يثبت امامة ائمة الشيعة الامامية ويقول (فقد ثبت بهذا الترتيب: ان الامام بعد الرسول صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام بنصه عليه بالامامة لان كل من قال: وانه عليه السلام الامام بعد الرسول صلى الله عليه وآله بلا فصل لم يثبت الامامة له بالنص). ثم يسوق الطوسي ادله الامامة في علي أمير المؤمنين دون غيره ومنها:

أ. ان الامام لابد ان يكون مقطوعاً بعصمته، ولم يتوفر الشروط المذكورة الا في الامام

(١) الكافي، ج١، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) طبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف سنة ١٩٦٣.

(٣) الطوسي، تلخيص الشافي، ج١ ص ١٣٣-٤.

عليعليه السلام فهو نتيجة لذلك الامام دون غيره من معاصريه.

ب. يكون الامام افضل الخلق، ولا تتحقق تلك الصفة لغيره. واذا ثبت ذلك فلابد ان يكون هو الامام لفساد امامة المفضول.

ج. ان الامام لايكون الا اعلم الناس. وقد ثبت بالاجماع ان ابا بكر والعباس لم يكونا بهذه الصفة بل كانا فاقدين لكثير من علوم الدين وذلك ظاهر من حالهما فبطلت امامتهما، وثبتت امامة أمير المؤمنينعليه السلام[1].

ونفيد مما سبق ان الامامة قضية جوهرية في نظر القائلين بالنص الجلي، وهم الامامية، وسبق ان أشرنا في الفصل الاول من هذا الكتاب الى النص بنوعيه الجلي والخفي فلا ضرورة للتكرار. وينزل الشيعة الامامية الامامة منزلة تلي منزلة الرسالة. (والامامة من أجل الامور بعد الرسالة اذ هي فرض من أجّل فرائض الله...)[2] وهي حصرا في علي لان (النبيصلى الله عليه وآله نص عليه وأشار اليه بإسمه ونسبه وعينه، وقلد الامة امامته واقامه ونصبه لهم علما، وعقد له عليهم إمرة المؤمنين، وجعله وصيه وخليفته ووزيره في مواطن كثيرة)[3].

ويترتب على ذلك ان الشيعة الامامية يبطلون امامة من تقدم على علي أمير المؤمنين. (فالشيعة تقول...) كما جاء في رواية الطوسي ان من تقدم على امير المؤمنينعليه السلام لا يصلح للامامة)[4] ويرى الشيعة ان امارة المؤمنين سلبت من علي بمؤامرة دبرها جماعة من بينهم ابو بكر وعمر وذات مرة سمع الحارث بن الحصيرة الاسدي الامام الباقر يقول (كنت دخلت مع ابي الكعبة فصلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع

---

(١) ايضاً ج١ ص ٧ - ١٠ ملخصا.

(٢) الاشعري، المقالات ص ١٦.

(٣) ايضاً ص ١٥-١٦.

(٤) تلخيص الشافي ج٣ ص ٩٦.

تعاقد القوم ان مات رسول الله ﷺ او قتل لا يردوا هذا الامر في احد من أهل بيته ابدا، قال قلت: ومن كان؟ قال: كان الاول والثاني وابو عبيدة بن الجراح وسالم بن الحبيبة)[1].

ويبدو ان الاب لامانس **Lammens** تبنى الرواية المذكورة وامثالها عندما اعلن فرضيته المعروفة القائلة بوجود تعاون بين ابي بكر وعمر وابي عبيدة لنيل الخلافة في سقيفة بني ساعدة.

ومن الجدير بالذكر ان اشارات وردت في كتب الشيعة يتبين منها ان ذكر امامة علي وآل بيته لم يقتصر على القرآن والسنة، بل ورد مايشير اليه في الكتب المقدسة الاخرى. روى المفيد ان حديثاً جرى بين النبي ﷺ وأحد اليهود. فقال النبي: (ان اول مافي التوراة مكتوب محمد رسول الله... ثم تلا هذه الآية (يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل)[2]، (ومبشراً برسول يأتي من بعدي أسمه أحمد)[3] واما الثاني والثالث والرابع فعلي وفاطمة وسبطيهما... في التوراة [ايليا وشبرا وشبيرا وهليون] يعني فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[4] وروى المفيد ايضاً ان محمد ابن الفضيل قال: (سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول ولاية علي عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الانبياء)[5].

واميل الى القول بان الحديثين المذكورين وامثالهما دخلا في كتب الشيعة مع مادخل من الاسرائيليات الى طائفة من كتب المسلمين كافة. وربما كان دخولهما ودخول أمثالهما يعود الى الفكرة القائلة بأنه يجري في الاسلام ماجرى في الاديان الاخرى حذو القذة بالقذة.

ويعتقد الشيعة ان نص النبي على امامة علي لايقتصر عليه بل يتسلسل في الأئمة

---

(١) الكليني، الكافي، ج٤، ص٥٤٥.

(٢) الاعراف ١٥٧.

(٣) الصف: ٦.

(٤) الاختصاص، ص٣٧.

(٥) ايضاً، ص ١٨٧.



المعصومين الاثني عشر من ولده، قال المسعودي ان اهل الامامة انفردوا بالقول بان (الامامة لاتكون الا نصاً من الله ورسوله على عين الامام واسمه واشتهاره كذلك، وفي سائر الاعصار لاتخلوا الناس من حجة الله فيهم ظاهراً وباطناً...) وبعد ان يعدد المسعودي فضائل علي ويورد نص النبي على امامته يقول (وان علياً نص على ابنه الحسن ثم الحسين، والحسين على علي ابن الحسين، وكذلك من بعده الى صاحب الوقت الثاني عشر)[1].

روى المفيد ان سلمان قال (رأيت الحسين بن علي عليه السلام في حجر النبي صلى الله عليه وآله... وهو يقبل عينيه ويقول: أنت... حجة ابن حجة أبو حجج، أنت الامام ابن الامام ابو الأئمة التسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم)[2].

وروى المفيد ايضاً أن عبد العزيز القراطيسي قال ان الصادق عليه السلام قال (الأئمة بعد نبينا صلى الله عليه وآله اثنا عشر نجباء مفهمون من نقص منهم واحداً او زاد فيهم واحداً خرج من دين الله ولم يكن من ولايتنا على شيء)[3].

ويعتقد الشيعة ان وجود الامام ضروري لحفظ نظام الكون والى هذا اشار الامام الصادق بقوله: (لو ان الامام رفع من الارض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله)[4]. وكان الامام الصادق يقول: (ما ترك الله الارض بغير امام منذ قبض آدم يهتدي به الى الله وهو الحجة من تركه هلك ومن لزمه نجا)[5] ويرى الطوسي (ان

(١) مروج الذهب، ج٣، ص ١٥٦.

(٢) الاختصاص، ص ٢٠٧/٨.

(٣) ايضاً، ص ٢٣٣.

(٤) الكليني، الكافي، ص ٦٣.

(٥) الكشي، الرجال، ص ٢٣٧.

الزمان لايخلو من حجة لله عقلاً وشرعاً)[1].

ويظهر ان اعتقاد الشيعة بفكرة تسلسل الوصاية من آدم الى آخر أئمتهم، الحجة القائم، رفع من أهمية تلك الوصاية وجعلها ليست صادرة من النبي محمدﷺ وحسب، ومقتصرة على الفترة الاسلامية، بل هي ارادة الهية تستهدف استمرار الرسالة الالهية من آدم الى صاحب الزمان.

ومن هذا يظهر ان الشيعة، شأنهم شأن بقية المؤرخين المسلمين القدامى، عدوا التاريخ أنه تاريخ الشعوب الموحدة فقط لا تاريخ البشرية بما فيهم غير الموحدين، ولما كان صاحب الزمان، كما بينا سابقاً لم يمت، وهو في حالة الغيبة وسيخرج في آخر الزمان ليملأ الارض قسطاً وعدلا، ترتب على هذا ان أئمة الشيعة، بما فيهم القائم، سيبقون حماة لفكرة التوحيد حتى آخر الزمان.

علم الأئمة

أود ان أشير، قبل الدخول في البحث، الى ان جُل المصادر التي استعملتها هنا كانت كتب الحديث. وهي، كما اعتقد من خير المصادر التي تستعمل عند البحث عن عقائد فرقة من الفرق. اما تاريخية جميع المعلومات التي وردت في تلك الاحاديث فهي موضع جدل بين الباحثين.

ويعتقد الامامية ان أئمتهم محيطون بالعلوم الالهية. قال الشيخ الطوسي ومما يدل (على ان الامام يجب ان يكون عالماً بجميع احكام الدين: ما ثبت من كون الامام حجة في الدين وحافظاً للشرع)[2]. روى المسعودي ان الامامية قالوا لابد ان (يكون [الامام]

(١) الغيبة [النجف، ١٣٥٨] ص ٥٦.

(٢) تلخيص الشافي، ج ١، ص ٢٧١.



أعلم الخليقة، لانه ان لم يكن عالماً لم يؤمن عليه ان يقلب شرائع الله وأحكامه فينقطع من يجب عليه الحد، ويحد من يجب عليه القطع، ويضع الاحكام في غير الموضع التي وضعها الله...)[1].

والامام لا يوحى اليه، كما اشرنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب، بل انه يستمد علمه من رسول الله ﷺ. قال الطوسي ان (الامام لا يكون عالماً بشيء من الاحكام إلا من جهة الرسول وأخذ ذلك من جهته)[2].

اما المصدران اللذان أخذ منهما الأئمة العلم عن رسول الله فهما الكتاب والسنة. روى الصادق ان رسول الله ﷺ قال: (ان على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه). وقال الصادق ايضاً (اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله او من قول رسول الله ﷺ والا فالذي جاءكم به أولى به). وقال ايضاً (كل شيء مردود الى الكتاب والسنة...)[3] واتخذ الشيعة الامامية كتاب الله وسنة نبيه بمثابة مصدر للتشريع وقد وصف الباقر الفقيه حق الفقيه هو (المتمسك بسنة النبي ﷺ). وقال الباقر ايضاً (مامن أحد الا وله شرةٌ وفترةٌ، فمن كانت فترته الى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته الى بدعة فقد غوى). وقال ايضاً (كل من تعدى السنة رد الى السنة)[4] وامتنع الشيعة عن الاخذ بالقياس واعتبروه بدعة. روي ان الصادق قال (ان اصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس فلم تزدهم المقائيس من الحق الا بعدا، وان دين الله لايصاب بالمقائيس). وقال الامام مرة لجماعة من الشيعة (... انما هلك من قبلكم بالقياس) وانتقد ابا حنيفة لانه كان يقول (قال علي وقلت انا، وقال

---

(١) مروج الذهب، ج٣، ص١٥٦.

(٢) تلخيص، ج١، ص ٢٥٣.

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص ٦٩.

(٤) ايضاً ج١، ص ٧٠ / ١.

الصحابة وقلت..) وذات مرة قال ابو الحسن الاولعليه السلام أي الامام الرضاعليه السلام ليونس بن عبد الرحمن (لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك...).

ونفيد مما سبق ان تسمية اتباع المذاهب الاربعة من المسلمين لانفسهم بأهل السنة لا تعني أنهم يتمسكون بسنة الرسول دون الشيعة الامامية وغيرهم من المسلمين. وربما وضعت تلك التسمية نكايةً بالشيعة ومما يؤيد ذلك ان كتب الشيعة القديمة لاتنعتهم بالاسم المذكور، انما تسميهم (العامة) مقابل (الخاصة)[1] وهو الاسم الذي أطلقه الشيعة على أنفسهم.

اما السبب الذي من أجله وجدت مجموعات حديث خاصة عند الشيعة الامامية تختلف عن تلك التي عند السنة، فيعود الى ان الشيعة الامامية لايرون السنة النبوية في الغالب الاعم الا عن طريق المعصومين بينما أهل السنة لايشترطون عصمة من يروون عنه، ولكنهم يطبقون مقاييسهم الخاصة على رواتهم. فالبخاري صاحب الصحيح لم يروي عن الصادقعليه السلام مع انه اكثر رواة الحديث أهمية عند الامامية وقد روى أكبر كمية من الاحاديث عن آبائه من المعصومين، وذلك ان المعصوم لا يروي إلا عن المعصوم.

أما الكيفية التي تكونت بها مدرستان فكريتان في الحديث أحدهما عند اهل السنة والثانية عند الامامية فقد اتيناعلى ذكرها في الفصل الاول من هذا الكتاب ونضيف هنا ما يأتي:

جرى حديث بين عمر بن حنظلة والامام الصادق حول الطريقة الفضلى التي تحل بموجبها خصومة وقد تجري بين شيعيين. فنصحه الامام بعد الاحتكام للسلطان وقضاته، وبضرورة اللجوء الى فقيه شيعي. وفي حالة اختلاف المتخاصمين يصار الى الأعدل والاصدق في الحديث. وعند وجود اخبار متعددة عن الأئمة في تلك القضية

(١) المفيد، الارشاد، ص ٢٥٣.



يصار الى الخبر المجمع عليه من علماء الشيعة.وعند وجود خبرين مشهورين عن الأئمة يصار الى ماوافق (حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة) ويقصد بالعامة هنا اهل السنة، وعندما سأل ابن حنظلة عن وجود خبرين توفرت فيهما جميع الشروط سوى ان احدهما كان موافقاً للعامة والآخر مخالفاً لهم.

قال الامام يؤخذ (ماخالف العامة ففيه الرشاد). ونستنتج مما أوردناه سابقاً ومن الخبر الوارد في أعلاه ان هناك مدرستين اسلاميتين فكريتين مختلفتين احدهما شيعية امامية وثانيتهما لأهل السنة، وينحصر اختلافهما لا في ماهية المنبعين الرئيسيين للأحكام الشرعية، وهما الكتاب والسنة، بل في طريقة الوصول الى ارادة الله الكامنة في المنبعين المذكورين.

ونحتمل ان موقف البخاري المشار اليه في أعلاه من الامام الصادق كان رداً على موقف الامام من الغالبية العظمى من احاديث اهل السنة. كما أحتمل ان من بين العوامل التي حدت بالصادق لاتخاذ ذلك الموقف هو لجوء أهل السنة الى القياس، وروايتهم عن الضعفاء احياناً، أمثال ابي هريرة.

ونعود الى ذكر الطريقة التي سد بها الشيعة الامامية النقص الذي حصل عن الاستغناء عن القياس. ونحتمل ان علماء الامامية استعانوا بما ورد عن أئمتهم من أحاديث تضمنت حلولاً لمشكلات لم توجد فيها سنة صحيحة أو آية من القرآن. ولعل الأئمة توصلوا لتلك الحلول بما علمهم الله، كما يعتقد الشيعة الامامية، من الالهام، والنكت في القلب، والنقر في الاذن، والرؤيا في النوم، والملك المحدث للامام ووجوه رفع المنار له، والعمود والمصباح وعرض الاعمال عليه[1]. روى المفيد ان عبد الرحيم قال (سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: ان علياً كان اذا ورد عليه امر لم يجيء فيه كتاب ولم تجيء به سنة رجم

(١) الاشعري، المقالات، ص ٩٧.



فيه – يعني ساهم –) فأصاب، ثم قال: (يا عبد الرحيم وتلك من المعضلات)[1] ولما كان الامام معصوماً عند الامامية فلا مجال للشك فيما يقول.

أما معرفة الأئمة للقرآن فقد روى الكليني ان جعفر بن محمد قال): ان الله علم نبيه التنزيل والتأويل فعلمه رسول اللهﷺ علياًعليه السلام قال – وعلمنا والله...)[2] روى الكليني ان الرضا قال (ان الانبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله، ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه مالا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان...)[3] ويعتقد الشيعة ان الامام علي أعلم الناس بالقرآن وأكثرهم تعليماً له.

قال الكليني قلت للناس: (من قيم القرآن؟ فقالوا ابن مسعود يعلم، وعمر يعلم، وحذيفة يعلم، قلت كله قالوا لا، فلم أجد احداً يقال انه يعرف ذلك إلا علياً فأشهد ان علياً صلوات الله عليه كان قيم القرآن)[4] ويستند الامامية، فيما يستندون، في اعتقادهم بأن علياً محيط بعلوم القرآن كلها على روايات منها – قال الامام علي (كنت ادخل على رسول الله كان يوم دخلة، وكل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث ما دار، وقد علم اصحاب رسول الله انه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري... وكنت اذا سألته اجابني، وإذا سكت وفنيت مسائلي ابتداني فما نزلت على رسول الله آية من القرآن الا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها، وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها، ودعا الله ان يعطيني فهمها وحفظها)[5]، وقال علي ايضاً (سلوني قبل ان تفقدوني والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية في

---

(١) الاختصاص، ص ٣١٠.

(٢) الكليني، الكافي، ج ٧، ص ٤٤٢.

(٣) ايضاً، ج، ص ٢٠٢.

(٤) الكليني، الكافي، ص ٥٩.

(٥) القمي، محمد بن علي، الخصال (طهران)، ١٣٢٠ص١٢٣.

ليل انزلت أو في نهار انزلت، مكيها، ومدينها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها، وتنزيلها لأخبرتكم به)[1]، ويعتقد الشيعة ان علياًعليه السلام لم يكن واسع المعرفة في علوم القرآن حسب، بل كان واسع الاطلاع في الحديث ايضاً. وقد كتب علي عن رسول اللهﷺ حديثا كثيرا ضمنه في صحف [2] توارثتها الأئمة من بعده.

ويعتقد الشيعة ان كتب الامام علي كانت تنتقل الى أئمتهم يتوارثها الخلف عن السلف. وذات مرة قيل لزيد بن علي أن الصادق (لم يترك شيئاً مما سألناه عنه إلا أجابنا بها يقع فتبسم زيد ثم قال: أما والله لئن قلت هذا فأن كتب علي عنده دوننا)[3].

ومن الجدير بالذكر انه ليس للصحف المذكورة اهمية في الوقت الحاضر، فهي لم تكن من بين كتب الحديث الشيعية الاربعة التي هي بمثابة الصحاح الستة عند أهل السنة كما انها لم تكن موجودة في الوقت الحاضر ويظهر انها غير موجودة عند غير الأئمة من الشيعة. ولم نعثر على كتاب امامي أشار الى انه استقى معلومات بصورة مباشرة من هذه الصحف المذكورة. وكل ماعثرنا عليه أقوال للأئمةعليهم السلام اخبروا فيها شيعتهم انهم استقوا الحديث الفلاني عن كتب علي التي يحتفظون بها صاغراً عن كابر[4].

وكان أئمة الشيعة يعدون تعليم ما يحيطون به من علوم بمثابة تبليغ للرسالة التي

(١) المفيد، الاختصاص، ص ٢٣٦.

(٢) وكانت احدى الصحف المذكورة تسمى (الجفر) ويصفه الكليني (الكافي،٨٥- ٦) بأنه (وعاء من آدم فيه علم النبيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل... وهناك صحيفة ثانية تسمى (مصحف فاطمة)، وحجمه يزيد عن حجم القرآن بثلاث مرات على رواية الكليني، ويقصد بالمصحف هنا كتاب الحديث لان (الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي انزله الله اليه (النبي) للإعجاز والتحدي لتعليم الاحكام... وانه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا اجماعهم...). انظر – محمد حسين كاشف الغطاء (أصل الشيعة، ص ١٠٦).

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طلب، ج٣ (النجف، ١٩٥٦) ص ٣٧٤.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤(القاهرة، لا. ت) ص ١١٤.

عهد الله تبليغها للنبي محمدﷺ، والنبي بدوره عهد اليهم، بكونهم مبلغين عنه اتمام تلك الرسالة. روى الشيخ المفيد ان جعفر بن محمدعليه السلام قال - (من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن والتفسير فدعوه...)[1]. وروى أحدهم انه سمع الرضاعليه السلام يقول (رحم الله عبدا أحيا أمرنا. فقلت له كيف يحيي أمركم، قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فأن الناس لو علموا محاسن كلامنا لتبعونا)[2].

أما قضية تأويل القرآن فالإمامية، على رواية الكليني، يقولون ان أئمتهم محيطون بتأويله، وان الراسخين في العلم الواردة في القرآن تعني أئمتهم المعصومينعليهم السلام. روى الكليني ان الامام الصادق قال ان المقصود بالآية ((... وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم))[3] هو أمير المؤمنين والأئمةعليهم السلام[4]. وأورد الكليني نماذج من تأويل الأئمة للقرآن منها:

١. ان أبا ولاد قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[5] قال: هم الأئمةعليهم السلام[6].
٢. سأل محمد بن الفضل الامام الباقر عن معنى الآية: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[7] فقال الامام (هم الأئمة خاصة)[8].
٣. سأل عبد الله بن عجلان الباقر عن معنى الآية ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ

(١) المفيد، الامالي (النجف،١٣٥١) ص١.
(٢) القمي، معاني الاخبار(طهران، ١٣٧٦) ص ١٨٠.
(٣) آل عمران: ٧.
(٤) الكليني، الكافي، ج١، ص ٤١٥.
(٥) البقرة: ١٢٠.
(٦) الكافي، ج١، ص ٢١٥.
(٧) العنكبوت: ٤٨.
(٨) الكافي، ج١، ص ٢١٤.

تُسْأَلُونَ﴾[1]. قال الامام عليه السلام: (نحن قومه ونحن المسؤولون)[2].

٤. سأل العلاء بن سيابة الصادق عن معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِى لِلَّتِي هِىَ أَقْوَمُ﴾[3]. وقال عليه السلام: (يهدي الى الامام)[4].

ويبدو ان رواية الكليني المذكورة في أعلاه شاذة ولا تمثل رأي الامامية كافة في قضية خطيرة وهي تأويل القرآن بالشكل الذي أوردته قبل قليل.

ومن الأدلة على ذلك هو ان طائفة من المفسرين الامامية لم يفسروا عبارة الراسخين في العلم الواردة في القرآن الكريم بأنها تعني الأئمة حصراً.

وأشار الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) والطوسي الى اختلاف المفسرين حول امكان العلماء تأويل القرآن أو عدمه. كما لم يخصصا نوع العلماء الذي يستطيع تأويل القرآن[5] وعندما فسر الطوسي الآية التي وردت في رقم (١) من النماذج السابقة قال: (المعني بهذه الآية – في قول قتادة واختيار الجبائي– أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين آمنوا بالقرآن وصدقوا به)[6].

وعند تفسيره للآية الواردة في رقم (٤) من النماذج، قال الطوسي (ان هذا القرآن الذي أنزله [الله] على محمد صلى الله عليه وآله (يهدي) أي يدل (للتي أقوم).

قال الفراء: (لشهادة ان لا اله الا الله. ويحتمل ان يكون المراد يهدي لجميع سبل

---

(١) الزخرف: ٤٣.

(٢) الكافي، ج١، ص ٢١٠.

(٣) الاسراء: ٩.

(٤) الكافي، ج١، ص ٢١٦.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن ج٣ (النجف، ١٩٥٧) ص ٤٠٠، الشريف الرضي، محمد، حقائق التأويل في متشابهات التنزيل، ج٥(النجف، ١٩٣٦) ص٧ – وما بعدها.

(٦) التبيان، ج١، ص ٤٤١.

الدين... من توحيد الله، وعدله، وصدق انبيائه...)[1].

والذي نقرره هنا ان المفسرين الامامية، لا المحدثين منهم، هم خير من يعول عليهم في معرفة رأي الطائفة الامامية في تفسير القرآن وتأويله.

ثم ان النتيجة التي توصلت اليها في هذا الباب تؤيد ما سبق ان اوردته في صدر هذا المبحث حول عدم تاريخية جميع المعلومات التي ترد في الاحاديث.

وقد برزت طائفة من الأئمة في كثير من العلوم الاسلامية أمثال التفسير والحديث وأدب الدعاء والخطابة وغير ذلك مما له صلة في العلوم المذكورة. فعلم النحو مثلاً ينسب تأسيسه كثير من الكتاب الى الامام علي والى تلميذه ابي الاسود الدؤلي. قال ابو حيان التوحيدي (ان علي بن ابي طالبعليه السلام سمع قارئا يقرأ على غير وجه الصواب فساءه ذلك فتقدم الى ابي الاسود الدؤلي حتى وضع للناس أصلا ومثالا وقياسا بعد ان وفق له حاشيته ومهد له مهاده وضرب له قواعده)[2]. قال الديلمي أن أهل العلم كافة ينسبون الى عليعليه السلام (أما علم الكلام فأصله ابو هاشم بن محمد بن الحنفية الذي استفاد منهعليه السلام، واما علم الادب فهو الذي قسم الكلام على ثلاثة اضرب، وأمر ابا الاسود الدؤلي وضعه بعد ان نبهه على أصله، وأما علم التفسير فأصله ابن عباس تلميذ عليعليه السلام، واما علم الفصاحة فهوعليه السلام علم الناس الخطب والكلام الفصيح. واما علم الفقه فانتساب الشيعة اليه ظاهر. وابو حنيفة كان تلميذ الامام الصادقعليه السلام والشافعي قرأ على محمد بن الحسن الشيباني تلميذ ابي حنيفة وأحمد تلميذ الامام الكاظمعليه السلام. ومالك قرأ على ربيعة الرأى وربيعة الرأى قرأه على عكرمة، وعكرمة قرأ على ابن عباس تلميذ عليعليه السلام)[3].

وقال السيد المرتضى (اعلم ان أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين

(١) ايضا، ج٦، ص ٤٥٢-٥٣.

(٢) البصائر والذخائر، ج١، (بغداد، ١٩٥٤) ص ١٧٥.

(٣) الديلمي، محمد، الشاد القلوب، ج٢، (بيروت، ١٣٨١) ص ٧ – ٨.



صلوات الله عليه. وخطبه فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه، ولا غاية وراءه ومن تأمل المؤثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما أسهب المتكلمون من بعده في تصنيفة وجمعة، انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول. وروى عن الائمة من ابنائه عليهم السلام من ذلك مايكاد لا يحاط به كثرة...)[1] وقد وصف حذيفة بن اليمان عليا بأنه (ارجح الناس علماً)[2] وقال فيه خزيمة بن ثابت:

وجـدنـاه اولى الـنـاس بـالـنـاس انـه　　　اطـب قـريـش بالكتاب وبالسنن[٤]

وقال مرة (ياطالب العالم ان للعالم ثلاث علامات، العلم بالله، وبما يحب الله، وبما يكره الله...)[٤] وكان علي بن ابي طالب بالكوفة في الجامع اذا قام اليه رجل من اهل الشام فسأله عن مسائل[٥] وكان الامام يدقق في رواية الحديث عن الرسولﷺ. وكان يقول: (ما حدثني احد بحديث الا استحلفته عليه)[٦] وذات مرة قال ابن عباس (علي علمني وكان علمه من رسول الله... وعِلم اصحاب محمد كلهم في علم علي كالقطرة الواحدة في البحر...)[٧] وذكر اليعقوبي جماعة من تلامذة الامام عليعليه السلام الذين كانوا يحملون عنه العلم، وكان من بينهم الحارث بن الاعور، وأبو الطفيل عامر بن وائلة، وحبة العرني، ورشيد الهجري، وجويرية بن مسهر، والاصبغ بن نباتة، وميثم التمار، والحسن بن علي[٨] وكان ابو رافع من تلامذة علي ايضاً، وألف كتاب السنن والأحكام

(١) المرتضى، الامالي، ج١ (القاهرة، ١٩٥٤) ص١٤٨.

(٢) المفيد، الفصول، ج٢، ص ٦٥.

(٣) ايضا، ج٢، ص ٧٧.

(٤) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص ١٨٣.

(٥) القمي، الخصال (طهران، ١٣٠٢) ص ١٣٦.

(٦) المفيد، الفصول، ج٢، ص ١٢٤.

(٧) الطوسي، الاماني، ص ٨.

(٨) التاريخ، ج٢، ص ١٩٠.

والقضايا[١].

وفي مسجد الكوفة القى الامام عليه السلام الاكثرية العظمى من خطبه التي حواها نهج البلاغة. قال ماسنيون (وأما في النثر ففي الكوفة تكونت تلك المجموعة المعتبرة النفيسة (نهج البلاغة) الحاوية على الخطب والمواعظ التي القاها علي هناك)[٢].

وكان الامام علي بن الحسين من بين الائمة الذين وردتنا معلومات عن اهتمامهم بالرواية ونشر العلم. ولكن شهرة الامام زين العابدين ترتكز على ادب الدعاء. وقد وصلتنا مجموعة من أدعيته عرفت بـ (الصحيفة السجادية). وسميت الصحيفة ايضاً بـ (الكاملة)[٣] وتبدأ الصحيفة بسند روايتها الذي يبدأ بالسيد الاجل نجم الدين بهاء الشرف محمد بن الحسن الحسيني، وتلقى الحسيني الصحيفة عن محمد بن احمد بن شهريار الخازن لخزانة مولانا أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب سنة ستة عشر وخمسمائة للهجرة. وينتهي سند الصحيفة الى الامام زين العابدين[٤]. ويبلغ مجموع ادعية الصحيفة اربعة وخمسين دعاء. وقد الحق بها الناشر ادعية للامام زين العابدين قيلت بمناسبات مختلفة. وتتميز ادعية الصحيفة بلهجة تنم عن الخشوع التام، والحزن العميق. ولعل في ذلك دليلاً على صحة نسبتها الى الامام زين العابدين نظراً لأن الامام المذكور عاش ظروفاً قاسية، وشهد مصرع أبيه الحسين وأصحابه في كربلاء وذاق مرارة الاسر وتحمل مسؤوليات جساماً.

ويقول الشيبي عن الصحيفة المذكورة (ولاشك في نسبة كثيرة من اجزاء الادعية المذكورة الى الامام زين العابدين، ولكن يبدو ان اضافات كثيرة قد اكتنفت النصوص

(١) الكشي، الرجال، ص ٧٦.

(٢) خطط الكوفة – ترجمة تقي المصعبي (صيدا، ١٩٣٩) ص ١٣.

(٣) الامام زين العابدين، الصحيفة السجادية (النجف،) ص.

(٤) ايضا، ص ٢– ٦.

الاصيلة، وسادتها الصنعة البلاغية بحيث طالت نصوصها، والمفروض في نص الدعاء ان يكون قصيراً ليسهل حفظه...)[1].

وكان الامام زين العابدين يتوثق من الرواة الذين يروون عنه الحديث ويحذرهم من الكذب وذات مرة نصح علي بن الحسين عليه السلام القاسم ابن عوف لما سمع انه يكذب عليه ويروي عنه احاديث منكرة. قال القاسم ابن عوف لقيت (علي ابن الحسين عليه السلام فقال لي يا هذا اياك ان تأتي اهل العراق فتخبرهم انا استودعناك علماً، فانا والله ما فعلنا ذلك وإياك ان تترأس بنا فيصعك الله، وإياك ان تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً، وأعلم انك ان تكن ذنباً في الخير خير لك من ان تكون رأساً في الشر، وأعلم انه من يحدْث عنا بحديث سألنا يوماً فأن حدث صدقاً كتبه الله صديقاً، وان حدث وكذب كتبه الله كذاباً...)[2] .

وعندما تولى الامام الباقر الامامة اولى عنايته للعلم ونشره. قال محمد بن مسلم (سمعت من ابي جعفر عليه السلام ثلاثين الف حديث، ثم لقيت جعفراً ابنه فسمعت منه... ستة عشر الف حديث او قال مسألة...)[3].

وقال جابربن يزيد الجعفي (حدثني ابو جعفر عليه السلام سبعين الف حديث[4] وقال جابر ايضاً قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك انك قد حملتني وقراً عظيماً بما حدثتني به..)[5]وذات مرة سأل أحدهم عبد الله بن عمر عن مسألة فلم يدر بما يجيبه فقال - (اذهب الى ذلك الغلام فسله وأعلمني بما يجيبك، وأشار الى محمد ابن علي الباقر، فأتاه

(١) الصلة بين التصوف والتشيع، ج١، ص ١٦٦.

(٢) الكشي، الرجال، ص ١١٤- ٥.

(٣) الكشي، الرجال، ص ١٥٠.

(٤) المفيد، الاختصاص، ص ٦٦.

(٥) الكشي، ص ١٧١.

فسأله فأجابه فرجع الى ابن عمر فأخبره. فقال ابن عمر انهم اهل بيت مفهمون[1]. قال ثوير بن فاختة (خرجت حاجاً فصحبني عمرو بن ذر القاضي وابن قيس المآصر والصلت بن بهرام وكانوا اذا نزلوا - انظر الآن فقد حررنا اربعة آلاف مسألة نسأل ابا جعفر عليه السلام منها عن ثلاثين كل يوم وقد قلدناك ذلك...)[2].

(ويورد الشيخ الطوسي عدداً من تلامذة الباقر والصادق عليه السلام ومن بين هؤلاء اسماعيل ابن زياد البزاز الكوفي الاسدي روى عنه [أي الباقر] وعن ابي عبد الله عليه السلام...). (والحسن بن شهاب بن يزيد البارقي الازدي الكوفي. روى عنه عليه السلام وعن أبي عبد الله عليه السلام). و(زهير المدائني روى عنه عليه السلام وعن أبي عبد الله عليه السلام). والحكم بن المختار ابن ابي عبيدة... روى عنه وعن ابي عبد الله عليه السلام)[3].

ويبدو مما سبق ان الامام الباقر من مشاهير علماء اهل البيت ومحدثيهم. وقال عنه المجلسي انه (لم يُظهر عن احد من اولاد الحسن والحسين عليه السلام من العلوم ماظهر منه [أي الباقر] من التفسير والكلام والفتيا والحلال والحرام... وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين. فمن الصحابة نحو جابر بن عبد الله الانصاري، ومن التابعين نحو جابر بن يزيد الجعفي وكيسان السنحتياني صاحب الصوفية، ومن الفقهاء نحو ابن المبارك، والزهري، والاوزاعي، وابي حنيفة، ومالك، والشافعي، وزياد ابن المنذر، والنهدي، ومن المصنفين نحو الطبري، والبلاذري والسلامي والخطيب في تواريخهم. وفي الموطأ، وشرف المصطفى، والابانة، وحلية الاولياء، وسنن ابي داود،... ومسند ابي حنيفة، والمروزي، والراغب الاصفهاني، وبسيط الواحدي وتفسير النقاشي والزمخشري، ومعرفة اصول السمعاني.[وكانوا] يقولون قال

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج١١(طهران، ١٣١٥) ص٨٣.

(٢) الكشي، الرجال، ص ١٩١.

(٣) الطوسي، الرجال، ص ١٠٤، ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١٢٣.

محمد بن علي وربما قالوا محمد الباقر)[1].

تولى الامامة بعد الباقر ابنه الصادقعليه السلام. ويعد انتقال الامامة الى الصادق نقطة فاصلة في تاريخ الشيعة الذين عرفوا فيما بعد بالإمامية، وعهداً مهد لتوضيح قواعد مذهبهم وتركيزها. وكان عصر الصادق مواتياً من الناحيتين السياسية والثقافية. فمن الناحية السياسية كان عصره عصر انتقال من العهد الاموي الى العهد العباسي.

وخفت الرقابة على أئمة الشيعة في العصر المذكور مما مكنهم من الانصراف كلية للعلم. اما من الناحية الثقافية فيعد عصر الصادق العصر الذي انتشر فيه تدوين معظم العلوم الاسلامية من فقه وحديث، هذا فضلاً عن ظهور علم الكلام الذي تأثر واضعوه بالعلوم اليونانية. وكان الامام الصادقعليه السلام من أكثر أئمة الشيعة اسلاف الامامية نشاطاً وعملاً على نشر علوم أهل البيت من جهة، والدفاع عن مذهبهم في وجه ممثلي الجماعات الاخرى، من المسلمين، او من الغلاة والزنادقة من جهة أخرى. وكان الصادقعليه السلام يشجع طلبته على كتابة مايسمعون ويوصيهم بحفظ كتبهم. وذات مرة قال لتلميذه عبيد بن زرارة ان رسول اللهصلى الله عليه وسلم قال: (قيودا العلم وفسر له تقييد العلم كتابته). ثم قال له (احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون اليها)[2] وقد وردت اشارة يستدل منها ان الامام الصادق كان يدرس طلبته احياناً كتباً معينة. قال زرارة (أمر ابو جعفرعليه السلام ابا عبد الله فأقرأني صحيفة الفرائض فرأيت جل مافيها على أربعة اسهم)[3].

ويبدو ان عدد تلامذة الصادق كان كبيراً. روى النجاشي ان الحسن ابن علي الوشاء قال: (أدركت في هذا المسجد تسع مائة شيخ كلٌ يقول حدثني جعفربن محمد)[4]. وقال

(١) المجلسي، بحار الانوار، ج١١، ص ٨٤.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الامالي (طبعة حجر) ص ٩٥.

(٣) الكليني، الكافي، ج٤، ص٨١.

(٤) الرجال، ص ٣١.

الشيخ المفيد في معرض كلامه عن الصادقعليه السلام (كان انبههم (اخوته) ذكراً، وأعظمهم قدراً، وأجلهم في الخاصة والعامة، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان، ولم يُنقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نُقل عنه، ولا لقى احد منهم من اهل الاثار ونقلة الاخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد اللهعليه السلام فإن اصحاب الحديث قد جمعوا اسماء الرواة عنه من الثقاة على اختلافهم في الاراء والمقالات فكانوا اربعة آلاف رجل من اصحابه)[1].

ووردت اشارة الى ان الامام الصادق كان يصحح مؤلفات تلامذته احياناً. روى الحلي ان لعبيد الله كتاباً (عرضه على الصادقعليه السلام وصححه وقال عند قراءته ليس لهؤلاء في الفقه مثله. وهو أول كتاب صنفه الشيعة)[2].

وللشهرستاني رأي عن الصادق وعن غزارة علمه يقول فيه: (وهو ذو علمٍ غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات. وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض على الموالين له اسرار العلوم... ثم دخل العراق وأقام بها مدة ما تعرض للإمامة قط،ولا نازع أحد في الخلافة قط ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط)[3].

وللجاحظ رأي في الامام الصادق وأبيه الباقر. يقول الجاحظ (وكان محمد بن علي بن الحسين، سيد فقهاء الحجاز ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه، وهو الملقب بالباقر، باقر العلم)[4].

أما الكُتاب المعاصرون فلهم آراؤهم في علم الامام الصادق. فدونالدسون عد الامام

(١) الارشاد، ص ٢٤٩.

(٢) الطوسي، الرجال ص ٥٦.

(٣) الملل والنحل (القاهرة ١٩٤٧) ص ٣٣٤- ٥.

(٤) الرسائل باعتناء السندوبي (القاهرة ١٩٣٣) ص ١٠٨.



الصادق صاحب مدرسة شبه سقراطية[1] ورأي أمير علي ان المدرسة التي اسسها الامام الصادق، لم تغلق بوفاته، بل ظلت تزدهر برعاية ابنه موسى الكاظم[2].

ولعل فيما أوردناه عن المركز العلمي الذي احتله الامامان الباقر والصادق يضعف رأي الدكتور كامل الشيبي الذي يقول فيه اما الامام الباقر (فقد اشتهر بالعلم حتى لقب بالباقر بناءً على نبؤة من النبي بولادته، ولكن علمه ضاع.. ولم يبقى منه الا كونه لامَ اخاه زيداً... على الاخذ من واصل بالعطاء شيخ المعتزلة...) وعند كلامه عن علم الصادق يقول الشيبي ايضاً (لكن هذا العلم ضاع في زحمة التلفيق عليه حتى لقد أعرض البخاري عن رواية أحاديثه. ولم يبقَ من تراث الصادق الا الشاذ من المعارف كالرسائل التي يرويها جابر بن حيان عنه في الكيمياء... والجفر في علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص...)[3].

وقد أوردنا معلومات كافية عن الاجازات الفكرية للأئمة المعصومين بما فيهم الباقر والصادق في كتابنا الموسوم بـ (تاريخ التربية عند الامامية بين عصري الامام الصادق والطوسي)[4].

وبعد الامام الصادق تولى الامامان الكاظم والرضا الامامة بالتعاقب. واشتهر الامامان بالعلم، ولكن دورهما رغم أهميته، لا يقارن من حيث الاهمية بدور الامامين الباقر والصادق. ويعود ذلك الى:

اولاً: كانت رقابة خلفاء بني العباس المعاصرين للإمام الكاظم شديدة على الامام

(١) دونالدسن، دوايت، عقيدة الشيعة تر: ع.م (القاهرة ١٩٤٦) ص ١٣٢.

(٢) مختصر تاريخ العرب، تر عفيف البعلبكي (بيروت ١٩٦١)ص٢٠٩.

(٣) الفكر الشيعي (بغداد ١٩٦٦) ص ٣٣-٤.

(٤) الكتاب المذكور اطروحتنا للدكتوراه هو مهيء للطبع.

المذكور[١].

ثانياً: انشغال الامام علي الرضا لفترة من حياته في السياسة وذلك حين ولاه المأمون ولاية العهد.

وكان للامام الكاظم عدد من التلامذة رووا عنه الحديث والفقه. منهم ابراهيم المروزي الذي ألف كتابا ضمنه ما سمعه من أحاديث الامام وهو في السجن[٢]. والحسن بن علي بن يقطين وله (كتاب مسائل موسى بن جعفرعليه السلام)[٣]. وبكر بن الاشعث الذي روى (عن موسى بن جعفر كتاباً)[٤].

وقد وردت اسماء طائفة كبيرة من أصحاب الامام الكاظمعليه السلام في كتب الرجال ومن بينها رجال الطوسي[٥].

اما تلامذة الامام الرضاعليه السلام فكان منهم يونس بن عبد الرحمن[٦]. وعبد الله بن سعد بن حيان الذي روى عن الامام الرضا (كتاب الديات)[٧].

وقد وردت أسماء طائفة كبيرة من اصحاب الامام الرضا وغيره من الأئمة المعصومين الذين تولوا الإمامة بعده أمثال محمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري في كتب الرجال ومن بينها رجال الطوسي.

---

(١) المفيد، الارشاد، ص ٢٧٢.

(٢) النجاشي، الرجال، ص ٣١٩.

(٣) الطوسي الفهرست (النجف ١٩٣٧) ص ٧٣.

(٤) النجاشي، الرجال ص ٨٤.

(٥) الرجال، ص ٣٤٢. وما بعدها.

(٦) الحلي، الرجال، ص ٨٩.

(٧) ايضاً، ص ٤٣.



العصمة

يعتقد الشيعة الامامية بعصمة الأئمة من الخطأ والخطيئة والنسيان. ويرون أن الامام بمثابة النبي معصوم من جميع الرذائل والفواحش ماظهر منها، وما بطن، من سن الطفولة الى الموت عمداً وسهواً. قال الامام علي ابن الحسينعليه السلام (ان الامام منا لايكون الا معصوماً وليست العصمة في ظاهر الخليقة فيعرف بها ولذلك لايكون الا منصوصاً. فقيل له:... فما معنى المعصوم؟ قال هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لايفترقان الى يوم القيامة)[1].

وعالج الشريف المرتضى عصمة الانبياء والأئمة في كتابه الموسوم بـ (تنزيه الانبياء)[2] فقال عند كلامه عن الانبياء (قالت الشيعة الامامية لايجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيراً كان او صغيراً لا قبل النبوة ولابعدها، ويقولون في الأئمة مثل ذلك)[3].

ويعد العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ)من أكثر الكتب الامامية عناية في معالجة موضوع العصمة. ويبدو ان تبلور عقيدة العصمة وتطورها عند الامامية مكنتاه من تقديم عدد كبير من الادلة على وجوبها مسندة بالقرآن والسنة، وعلم الكلام. وضمن الحلي أدلته تلك بكتابه الموسوم بـ (الالفين الفارق بين الحق والمين)[4]. ونورد هنا طائفة من الادلة التي اوردها الحلي في اثبات العصمة بعد ان عرف العصمة بأنها مايمنع المكلف من المعصية. وقال الحلي (وهي ما يمتنع المكلف معه من المعصية متمكناً منها ولا يمتنع منها

(١) القمي، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، ج١(طهران، ١٣١٨) ص٥١.

(٢) طبع الكتاب المذكور في النجف سنة ١٩٦٠.

(٣) المرتضى، تنزيه الانبياء ص ٣٠.

(٤) طبع الكتاب المذكور بعنوان الالفين في امامة أمير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام فيي النجف سنة ١٣٧٢هـ، ويبدو ان الكتاب لم يتمه مؤلفه. وجاء في آخر النسخة المطبوعة التي أعتمدناها فهذا آخر ما اردنا ايراده في هذا الكتاب من الادلة الدالة على وجوب عصمة الامامعليه السلام وهي الف وثمانية وثلاثون دليلاً.

مع عدمها)[1].

اولاً: لما (كان نصب الامام واجباً على الله تعالى استحال صدور الذنب منه). اذ لو (صدر عنه الذنب لجوزنا الخطأ في جميع الاحكام التي يأمر بها وذلك مفسدة عظيمة)[2].

ثانياً: (كل صفة نقص توجب احتياج موصفها في الكمال ونفيها الى غيره، انما توجب الاحتياج الى غير موصوف بتلك الصفة فعدم المعصية أوجبت الاحتياج الى علة خارجة والخارج عن كل الممكن لايكون ممكناً وواجب عدم الخطأ هو المعصوم)[3].

ثالثاً: أمر الله بطاعته، وطاعة رسوله، وطاعة أولي الأمر (وكل من أمر الله تعالى بطاعته فهو معصوم لاستحالة ايجاب طاعة غيرالمعصوم مطلقاً لانه قبيح عقلاً)[4].

رابعاً: جاء في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[5]. وغير المعصوم ضال فلا يسأل اتباع طريقه قطعاً[6].

ويرى كاتب امامي معاصر أن العصمة أمر ضروري لان الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه، حالهم في ذلك حال الانبياء عليهم السلام وان الدليل الذي اقتضانا ان تعتقد بعصمة الانبياء هو نفسه يقتضينا ان نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق[7].

وناقش دونالدسن فكرة العصمة عند الشيعة وتوصل الى ان هذه الفكرة لم تأتي عن

(١) الحلي، الحسن بن يوسف الالفين (النجف ١٣٧٢) ص ٥٠.

(٢) ايضاً، ص ٥٥.

(٣) ايضاً، ص ٥٧.

(٤) ايضاً، ص ٦٠.

(٥) الفاتحة: ٧.

(٦) الحلي الالفين، ص ٦١.

(٧) المظفر، محمد رضا، عقائد الشيعة (النجف ١٩٥٤) ص ٤٥.



طريق الاسفار الدينية اليهودية، وكذلك العهد الجديد لم ينسب صفة العصمة الا ليسوع وحده. وقد اتخذ الذين آمنوا به لأول مرة المسيح المنتظر. فنسبوا تلك الصفة له بأعتباره مسيحاً لا نبيا... ويستخلص دونادلسن من بحثه (ان القرآن نفسه لا يؤيد عصمة الانبياء) ويضرب أمثلة على ذلك عصيان آدم وموسى وداود[1].

ويبدو أن دونالدسن اعتمد في تكوين فكرته السابقة عن العصمة على ظاهر القرآن. ويدحض الشريف المرتضى فكرة الاعتماد على ظاهر القرآن فيما يتعلق بالاخطاء التي نسبت الى الانبياء بقوله: (ان قوله تعالى [فإن كنت في شك مما انزلنا اليك] ظاهر الخطاب له عليه السلام والمعنى لغيره... وليس يمتنع عند من أنعم النظر أن يكون الخطاب متوجها الى النبي صلى الله عليه وسلم، وليس يمتنع اذا كان الشك لايجوزعليه لم يحسن أن يقال له: ان شككت فأفعل كذا كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2] ومعلوم أن الشرك لايجوز عليه.

ولا خلاف بين العلماء في أنه عليه السلام داخل في ظاهر آيات الوعيد والوعد وان كان لايجوز أن يقع منه مايستحق به من العقاب)[3].

ويقول المرتضى ايضا: (انه اذا ثبت دليل عصمة الانبياء عليهم السلام فكل ماورد في القران مما له ظاهر ينافي العصمة ويقتضي وقوع الخطأ منهم، فلا بد من صرف الكلام من ظاهرة، حملة على مايليق بأدلة العقول، لان الكلام يدخله الحقيقة والمجاز، ويعدل المتكلم به عن ظاهرة.... على ان ظواهر الايات التي خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم مما ظاهرة كالعتاب، منها المقصود به امته، والخطاب متوجه اليه، ولهذا روى عن ابن عباس انه قال: (نزل القران بإياك أعني يا جارة....)[4].

---

(١) عقيدة الشيعة، ص ٣٢٥- ٦.

(٢) الزمر: ٦٥.

(٣) المرتضى، المالي ج٢ (القاهرة، ١٩٥٤) ص ٣٨٣.

(٤) ايضا، ج ٢، ص٣٩٩.

ثم يطرح السيد المرتضى السؤال التالي وهو: ماحقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للانبياء والائمة عليهم السلام؟ وبعد ان يناقش المرتضى معنى العصمة يورد الجواب التالي لسؤاله السابق:) اعلم ان العصمة هي اللطف الذي يفعله الله تعالى، فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح، ويقال ان العبد معصوم، لانه اختار عند هذا الداعي الذي فعل له الامتناع من القبيح)[١].

و رأي المسعودي أن السبب الذي من أجله قال الامامية بالعصمة هو تجنب تسلسل الائمة الى غير نهاية من جهة، وخوفهم من ان يكون غير المعصوم فاسقاً او فاجراً في الباطن من جهة اخرى. وينص على لك بقوله: (نعت الامام في نفسه ان يكون معصوماً من الذنوب، لانه ان لم يكن معصوماً لم يؤمن ان يدخل فيما دخل فيه غيرة من الذنوب، فيحتاج ان يقام عليه الحد، كما يقيمه هو على غيرة، فيحتاج الامام الى امام الى غير نهاية، ولم يؤمن عليه ايضا ان يكون في الباطن فاسقاً، فاجراً، كافراً)[٢].

وبعد ماسبق نقول ان لعقيدة العصمة اهمية كبرى عند الامامية ويعود ذلك لما ياتي:

اولاً: اراد الامامية في تبني العصمة حصر القدسية بأئمتهم الاثنى عشر المعصومين دون غيرهم من آل الرسولﷺ، وبذلك حصرو الامامة فيهم واخرجوها من غيرهم بما في ذلك غير المعصومين من بني علي‌عليه‌السلام وبني هاشم.

ثانياً: ان الاعتقاد بعصمة الائمة جعل الاحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون ان يشترطوا ايصال سندها الى النبيﷺ كما هو الحال عند اهل السنة. وقد وضح الامام الباقر‌عليه‌السلام ذلك بقوله: (اذا حدثت في الحديث فلم اسنده، فسندي فيه ابي عن جدي، عن ابيه، عن جده، عن رسول الله، عن جرائيل، عن الله عزه وجل)[٣].

(١) المرتضى، الامالي، ج٢، ص ٣٤٧.

(٢) مروج الذهب، ج٣ ص ١٥٦.

(٣) المفيد، محمد بن النعمان، الارشاد (طهران،١٣٧٧)

وظهر مما سبق ان احاديث الائمة هيه بمثابة احاديث النبيﷺ لان الامام المعصوم لا يروي الا عن امام معصوم وهذا الاخير روى عن النبيﷺ وهذا يؤكد ماقلناه سابقاً هو ان الائمة لاياتيهم الوحي، لان الوحي انقطع بعد وفاة النبيﷺ باجماع الائمه بما فيهم الامامية، بل هم نقلة لآثار النبي.

وترتب على عقيدة الامامية في طرق رواية الحديث ان اصبحت احاديثهم مروية عن المعصومين. روى الكشي أن أبا مريم الانصاري قال: (قال لي ابو جعفرعليه السلام (الباقر) قل لسلمة ابن كهيل والحكم ابن عتيبة: شرقا او غربا لن تجدا علماً صحيحاً الا شيئاً خرج من عند أهل البيت). وروى الكشي ايضا ان أبا بصير قال (سالت أبا جعفرعليه السلام عن شهادة ولد الزنا أتجوز؟ قال: لا. فقلت: ان الحكم بن عتيبة يزعم انها تجوز. فقال: اللهم لا تغفرذنبه قال: الله للحكم انه لذكر لك ولقومك، فليذهب الحكم يميناً وشمالا فو الله لا يوجد العلم الا في اهل البيت نزل عليهم جبرائيل)[١].

ونود أن نشير هنا الى أن الامامية، رغم تأكيدهم على ضرورة الرواية عن المعصوم، كانوا يروون عمن يثقون به من الصحابة. فالشيخ المفيد روى حديثاً رفعة الى عمرو بن الحمق الخزاعي[٢]. وروى الصدوق مارفعة الى جابر بن عبد الله الانصاري[٣] وروى الكليني حديثا رفعه الى سليم ابن القيس الهلالي قال: (قلت لأمير المؤمنينعليه السلام أني سمعت من سلمان والمقداد وابي ذر شيأً من تفسير القران...).

ومن الاحاديث عن نبي اللهﷺ (غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ماسمعت منهم...)[٤] ويبدو من الرواية السابقة ان الامام عليا أقرَ رواية جماعة من

(١) الرجال، ص ١٨٣.

(٢) الاختصاص، ص ١٥.

(٣) من لايحضره الفقيه، ج١ (النجف، ١٩٥٧.) ص ١٥١.

(٤) الكافي، ج١، ص ٦٢.

الصحابة مباشرةً عن النبيﷺ، وأعترف ان احاديثهم صحيحة رغم خلو سندها من معصوم من الأئمة.

ويروي الامامية احياناً عن عائشة (ر). فالصدوق كان يروي عنها[1] كما رووا عن غير عائشة وان لم يكونوا من الشيعة. روى الطوسي حديثاً رفعه الى أنس بن مالك[2].

ونختتم حديثنا عن وجهة نظر الشيعة الامامية بصحة الاخبار التي تصدر عن المعصوم برأي الاستاذ كولدزيهر قال فيه: (ومن تعاليم الشيعة ان الاقوال والروايات التي ترجع الى رواية أكيدة عن الأئمة، هي اقوى في الاثبات والتيقن من الادراك المباشر للحواس، وذلك لعصمة من روى عنهم وتنزههم عن الخطأ، وهذه الاقوال أهل لأن تهب المرء يقيناً صحيحاً مطلقاً أصح من ذلك اليقين المكتسب بطريق الحواس المعرضة للوهم والخداع)[3].

الغيبة

يرى الشيعة الامامية (ان الزمان لايخلو من حجة الله عقلاً وشرعاً)[4] فيترتب على ذلك ان الامام الثاني عشر المهدي صاحب الزمان غاب عن الابصار بعد سنة ٢٦٠هـ بأمر من الله، وسيخرج في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج.

ويستند الامامية، فيما يستندون، على امامة المهدي وغيبته على حديث النبيﷺ الذي يقول فيه (يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش) الذي رواه أهل السنة والشيعة[5].

(١) من لايحضره الفقيه، ج١، ص ٣٠.

(٢) الخلاف، ج٣ (قم لا.ت) ص٩٤.

(٣) العقيدة والشريعة في الاسلام – ترجمة محمد يوسف وعبد العزيز عبد الحق (القاهرة، ١٩٤٦) ص ١٨٩.

(٤) الطوسي، الغيبة ص ٥٦.

(٥) النعماني، الغيبة، ص٤٨-٩.



ويقول الطوسي بصدد الحديث المذكور (ومما يدل على امامة صاحب الزمان ابن الحسن بن علي بن محمد ابن الرضاعليه السلام وصحة غيبته ماورواه الطائفتان... العامة والامامية ان الأئمةعليهم السلام بعد النبيصلى الله عليه وآله اثنا عشر... واذا ثبت ذلك فكل من قال بذلك قطع على الأئمة الاثني عشر الذين نذهب الى امامتهم وعلى وجود ابن الحسنعليه السلام وصحة غيبته...) ثم يورد الطوسي طائفة من الاخبار عن أهل السنة والامامية معاً لاثبات الغيبة[1].

ويعلل الصدوق سبب الغيبة بحديث رواه الصادق عن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال فيه: (لابد للغلام من غيبة، فقيل له ولِمَ يارسول الله؟ قال يخاف القتل)[2].

وأكد المرتضى العلة التي أوردها الصدوق في اعلاه لغيبة الامام الثاني عشر، وهي انه غاب خوفاً على نفسه، ولكن المرتضى بين ان غيبته كانت عن الاعداء اولاً، ثم اقتضت ارادة الله ان تكون الغيبة عن الاعداء والاولياء معاً. قال المرتضى (اما الاستتار والغيبة فسببها إخافة الظالمين له على نفسه... ولم تكن الغيبة من ابتدائها على ماهي عليه الآن، فإنه في ابتداء الأمر كان ظاهراً لأوليائه غائباً من أعدائه، ولما اشتد الأمر وقوى الخوف، وزاد الطلب استتر عن الوالي والعدو)[3].

ويعتمد الشيعة الامامية سبباً آخر للغيبة، وهو انها جرت تطبيقاً لسنة الهية كانت قد جرت في الاديان السماوية الاخرى، فلا بد من حدوثها في الاسلام اسوة بتلك الاديان. حدث حنان بن سدير عن أبي عبد اللهعليه السلام قال (ان للقائم منا غيبة يطول أمدها فقلت ولم ذاك يا ابن رسول الله؟ قال ان الله عزوجل ابى ان لا أن يجري فيه سنن الانبياء عليهم السلامخ في غيباتهم، وانه لابد له ياسدير من استيفاء مدد غيباتهم قال الله عزوجل

(١) غيبة، ص٨٧- ومابعدها.

(٢) علل الشرائع، النجف ١٩٦٣.

(٣) تنزيه الانبياء، ص٢٢٨.

لتركبن طبقاً عن طبق أي سنناً على سنن من كان قبلكم)[1].

ولم تكن غيبة الامام المهدي جارية طبقاً لسنن الانبياء وحسب بل ان ما يتعلق بها من صغر سن الامام وسبب اختفائه،ووفرة علمه، وغير ذلك مما له علاقة بسيرته، تسير وفق سنن وأمثلة وجدت في الاديان السماوية الأخرى بما فيها الاسلام. فالامام المهدي الشيعي حباه الله بالامامة والعلم صبياً (كما أوتي عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا الكتاب والنبوة والعلم والحكم صبيا، والدليل على ذلك قول ابي عبد الله عليه السلام: فيه سنة من أربعة أنبياء احدهم عيسى ابن مريم عليه السلام لانه أوتي الحكم صبيا، والنبوة والعلم وأوتي هذا عليه السلام الامامة)[2]. وقال الطوسي (ان في صاحب الزمان عليه السلام شبهاً من يونس رجوعه من غيبته بشرخ الشباب)[3].

وروى ان الصادق قال: (ان أصحاب موسى ابتلوا بنهر، وهو قول الله عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ وان أصحاب القائم يبتلون بمثل ذلك)[4].

ولم يكن في سيرة الامام المهدي شبه بسيرة أنبياء الاديان الاخرى وحسب، بل فيها شبه بسيرة نبي الاسلام صلى الله عليه وآله. روى الطوسي ان أبا جعفر عليه السلام قال : (يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف، عدة أهل بدر...)[5].

(١) الصدوق، علل الشرائع، ص ٢٤٤- ٥.

(٢) ابن ابي زينب، النعماني، الغيبة، ص ٩٧.

(٣) الغيبة، ص ٢٥٩.

(٤) الطوسي، الغيبة، ص ٢٨٢.

(٥) ايضاً، ص ٢٨٤.



ونستنتج مما سبق:

١. ان الشيعة الامامية بتشبيههم غيبة الامام المهدي بسنن انبياء آخرين جعلوا لغيبة امامهم مفهوماً يتعدى حدود الاسلام ويشمل الرسالة الالهية بكاملها.

٢. مهد المفهوم السابق للغيبة لمهدي الامامية ان يصبح حامياً للرسالة الالهية التي قام بها الانبياء وتحدرت تعاليمها من عهد آدم الى يومنا هذا. ولهذا قال الامامية ان الامام الباقرعليه السلام قال انما (سمي المهدي لانه يهدي لأمرٍ خفي، يستخرج التوراة وسائر كتب الله... فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة وبين أهل الانجيل بالانجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان...)[٦].

وقد عالج فكرة غيبة المهدي عند الامامية عدد من الكتاب المحدثين من بينهم طائفة من الامامية. ومن اشهر الكتاب الامامية الذين عالجوا الغيبة:

اولاً: الاستاذ علي محمد دخيل. وأورد الاستاذ المذكور في كتابه الموسوم بـ (الامام المهديعليه السلام)[٧] تفصيلات وافية عن الامام المهدي وأسباب غيبته وغير ذلك مما له علاقة بموضوع المهدي. وقد اورد خمسين آية من القرآن الكريم مؤلة في المهدي، في فصل عنوانه (المهدي في القرآن الكريم)[٨]. كما عقد في كتابه المذكور فصلًا بعنوان (الرسول الاعظمصلى الله عليه وآله وسلم يبشر بظهور الامام المهديعليه السلام)[٩]. ثم تناول الكاتب أقوال الأئمةعليهم السلام في المهدي بفصول مماثلة. وأفرد فصلاً بأسماء الصحابة الذين رووا أحاديث عن المهدي، وقرن تلك الاسماء بالكتب التي وردت فيها تلك الاحاديث[١٠]. وتلا ذلك بفصل مماثل

---

(٦) الصدوق، علل الشرايع، ص ١٦١.

(٧) طبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف دون ذكر تاريخ الطبع.

(٨) الامام المهدي، ص ٣١- ٦٠.

(٩) ايضاً، ص ٦١-٧٨.

(١٠) ايضاً، ص ١١٤- ١١٧.

عن التابعين[1]. وختم كتابه المذكور بفصل عنوانه (الامام المهدي عند مؤلفي كتب الحديث من أهل السنة)[2].

وتوصل الاستاذ علي محمد الى نتيجة وهي ان موضوع (الامام المهدي عليه السلام لايختلف عن ضروريات الاسلام الاخرى، وانكاره انكار لضرورة من ضروريات الدين)[3].

وربما كان الكتاب المذكور يمثل عقيدة الشيعة الامامية في المهدي عليه السلام.

ثانياً: ان الشيخ محمد رضا المظفر، احد مجتهدي الشيعة المتأخرين. قال المظفر (ان البشارة بظهور [المهدي] من ولد فاطمة في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلا بعدما ملئت ظلماً وجورا - ثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله بالتواتر وسجلها المسلمون جميعاً فيما رووه من الحديث عنه على اختلاف مشاربهم. وليست هي بالفكرة المستحدثة عند (الشيعة) دفع اليها انتشار الظلم والجور، فحلموا بظهور من يطهر الأرض من رجس الظلم، كما يريد ان يصورها بعض المغالطين).

ويستمر المظفر بقوله (ومما يجدر ان نعرفه في هذا الصدد أنه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ (المهدي) ان يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود الى الحق من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله والأخذ بأحكامه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بل المسلم ابداً مكلف بالعمل بما أُنزل من الأحكام الشرعية[4].

وممن عالج الغيبة من الكتاب الآخرين، كولدزيهر وأحمد الكسروي و(وات). قال كولدزيهر: (ان العقائد المهدية عند الشرقين والغربيين، خاصة بإعادة النظم العادلة في

(١) ايضاً، ص ١١٨- ١٢١.

(٢) ايضاً، ص ٣١٩- ٣٢١.

(٣) ايضاً، ص ٧.

(٤) عقائد الشيعة (النجف، ١٩٥٤) ص ٥٧- ٨.

الدين والسياسة تمتازعليها جميعاً عقيدة الشيعة في الامام الخفي الذي لابد من رجعته، وتنفرد دونها بشدة رسوخها وقوة توكيدها)[1].

ويقول أحمد الكسروي عن كيفية ظهور المهدوية: (لايخفى ان قدماء الايرانيين كانوا يعتقدون بإله خير ويسمونه (يزدن) وبإله شر ويسمونه (اهريمن) وكانوا يزعمون ان هذين الالهين لن يزالا يحكمان على الارض حتى يقوم (ساوشيانت) بن زرادشت النبي فيغلب على اهريمن ويبيده ويصير العالم مهداً للخير لايحكمه الا يزدان. وكانوا ينتظرون ساوشيانت، وكان هذا المعتقد قد تأصل في قلوبهم وازداد اغصاناً واوراقاً بمرور الدهر شأن كل معتقد مثله، فلما ظهر الاسلام وفتح المسلمون العراق وايران واختلطوا بالايرانيين سرى ذلك المعتقد منهم الى المسلمين ونشأ بينهم بسرعة غريبة. ولسنا على بينة من أمر كلمة (المهدي) فلا نعلم من وضعها ومتى وضعها)[2].

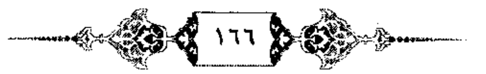
ويبدو ان رأي كسروي لايخلو من ضعف لان فكرة المهدية عرفت عند الشيعة قبل ان يعتنق الايرانيون التشيع كما بينا في الفصل الاول من هذا الكتاب، فمن المستبعد ان يقتبس الشيعة تلك الفكرة من الايرانيين.

أما وات فيقول، عند بحثه بفكرة المهدي عند الشيعة، ان عدداً من قادة الحركة الشيعية كالمختار، الذي لم يكن قرشياً ولاهاشمياً، ادعوا بوجود القائد الغائب. وقالوا ان احد افراد عائلة بني هاشم، ممن توفرت بهم صفات القائد الروحي(**Charismatic Leader**) اوكل اليهم قيادة الثورة في مراحلهم الاولى. وكثيراً ما كان ادعاء اولئك القادة غير مستند الى الحقيقة، ولكن الاوضاع التي وجدوا فيها دعت الى قبول الادعاء المذكور. ومكن ذلك الادعاء بدوره القادة الموهوبين من ان يكسبوا اتباعاً للحركة الشيعية. حسب النظرية الرسمية لبني العباس، متوفرة في جميع افراد بني هاشم ولا يقتصر وجودها على

---

(١) العقيدة والشريعة، ص ١٩٣.

(٢) التشيع والشيعة، ص ٣٥.



آل الرسولﷺ من أبناء فاطمة.

وقد اصبح قبول الافكار التي لها علاقة بعودة مسيح منقذ (**Messianic**) سهلاً بعد ان قبلت فكرة وجود الامام الغائب. وقد ظهر في حالات كثيرة انه في حالة موت القائد الروحي يدعي انصاره انه لم يمت فعلاً، وانه يعيش في الخفاء، وسيعود يوماً كمهدي (اي كشخص يشبه المسيح عند اليهود) وسيعيد الحق والعدالة الى الارض. وقد ساعدت فكرة الامام الغائب الشيعة على قبول الانظمة السياسية والاجتماعية القائمة دون الاعتراف بأنها كامله)(١).

ونختتم حديثنا عن الغيبة بالقول بأن تلك القضية من العقائد الاساسية عند الامامية، وان البحث في التأريخية المطلقة للعقيدة أمر صعب التطبيق لذى يحسن بالمتدينين ان يستمدوا تفسيرهم للعقائد من دليل الوحي بالدرجة الاولى.

التقية

لاتدخل التقية في باب العقائد عند الامامية لانها اذن ورخصة تباح في بعض الحالات الخاصة التي حددتها كتب الفقهاء. لذا يعد الشيعة الامامية التقية من الفروع ولا ينزلونها منزلة العقائد لانها رخصة كما اسلفنا.

ويوضح الشيخ الطوسي موقف الامامية من التقية بقوله: (والتقية – عندنا– واجبة عند الخوف على النفس. وقد روى رخصة في جواز الافصاح بالحق عندها. روى الحسن ان مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من اصحاب الرسولﷺ فقال لاحدهما اتشهد ان محمداً رسول الله؟ قال نعم. قال: أفتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم. ثم دعى بالآخر فقال: أتشهد ان محمداً رسول الله؟ قال: نعم. فقال له أفتشهد اني رسول الله؟ قال: اني أصم –

---

(١) **watt,op. cit,p.107. 146**



قالها ثلاثاً كل ذلك تقية - فتقول ذلك فضرب عنقه. فبلغ ذلك (يعني رسول الله) فقال أما هذا المقتول فمضى على صدقه وتقيته وأخذ بفضله فهنيئاً له. وأما الآخر فقبل رخصة الله، فلا تبعه عليه. فعلى هذا التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة. وظاهر أخبارنا يدل على أنها واجبة وخلافها خطأ[1].

وسند الامامية رأيهم بالتقية بالقرآن والسنة معاً. روى المفيد أن أباعبد الله عليه السلام لما سُئل في قول الله ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾[2].

قال الحسنة التقية والسيئة الاذاعة ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ... إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[4].

وقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[5] وروى الطوسي ان الآية الأخيرة نزلت في عمار بن ياسر عندما أكرهه المشركون بمكة بأنواع العذاب على ان يلفظ بالكفر، وكان قلبه مطمئناً بالايمان، واستثنى عمار من حكم الآية لانه كفر بلسانه. كما روى ان ابا علي قال (هذه معاريض يحسن من الله مثلها، ولايحسن من الخلق الا عند التقية (و) قال: الا ان على اهل العقول ان يعلموا ان الله لم يفعل ذلك الا على مايصح ويجوز، وليس ذلك للانسان الا في حالة التقية...)[6] أما دليل السنة فقد قال الامام

---

(١) الطوسي، التبيان ج٢، ص ٤٣٥.

(٢) فصلت: ٣٤.

(٣) الاختصاص، ص٢٥.

(٤) آل عمران: ٢٨.

(٥) النحل: ١٠٦.

(٦) التبيان، ج٦، ص ٤٢٨-٩.

الصادق: (تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لاتقية له...)[1] وروى الامام موسى الكاظم حديثاً عن النبيﷺ اشار فيه الى ان طاعة السلطان للتقية واجبة[2].

ونفيد مما سبق أن التقية مبدأ اسلامي ظهر في عهد الرسولﷺ وأقره، كما بينا، في حالتين وهما قضية عمار بن ياسر وقضية الرجلين المسلمين مع مسيلمة الكذاب.

ومما يدل على ان التقية مبدأ اسلامي معروف هو أن جماعات اسلامية اخرى غير الامامية امثال طوائف من الخوارج والحنابلة اجازت اللجوء الى التقية عند الخوف على النفس. قال ابن الجوزي (فأخبرني ابو العباس وكان من حفاظ اهل الحديث - انهم دخلوا على أحمد بن حنبل بالرقة وهو محبوس فجعلوا يذاكرونه ما يروي في التقية في الاحاديث...)[3].

اما الاسباب التي جعلت الشيعة الامامية تستعمل رخصة التقية اكثر من غيرها فتعود الى كثرة الجور والاضطهاد الذين تعرضت لهما تلك الطائفة عبرتاريخها. قال الطوسي: (لم تلقى فرقة ولا بلي أهل مذهب بما بليت به الشيعة: من التتبع والقصد وظهور كلمة اهل الخلاف، حتى انا لا نكاد نعرف زمانا - تقدم سلمت فيه الشيعة من الخوف ولزوم التقية، ولا حالاً عريت فيها من قصد السلطان وعصبيته وميله وانحرافه)[4].

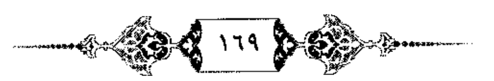
ونختتم حديثنا عن التقية برأيين لمجتهدين معاصرين من مجتهدي الشيعة الامامية وهما المظفر وكاشف الغطاء. قال الشيخ محمد رضا المظفر ان (للتقية احكاماً من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع الضرر مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية. وليست هي واجبه على كل حال، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض

(١) القمي، عيون اخبار الرضا، ج١، ص ١٤.

(٢) ايضاً، ص ٤٥،

(٣) مناقب الامام احمد ابن حنبل (القاهرة، ١٣٤٩،) ص ٣١٦،

(٤) تلخيص الشافي، ج١، ص ٥٩.



الاحوال، كما اذا كان في اظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للاسلام، وجهاد في سبيله، فأنه عند ذلك يستهان بالاموال ولا تعز النفوس. وقد تحرم التقية في الاعمال التي تستوجب قتل النفوس المحرمة، او رواجاً لباطل، او فساداً في الدين، او ظرراً بالغاً على المسلمين؟ ظلالهم او نشاء الظلم والجور فيهم)[1] .

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (والعمل بالتقية له احكامه الثلاثة، فتارة يجب كما اذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة، واخرى يكون رخصة كما لو كان في تركها والتظاهر بالحق نوع تقوية له فله ان يضحي بنفسه وله ان يتحفظ عليها، وثالثة يحرم العمل بها كما لو كان ذلك موجب لرواج الباطل، واظلال الحق، واحياء الظلم والجور)[2].

(١) عقائد الشيعة، ص ٦٤.

(٢) اصل الشيعة واصولها (النجف، ١٣٨١) ص ٦٣– ٤.

الرجعة

تطرق عدد من الكتاب[1] الى الرجعة بمعناها العام، وبينوا فيما اذا كانت فكرة الرجعة اسلامية ام انها مستوردة من الاديان الاخرى.

وسنقصر بحثنا على معنى الرجعة عند الامامية وذكرنا اراء غيرهم في الرجعة بالهامش، ليسهل على القارئ مقارنة اراء الامامية بالرجعة باراء غيرهم فيها والغلاة منهم بخاصة. وربما كان الفرق الرئيس، كما سنرى بين فكرة الرجعة عند الغلاة وفكرة الرجعة عند الامامية هو انها عند الامامية نوع من المعاد الجسماني وعند غيرهم اقرب الى التناسخ. ومن المعلوم ان المعاد الجسماني فكرة اسلامية، بينما فكرة التناسخ فكرة غير اسلامية.

يرى الامامية ان الرجوع بعد الموت، بعد ظهور المهدي عليه السلام ضرورة من ضروريات مذهبهم. واستند الامامية بقولهم في الرجعة على الكتاب والسنة. وفي القران وردت الاية التالية: (قالوا ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من

(١) كولدز يهر (العقيدة والشريعة، ص ٢١٥) ان ((فكرة الرجعة ذاتها ليست من وضع الشيعة او من عقائدهم التي اختصو بها، ويتمل ان تكون تسربت الى الاسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية. فعند اليهود والنصارى ان البي ايليا قد رفع الى السماء، وانه لابد ان يعود الى الارض في اخر الزمان لائقامة دعائم الحق والعدل، ولا شك ان ايليا هو الا نموذج الاول اللائمة الشيعة المختفين الغائبين، الذين يحيون ولا يراهم احد، والذين سيعودون يوماً ما كمهديين منقذين للعالم)).

اما الدكتور الشبيبي (الصلة بين التصوف والتشيع، ج١، ص ١١٥ – ٧) فقد تناول الرجعة هيه عقيدة شيعية عامة. وقرن الشبيبي الرجعة بمحمد ابن الحنفية، وبين انها اتصلت به ميتاً، كما اتصلت به المهدية حياً. ويرى الشبيبي ان عدداً من فرق الغلاة قال بارجعة، وان الكيسانية لم تكتفي بالقول لرجعة روئسائهم باقالوا برجعة علي ابن ابي طالب وانه يقتل معاوية ابن ابي سفيان وآل ابي سفيان ويهدم دمشق ويغرق البصرة.

واطلق ابن الجوزي (تلبيس ابليس، ص ٢٢) اسم (الرجعية) على جماعة الغلاة الاخيرة ورأى انهم (زعموا ان علياً واصحابة يرجعون الى الدنيا وينتقمون من اعدائهم).



سبيل)[1] قال الطوسي عند تفسيره للاية المذكورة (وفي الناس من استدل بهذه الاية على صحة الرجعة. والاماتة الثانية بعدها. والاحياء الثاني يوم القيامة...)[2] ويبدو من تفسير الطوسي للاية المذكورة ان الله يحيي بقدرته جماعة من الناس لمصلحة قدرتها حكمته، ويعيد ارواحهم الى اجسامهم الاولى نفسها فتكون لهم والحاله هذة قيامة صغرى. وبعد ان تتم الغاية الدينية التي من أجلها احياهم يميتهم مرة اخرى بقدرته. ثم يحشر اولئك الراجعين مع سائر الناس في يوم القيامة الكبرى حين يحشر جميع الخلق دون تفريق.

ولما كانت الارواح تعود الى أجسامها الاولى يترتب على ذلك حصول نوع من المعاد الجسماني الذي اباحه الاسلام. فالعقيدة الشيعية الامامية تفسر الرجعة على النحو المشار اليه في اعلاه، بينما الرجعه في نظر الغلاة، كما يرى الشيعة، نوع من التناسخ الذي لا تبيحه الشريعة لابتعاده عن فكرة المعاد الجسماني اولا، ولان الارواح تعود الى اجسام غير أجسامها الاولى، وهو أمر لا تبيحه الشريعة ثانيا.

وقد وضح الامام الصادقعليه السلام رايه في الغلاة وفي التناسخ، ووصف أصحاب التناسخ بأنهم (قد خلفوا ورائهم منهاج الدين، وزينوا لانفسهم الضلالات... والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجة في قالب آخر، فان كان محسنا في القالب الاول اعيد في قالب افضل منه حسناً في اعلى درجة من الدنيا، وان كان مسيئاً اوغير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدنيا، أو هوام مشوهة الخلقة...)[3].

ويترتب على ذلك أن الغلاة أصحاب التناسخ بنكرانهم القيامة، وبقولهم بخروج الروح من قالبها (جسمها) السابق الى جسم جديد، على حد قول الامام الصادقعليه السلام، قد خلفوا ورائهم منهاج الدين.

---

(١) غافر: ٤٠-١١.

(٢) التبيان، ج٩ (النجف، ١٩٦٣) ص ٦٠.

(٣) الطبرسي - الاحتجاج، ج٢ (النجف، ١٩٦٦) ص ٨٩.

اما الشيعة الامامية الذين يمثل رأيهم الامام الصادق عليه السلام فانهم يخالفون الغلاة لان عقيدتهم تجعل الارواح القديمة عند حصول الرجعة تعود الى اجسامها القديمة. وبذا تقرر عقيدتهم ان رجعتهم تنسجم مع تعاليم الاسلام لانها نوع من المعاد الجسماني، وان رجعة الغلاة او تناسخ الارواح لا تنسجم مع تلك التعاليم.

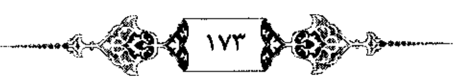
وبحث فكرة الرجعة عند الامامية الشيخ محمد رضا المظفر فقال (ان الذي تذهب اليه الامامية اخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام ان الله تعالى يعيد قوماً من الاموات الى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقاً ويذل فريقاً اخر، ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين. وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام).

ويورد الشيخ المظفر أدلة من الكتاب ومن الاخبار الواردة عن آل البيت عليهم السلام، ثم يفند حجج الطاعنين على الامامية لقولهم بالرجعة. ويخلص الى القول ان من يستغرب الرجعة يكون بمثابة من يستغرب البعث فيقول: (من يحيي العظام وهي رميم) فيقال له: (يُحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم).

وينهي الشيخ المظفر حديثه عن عقيدة الرجعة عند الامامية بقوله) على كل حال فالرجعة ليست من الاصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها، وانما اعتقادنا بها كان تبعاً للاثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين ندين بعصمتهم من الكذب وهي من الامور الغيبية التي اخبروا عنها ولا يمتنع وقوعها)[1] .

---

(١) المظفر الشيخ محمد رضا،عقائد الشيعة (النجف، ١٩٥٤) ص ٥٩-٦٣.



ملاحق الكتاب

الملحق الاول:

الكوفة والتشيع في عهد الائمة المعصومين(عليهم السلام)

بينا في الفصل الاول من هذا الكتاب أن الكوفة كانت أول مركز نمت عقيدة التشيع فيه، وتطورت بين ربوعه. ونتيجة لذلك أحتلت الكوفة مركزاً مرموقاً في الادب الشيعي الامامي. ورويت أقوال وأحاديث كثيرة للأئمة او لغيرهم يتضمن بعضها فضل الكوفة، بينما يتضمن البعض الآخر صلة أهلها بالتشيع. ويصعب أن نجد انسجاماً بين مضمون ما سنورده من الاحاديث والاقوال وبين موقف أهل الكوفة الفعلي من آل الرسولﷺ في تلك الفترة، اذ من المعلوم ان جل المصائب التي نزلت بآل البيت، خلال عهد الأوائل من الأئمة بخاصة، كانت على يد أناس أغلبهم من الكوفيين، كما أن اكثر تلك المصائب حصل في محيط كوفي.

ويعبر القول الذي أجاب به أحدهم الحسين بن علي عليه السلام حين سأله عن أهل العراق، وهو(قلوبهم معك وسيوفهم عليك)، عن ولاء غالبية أهل الكوفة في بداية الأمر.

ولكن الولاء المذكور مالبث أن تحول مع الزمن الى عقيدة شيعية عميقة اتخذت من قلوب غالبية معتنقيها وأفكارهم موطناً لها، دون ان تلزم الغالبية المذكورة نفسها بالتضحية بدمائها من أجل تلك العقيدة.

وان تقاعس اهل الكوفة في نصرة آل البيت عليهم السلام بالسلاح في حياتهم فأنهم أصبحوا



فيما بعد من الموالين لهم، ومن المخلصين المتمسكين بالعقيدة (الجعفرية) التي عرفت فيما بعد (الامامية) وكانت بذور العقيدة المذكورة قد رسخت جذورها بين الكوفيين، ثم اينعت وأتت ثمارها بين ظهرانيهم.

وكان ذلك نتيجة لجهود مشتركة بذلها الأئمة المعصومون عليهم السلام وعلماء الشيعة أسلاف الامامية، ثم واصلها علماء الامامية بعد انقضاء عهد اولئك الأئمة.

وقلما بذل الكوفيون الشيعة أسلاف الامامية دمائهم، باستثناء عهد علي بن ابي طالب عليه السلام تحت راية أئمتهم من أجل ارجاع حق آل البيت في زعامة المسلمين، وتركوا تلك المهمة للشيعة الزيدية وغيرهم من فرق الشيعة. ويعود ذلك لأسباب سردناها في صلب الكتاب فلا حاجة لتكرارها.

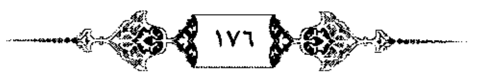
واليك طائفة من الاقوال والاحاديث التي قيلت في فضل الكوفة وفي توضيح صلة أهلها بالتشيع الذي عرف فيما بعد بالتشيع الامامي.

روى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: (ياعلي ان الله عزوجل عرض مودتنا أهل البيت على السموات فأول من اجاب منها السماء السابعة فزينها بالعرش والكرسي، ثم السماء الدنيا فزينها بالنجوم، ثم ارض الحجاز، فشرفها بالبيت الحرام، ثم ارض الشام فشرفها ببيت المقدس، ثم ارض طيبة فشرفها بقبري، ثم ارض كوفان فشرفها بقبرك ياعلي...)[١]. ويبدو من الحديث السابق ان الكوفة اصبحت من الاماكن المشرفة لانها قبلت مودة آل البيت، قال البلاذري ان سلمان الفارسي قال: (الكوفة قبة الاسلام، يأتي على الناس زمان لايبقى مؤمن الا وهويها او يهوى قلبه اليها)[٢].

قال ابن طاووس (اشترى امير الؤمنين علي عليه السلام مابين الخورنق الى الحيرة الى الكوفة

(١) ابن طاووس عبد الكريم، فرحة الغري، النجف ١٣٦٨، ص ٢٧.

(٢) فتوح البلدان، ص ٢٨٧.



من الدهاقين بأربعين الف درهم واشهد على شرائه...فقيل له ياأمير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال وليس تنبت قط فقال سمعت من رسول الله ﷺ يقول كوفان يرد أولها على آخرها يحشر من ظهرها سبعون الف يدخلون الجنة بغير حساب واشتهيت ان يحشروا في ملكي)[1]. روى البلاذري ان العباس النرسي حدثه قال: (بلغني ان المختار ابن عبيد أوغير، قال: حب أهل الكوفة شرف وبغضهم تلف)[2] قال البلاذري أخذ الخليفة المنصور (أهل الكوفة بحفر خندقها والزم كل أمرئ منهم للنفقة عليه أربعين درهماً وكان ذاما لهم لميلهم الى الطالبيين وارجافهم بالسلطان)[3].

وقد اصبح لمسجد الكوفة وللمساجد الشيعية الاخرى حولها قدسية خاصة في نظر الشيعة الامامية. فجاء في الروايات (ان علي ابن الحسين عليه السلام اتى مسجد الكوفة عمداً من المدينة فصلى فيه ركعتين ثم جاء حتى ركب راحلته واخذ الطريق) وان الامام الباقر عليه السلام قال: (لو يعلم الناس ما في مسجد الكوفة لأعدوا له الزاد والراحلة من مكان بعيد) وقال ايضاً (صلاة فريضة فيه تعدل حجة ونافلة فيه تعدل عمرة)[4].

وروي ان الامام الصادق عليه السلام قال: ((مكة حرم الله وحرم رسول الله وحرم علي الصلاة فيها بمائة ألف صلاة والدرهم فيها بمائة ألف درهم والمدينة حرم الله وحرم رسوله ﷺ وحرم أمير المؤمنين علي عليه السلام الصلاة في مسجدها بعشرة آلاف صلاة والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم والكوفة حرم الله وحرم رسول الله ﷺ وحرم أمير المؤمنين علي عليه السلام الصلاة في مسجدها بألف صلاة)[5].

(١) فرحة الغري، ص ٢٩.

(٢) فتوح البلدان ص ٢٧٨.

(٣) ايضاً، ص ٢٨٧.

(٤) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢٨.

(٥) ايضاً، ص ٢٩.



وهكذا نجد منزلة الكوفة ترتفع الى مصاف منزلة الحرمين الشريفين مكة والمدينة، وذلك بقبولها عقيدة التشيع وحبها لآل البيت.

أما مسجد السهلة الذي يقع على بعد بضعة كيلو مترات من مسجد الكوفة فهو الآخر كان من بين الامكنة الشريفة عند الشيعة اسلاف الامامية ثم الامامية من احفادهم.

وعندما سئل الصادقعليه السلام عن أي بقاع الأرض أفضل بعد حرم الله عزوجل وحرم رسول اللهصلى الله عليه وسلم قال: (الكوفة... هي الزكية الطاهرة فيها قبور النبيين والمرسلين وقبور غير المرسلين والاوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل(يقصد السهلة) الذي لم يبعث الله نبيا الا وقد صلى فيه، ومنها يظهر عدل الله ومنها يكون قائمه والقوام من بعده وهي منازل النبيين والاوصياء والصالحين)[1].

ويبدو من الحديث السابق ان القائم أي المهدي يخرج من منطقة الكوفة. وقد جمع السيد حسين البراقي النجفي طائفة كبيرة من الاحاديث والاقوال التي رويت عن الائمة وغيرهم من الشيعة في فضل الكوفة بكتابه الموسوم بـ (تاريخ الكوفة)[2].

ونختتم حديثنا عن الكوفة بالآراء والملاحظات التالية:

أولاً: كانت الكوفة تميل في عقيدتها السياسية للالتزام بالحق الشرعي اي انها تشترط توفير الشرعية **Legitimateness** في حكامها. ونتيجة لذلك نجد أن فكرة النص والتعيين في الامامية الشيعية تجد قبولا كبيرافي الكوفة. وكان للإمامين الباقر والصادق وهما من أئمة الشيعة أسلاف الامامية اليد الطولى في تثبيت فكرة الامام المنصوص عليه ونشرها بين اسلاف الامامية بعامة، ومن بينهم أهل الكوفة بخاصة. وكان لنجاح الامامين المذكورين في تثبيت فكرة النص على الامام اثر كبير في نشر عقيدة الشيعة بين معتنقيها من

(١) ايضاً، ص ٣٠.

(٢) طبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف سنة ١٩٦٠.



اسلاف الامامية لان القول بالنص، بنوعيه الجلي والخفي، أس التشيع الامامي وجوهره. وعرف الكتاب الشيعة اسلاف الامامية بأنهم هم الملتزمون بالوصية والسائرون على المناهج الاول. ويقصدون بذلك أن اولئك الشيعة يلتزمون بنص النبيﷺ على خلافة عليعليه السلام وامامته ونص علي على من بعده وهكذا ينص المتقدم منهم على من بعده حتى تمت سلسلة الائمة الاثني عشر المعصومين من ولد علي من فاطمة والتي تنتهي بالامام الغائبعليه السلام.

ويعزى ميل الكوفة الى الشرعية في السياسة الى انتشار العقيدة التي اعتنقها الشيعة اسلاف الامامية فيها بصورة مبكرة أولا، والى ما ورثته من تقاليد الساسانيين في الحكم ثانياً والى ان معظم سكانها العرب كانوا من اليمانيين الذين ألفوا ذلك النوع من الحكم في وطنهم الاصلي ثالثا.

ثانياً: اتخذت الكوفة فكرة (الاجتهاد) واستنباط الاحكام الفقهية من أدلتها الشرعية أساساً لبناء تراثها الفكري في الحقوق. وتجلى الاتجاه المذكور ليس عند الشيعة اسلاف الامامية حسب، بل ظهر عند غيرهم من المسلمين الكوفيين أمثال ابي حنيفة (ر).

وقد تكللت جهود الامامين الباقر والصادقعليهما السلام بالنجاح حين كونوا طبقة نيرة من فقهاء الشيعة اسلاف الامامية. وكان للطبقة المذكورة، وخاصة الكوفيين منهم أثر كبير في استنباط الاحكام وفي ترسيخ فكرة الاجتهاد بين الفقهاء وقد اصبح الاجتهاد من أشهر مميزات الشيعة اسلاف الامامية، ثم ورثوا تلك الفكرة الى الاجيال اللاحقة من الامامية. ولا يزال الاجتهاد وضرورة وجود مجتهد أو مجتهدين في كل عصر، من الضروريات اللازمة بين أوساط الشيعة الامامية.

وسنضرب أمثلة من فقهاء اسلاف الامامية من اصحاب الباقر والصادقعليهما السلام.

قال الكشي (اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الاولين من اصحاب ابي جعفر

واصحاب ابي عبد الله عليه السلام وانقادوا لهم بالفقه فقالوا: أفقه الاولين ستة زرارة ومعروف بن خربوذ وبريد وأبو بصير الاسدي والفضيل بن يسار ومحمد بن مسلم الطائفي...)[1]. ثم يقول الكشي (أجتمعت العصابة على تصحيح ما يصح من هؤلاء وتصديقهم لما يقولون وأقروا لهم بالفقه من دون أولئك الستة الذين عددناهم وسميناهم ستة نفر جميل بن دراج، وعبد الله بن مسكان، وعبد الله بن بكير، وحماد بن عثمان وحماد بن عيسى وأبان بن عثمان...)[2].

ومن الجدير بالذكر ان الاكثرية العظمى من أولئك الفقهاء كانوا من الكوفة، وجميعهم من الشيعة اسلاف الامامية، وقد وردت تراجم اولئك العلماء في الكشي وغيره من كتب الرجال.

ثالثاً: الجانب الاجتماعي في حركات الغلاة الكوفيين. بينا في الفصل الثالث من هذا الكتاب أن الكوفة كانت المركز الرئيس لغلاة الشيعة. كما بينا اسباب ظهور الغلو وموقف المسلمين، بما فيهم الشيعة منه، ونضيف هنا ان ظهور الغلو في الكوفة كان دليلاً على التقدم الفكري العميق والوعي الاجتماعي عند أهل الكوفة. لان في الغلو، رغم انحراف القائلين به عن الاسلام، جانبا اجتماعيا ايجابيا وذلك أن القائلين به كانوا بالنسبة لمعاصريهم أكثر شعوراً بظلم الانسان لاخيه الانسان. ويبدو ان اكثرية الغلاة، اتخذت من الغلو وسيلة للثورة الاجتماعية على الطبقة والعشائرية اللتين تبناهما حكام المسلمين حينذاك. ولعل في حركة المختار التي أنضم اليها الغلاة، الذين كانت غالبيتهم من المستضعفين في الارض، دليلاً على وجود الجانب الاجتماعي في حركات الغلو... ثم ان الغلاة كانوا بمثابة العمود الفقري للدعوة العباسية لان قادتها قالوا بالدعوة الى الرضا من آل محمد ودعوا الى تطبيق العدل الاجتماعي بين المسلمين كافة.

---

(١) الرجال (النجف، لا.ت) ص ٢٠٦.

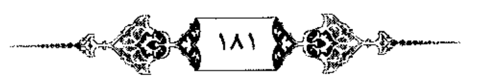
(٢) ايضاً، ص ٣٢٢.

رابعاً: ان الانتاج الفكري والادبي الشيعي الأصيل وضعت بذرته في الكوفة غالباً. فنهج البلاغة يعده الشيعة اسلاف الامامية ثم الامامية من أحفادهم، كما يعده الكثيرون من غيرهم، أعظم كتاب اسلامي بعد كتاب الله الشريف، القى الامام علي بن ابي طالبعليه السلام معظم موارده من على منبر الكوفة. ثم ان أملاه عليعليه السلام على أبي الاسود في النحو، فضلاً عما أنجزه أبو الأسود بهذا الخصوص، كان في الكوفة أيضاً. يضاف الى ذلك ان الكميت الاسدي صاحب الهاشميات الخالدات كان من الشيعة اسلاف الامامية، كما كانت الكوفة موطنه أيضاً، أما انتاج الشيعة اسلاف الامامية الكوفيين ثم الامامية من بعدهم في الزهد والتصوف فقد تناوله الكاتب المشهور الدكتور كامل مصطفى في كتابه الموسوم بـ (الصلة بين التصوف والتشيع)[1]. وليس لدينا مانضيف الى توصل اليه الشيبي بهذا الخصوص.

ونخرج من كل ماسبق بنتيجة وهي أن الكوفة كانت الموطن الرئيس للشيعة والتشيع في الادوار الاولى من حياة الشيعة وذلك في عهد الأئمة المعصومينعليهم السلام، ونعني بالشيعة هنا ماسميناهم بالشيعة أسلاف الامامية، وهم الذين عرفوا بعد الغيبة بالامامية وهؤلاء واولئك موضوع بحثنا في هذا الكتاب.

---

(١) طبع الكتاب المذكور ببغداد سنة ١٩٦٣.



الملحق الثاني:

عدد الأئمة المعصومين ونبذ عن أحوالهم

يعتقد الامامية بأثني عشر اماما من ولد علي من فاطمةعليها السلام. وكان تسعة من الأئمة من ولد الحسينعليه السلام. وكان كل اولئك الأئمة معصومين كما بينا في الفصل الرابع من هذا الكتاب. والأئمة المعصومون مرجع الامامية في الاحكام الشرعية. وهم منصوص عليهم بالامامة. نص عليهم النبيصلى الله عليه وآله جميعاً بأسمائهم، ثم نص المتقدم منهم على من بعده على النحو التالي:

١. أبو الحسن علي بن أبي طالب(المرتضى) المتولد سنة ٢٣ قبل الهجرة والمقتول سنة ٤٠بعدها. ولد بمكة المكرمة وقتل في الكوفة ومرقده في النجف الاشرف بالعراق. وامه السيدة فاطمة بن أسد.

٢. أبو محمد الحسن بن علي (الزكي). ولد في المدينة المنورة سنة ٢هـ وتوفي سنة ٥٠هـ. وقبره في البقيع بالمدينة المنورة. وأمه السيدة فاطمة بنت النبيصلى الله عليه وآله.

٣. أبو عبد الله الحسين بن علي(سيد الشهداء). ولد في المدينة المنورة سنة ٣هـ واستشهد بكربلاء سنة ٦١هـ. ومرقده بكربلاء في العراق وامه السيدة فاطمةعليها السلام.

٤. أبو محمد علي بن الحسين (زين العابدين). ولد في المدينة المنورة سنة ٣٨هـ وتوفي فيها سنة ٩٥هـ. وقبره في المدينة المنورة في الحجاز وامه السيدة شهربانويه[1].

---

(١) السيدة شهربانويه أو شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى. وكانت لشهربانويه اخت نحلها الامام عليعليه السلام لمحمد بن ابي بكر ولدت له القاسم. فعلي بن الحسين والقاسم بن محمد بن ابي بكر ابنا خالة (المفيد، الارشاد، ص ٢٣٧).

٥. أبو جعفر محمد بن علي (الباقر)ولد سنة ٥٧هـ في المدينة المنورة وتوفي فيها سنة ١١٤-١١٩هـ وقبره في المدينة المنورة. وأمه السيدة فاطمة بنت الحسن.

٦. أبو عبد الله جعفر بن محمد (الصادق) ولد سنة ٨٣هـ في المدينة المنورة وتوفي فيها ١٤٨هـ وقبره في المدينة المنورة. وأمه السيدة أم فروة.

٧. أبو ابراهيم موسى بن جعفر(الكاظم) ولد سنة ١٢٨هـ في قرية (الابواء) في الحجاز بين مكة والمدينة. وتوفي سنة ١٨٣هـ في سجن الرشيد ببغداد، ومرقده في الكاظمية على بعد (٨) أميال من بغداد عاصمة العراق وأمه السيدة حميدة.

٨. أبو الحسن علي بن موسى (الرضا) ولد سنة ١٤٨هـ في المدينة المنورة وتوفي سنة ٢٠٣هـ بطوس في خراسان. ومرقده في مشهد في خراسان من بلاد ايران. وأمه السيدة ام البنين.

٩. أبو جعفر محمد بن علي (الجواد) ولد في المدينة المنورة ١٩٥هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٢٠هـ. ومرقده بالكاظمية جوار بغداد. وأمه السيدة سبيكة.

١٠. أبو الحسن علي بن محمد (الهادي) ولد في المدينة المنورة سنة ٢١٢هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٥٤هـ ومرقده بسامراء في العراق وامه السيدة سمانة.

١١. أبو محمد الحسن بن علي (العسكري) ولد في المدينة المنورة سنة ٢٣٢هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٦٠هـ ومرقده بسامراء. وأمه السيدة حديثة.

١٢. أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي) ولد بسامراء سنة ٢٥٦هـ وأمه السيدة نرجس وهو الحجة في العصر الحاضر أي الامام الغائب المنتظر وعند خروجه، كما يعتقد الامامية يملأ الارض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

اعتمدنا فيما قدمناه من معلومات عن الأئمة في هذا الملحق على كتاب المفيد الموسوم بـ (الارشاد)[١] وسيجد القارئ تفصيلات وافية عن حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام في

(١) طبع الكتاب المذكور في طهران سنة ١٣٧٧هـ.



الكتاب المذكور، وفي كتاب (مناقب آل أبي طالب)[1] لابن شهر آشوب. أما المعلومات التي قدمناها هنا فليس فيها من جديد وكان الهدف من اعدادها تيسير المعلومات الاولية عن الأئمةعليهم السلام الذين احتلوا اجزاء كبيرة من متن الكتاب، وجمعها في مكان واحد لتسهل مراجعتها عند الضرورة.

* * *

(١) طبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف سنة ١٩٥٦هـ.

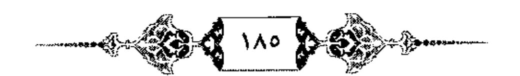
الفهارس

اولاً : فهرست الآيات القرآنية :

(أ)

(ب)

(ف)



(ق)

- ﴿قالوا ربنا امتنا اثنتينو احييتنا اثنتين﴾ (غافر ٤٠-١١) -١٧.

(ل)

- ﴿لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين... الا ان تتقوا منهم تقاة﴾ (آل عمران٢٨:٣)-١٦٦.

(م)

- ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ (آل عمران:٣-٦٧)-٣٤.
- ﴿من كفر بالله... الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾ (النحل: ١٦-١٠٦)-١٦٧.

(و)

- ﴿واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين﴾ (البقرة ١٢٤:٢)-١٣٢.
- ﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة﴾ (البقرة: ٢-٣٠)- ١٣١.
- ﴿واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل﴾ ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ (الصف: ٦١-٦) - ١٣٥.
- ﴿واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء﴾ (الزخرف ١٣:٣)-٤٨.
- ﴿وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ (الزخرف: ٤٣-٤٤)- ١٤٤.
- ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا﴾ (يونس: ١٠- ٩٠)- ٣٤.
- ﴿ولاتستوي الحسنة ولا السيئة﴾ (فصلت: ٤١-٣٤)- ١٦٦.
- ﴿ولقد أوحي اليك... لئن اشركت ليحبطن عملك﴾ (الزمر: ٣٩: ٦٦) - ١٥٦.

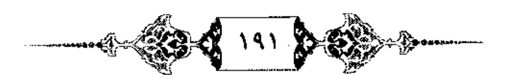
ثانياً: فهرست الفرق:



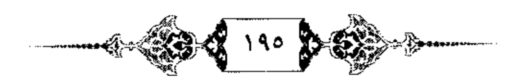




ثالثا: فهرست الاعلام:

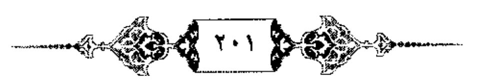


(خ)











(م)



***

المصادر

الامام،علي بن الحسين، ت:٩٥ ف.

الصحيفه السجاديه (النجف،١٣٥٢ هـ).

أبو مخنف (المنسوب) لوط بن يحيى، ت ١٥٧هـ.

في مقتل الأمام ابي عبد الله الحسين (النجف،١٩٥٦م).

المنقري، نصر بن مزاحم، ت: ٢١٢هـ.

وقعة صفين (القاهرة، ١٣٦٥هـ).

ابن سعد، محمد، ت: ٢٣٠هـ.

الطبقات، ج٥ (ليدن، ١٣٣٢هـ).

الجاحظ، عمرو بن بحر، ت: ٢٥٥هـ.

الرسائل- باعتناء السندوبي (القاهرة، ١٩٣٣م).

البرقي، احمد بن ابي عبد الله، ت: ٢٧٤/ ٢٨٠هـ.

الرجال (طهران، ١٣٨٣هـ).

البلاذري، احمد بن يحيى، ت: ٢٧٩هـ.

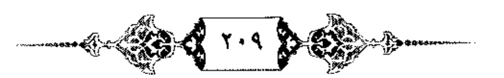
انساب الاشراف، ج٢وج٦(القدس، ١٩٣٦م)

ــــــ فتوح البلدان (القاهرة، ١٩٠١م)

المبرد، محمد بن يزيد، ت: ٢٨٥هـ.

الكامل، ج٢ (القاهره، ١٣٠٨هـ) .

اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، ت: ٢٩٢ هـ.



التاريخ، ج٢ (النجف، ١٣٥٨هـ).
النعماني، محمد بن ابراهيم (من علماء القرن الثالث الهجري).
الغيبه (طهران،١٣٨٢ هـ).
النوبختي، الحسن بن موسى، ت: ح - ٣٠٠ هـ.
فرق الشيعه - تح: هـ ريتر (استانبول، ١٩٣١م)
وطبعه اخرى (النجف،لا.ت)
الأشعري، سعد بن عبد الله، ت: ٣٠١ هـ.
المقالات والفرق (طهران، ١٩٦٣ م).
ابن رستم الطبري،محمد بن جرير (من علماء القرن الرابع الهجري).
المسترشد في امامة علي عليه السلام (النجف،لا. ت).
الطبري، محمد بن جرجير، ت:٣١٠ هـ.
تاريخ الرسل والملوك ٨ اجزاء (القاهرة، ١٣٥٧ هـ).
الكليني، محمد بن يعقوب، ت: ٣٢٨ / ٢٩ هـ.
الكافي ٨ أجزاء (طهران،١٣٨١ هـ).
وطبعة أخرى - حجز (تبريز، ١٣١٢هـ).
الأشعري، علي بن اسماعيل، ت: ٣٣٠هـ.
مقالات الاسلاميين (القاهرة، ١٩٥٠ م).
الكشي، محمد بن عمر،ت. ح - ٣٤٠هـ.
الرجال (النجف، ١٣٨٣ هـ).
وطبعة اخرى (بمبي، ١٣١٧ هـ).
المسعودي،علي بن الحسين، ت: ٣٤٦ هـ.

التنبيه والأشراف (ليدن، ١٨٩٣ م).

ـــــــ، مروج الذهب، ٤ أجزاء (القاهرة، ١٩٥٨ م).

ـــــــ، الوصية (النجف، لا. ت).

الأصفهاني، ابو الفرج، ت: ٣٥٦ هـ.

مقاتل الطالبين، ٣ أجزاء (بيروت، ١٩٦١ م).

أبن قولويه، جعفر بن محمد، ت: ٣٦٧ هـ.

كامل الزيارات (النجف، ١٣٥٦ هـ).

المقدسي، البشاري، نبغ ٣٧٥ هـ.

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن، ١٩٠٦ م).

القمي، حسن بن محمد، ت:٣٧٨ هـ.

تاريخ قم ـ بالفارسيه (طهران، ١٣٥٣ هـ).

التوحيدي، أبو حيان، ت: ٣٨٠ هـ.

البصائر والذخائر، ج١ (بغداد، ١٩٥٤ م).

الصدوق، محمد علي القمي، ت: ٣٨١ هـ.

الخصال (طهران، ١٣٢٠ هـ).

ـــــــ، علل الشرائع (النجف، ١٩٦٣ م).

ـــــــ، عيون أخبار الرضا، ج ١ (طهران، ١٣١٨ هـ).

ـــــــ، معاني الاخبار (طهران، ١٣٧٦ هـ).

ـــــــ، من لايحضره الفقيه، ج ١ (النجف، ١٩٥٧ م).

الرضي، الشريف محمد بن الحسين، ت: ٤٠٦ هـ.

حقائق التأويل في متشابهات التنزيل، ج٥ (النجف، ١٩٣٦ م).



العكبري، الشيخ المفيد، ت: ٤١٣ هـ.

الإختصاص (طهران، ١٣٧٩ هـ).

ـــــــ، الإرشاد (اصفهان، ١٣١٢ هـ).

ـــــــ، الأمالي (النجف، ١٣٥١ هـ).

المرتضى، الشريف علي بن الحسين، ت: ٤٣٦ هـ.

الأمالي، ج١ (القاهرة، ١٩٥٤ م).

ـــــــ، تنزيه الأنبياء (النجف، ١٩٦٠ م).

ـــــــ، الفصول المختارة، ج٢ (النجف، ١٣٦٠ هـ).

ـــــــ، مجموعه في فنون علم الكلام، تحقيق محمد حسن آل ياسين ـ (بغداد، ١٩٥٥ م).

المقدسي، البشاري، نبغ ٣٧٥هـ.

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم(ليدن، ١٩٠٦م).

القمي، حسن بن محمد، ت: ٣٧٨هـ.

تاريخ قم - بالفارسية (طهران، ١٣٥٣هـ).

التوحيدي، أبو حيان، ت: ٣٨٠هـ.

البصائر والذخائر، ج١(بغداد، ١٩٥٤م).

الصدوق، محمد بن علي القمي، ت: ٣٨١هـ.

الخصال (طهران، ١٣٢٠هـ).

ـــــــ علل الشرائع (النجف، ١٣٢٠هـ).

ـــــــ عيون أخبار الرضا، ج١(طهران،١٣١٨هـ).

ـــــــ معاني الأخبار (طهران، ١٣٧٦هـ).

ـــــ من لا يحضره الفقيه، ج١ (النجف، ١٩٥٧م).

الرضي، الشريف محمد بن الحسين، ت: ٤٠٦هـ.

حقائق التأويل في متشابهات التنزيل، ج٥ (النجف، ١٩٣٦م).

العكبري، الشيخ المفيد، ت: ٤١٣هـ.

الاختصاص (طهران، ١٣٧٩هـ).

ـــــ الارشاد (اصفهان، ١٣١٢هـ).

ـــــ الأمالي (النجف، ١٣٥١هـ).

المرتضى، الشريف علي بن الحسين، ت: ٤٣٦هـ.

الأمالي، ج١ (القاهرة، ١٩٥٤م).

ـــــ تنزيه الأنبياء (النجف، ١٩٦٠م).

ـــــ الفصول المختارة، ج٢ (النجف، ١٣٦٠هـ).

ـــــ مجموعة في فنون علم الكلام، تحقيق محمد حسن آل ياسين - (بغداد، ١٩٥٥م).

ابن النديم، محمد بن اسحاق ت: ٤٣٨هـ.

الفهرست (القاهرة، لا، ت).

النجاشي، أحمد بن علي، ت: ٤٥٠هـ.

الرجال (طهران، لا.ت).

ابن حزم، علي، ت: ٤٥٦هـ.

الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج٢، ((طبعة الأوفست، مكتبة المثنى، بغداد، لا، ت).

الطوسي، محمد بن الحسن، ت: ٤٦٠هـ.

التبيان في تفسير القرآن (النجف، ١٩٥٧).



تلخيص الشافي (النجف، ١٩٦٣).

الخلاف، ج٣، (قم،لا.ت).

الغيبة(النجف، ١٣٥٨هـ).

الفهرست(النجف، ١٩٦٠م).

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، ت، ٤٥٨هـ.

الملل والنحل (القاهرة، ١٩٥٦).

الطبرسي، احمد بن علي(من مشايخ ابن شهرآشوب المتوفي ٥٨٨هـ).

الاحتجاج على أهل اللجاج (النجف، ١٩٦٦م).

ابن شهرآشوب، محمد بن علي، ت،٥٨٨هـ.

مناقب آل أبي طالب٣ أجزاء (النجف، ١٩٥٦م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن، ت: ٥٩٧هـ.

تلبيس ابليس (القاهرة، ١٩٢٨م).

، مناقب الامام احمد ابن حنبل(القاهرة، ١٣٤٩هـ).

الرازي، فخر الدين، ت: ٦٠٦هـ.

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين(القاهرة، ١٩٣٨م).

الحموي، ياقوت، ت ٦٢٦هـ.

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، ت: ٦٣٠هـ.

الكامل، ج١٠(القاهرة، ١٢٩٠هـ).

ابن داود، الحسن بن علي الحلي (من علماء القرن السابع الهجري) الرجال (طهران، ١٣٤٢هـ).

ابن طاووس،عبد الكريم، تـ: ٦٩٣هـ.

فرحة الغري (النجف، ١٣٦٨هـ).
الحلي، الحسن بن يوسف، ت: ٧٢٦هـ.
أثبات الوصية (النجف، لا. ت).
ـــــــــ، الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام (النجف، ١٣٧٢هـ).
ـــــــــ، الرجال (طهران، ١٣١١هـ).
وطبعه اخرى (النجف، ١٩٦١هـ).
الديلمي، محمد (من علماء القرن الثامن الهجري).
أرشاد القلوب، جزءان، (بيروت، ١٣٨١هـ).
الأندلسي، محمد بن يحى، ت: ٧٤١هـ.
التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ـ تح: محمود زايد (بيروت، ١٩٦٤).
المجلسي، محمد باقر، ت: ١١١٠هـ.
بحار الأنوار، ج١١ (طهران، ١٣١٥هـ).

المراجع

أ . المراجع العربية:

بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ج٣ تر: عبد الحليم النجار (القاهرة ١٩٦٢).

حسين، طه الفتنة الكبرى، ج١ (القاهرة، ١٩٤٧م).

الحسيني، محمد باقر، تطور النقود العربية والاسلامية (بغداد، ١٩٦٩م).

دخيل، محمد علي، الامام المهدي عليه السلام (النجف، لا ت).

الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام (بغداد، ١٩٤٩م).

دونالدسن دوايت، عقيدة الشيعة ـ تر: ع. م (القاهرة، ١٩٤٦).

الشيبي، كامل مصطفى، الصلة بين التصوف والتشيع، ج١ (بغداد، ١٩٦٣م).

ـــــــ، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية (بغداد، ١٩٦٦م).

العسكري، مرتضى، عبد الله بن سبأ (النجف، ١٩٥٦م).

ـــــــ، خمسون ومائة صحابي مختلق (بيروت، ١٩٦٨م).

علي، أمير، مختصر تاريخ العرب ـ تر: عفيف البعلبكي (بيروت، ١٩٦١م).

فلهاوزن، يوليوس، الخوارج والشيعة ـ تر: عبد الرحمن بدوي (القاهرة، ١٩٥٨م).

ـــــــ، الدولة العربية وسقوطها ـ تر: عبد الهادي ابو ريدة (القاهرة، لا.ت).

القمي، عباس، الكنى والالقاب، (النجف، ١٩٥٦).

كاشف الغطاء، محمد حسين، أصل الشيعة وأصولها (بيروت، لا. ت).

كسروي، أحمد، التشيع والشيعة (طهران، ١٣٦٤هـ).

كولد زيهر، أجناس، العقيدة والشريعة في الأسلام ـ تر: محمد يوسف (القاهرة ١٩٤٦م).

ماسنيون، لويس، خطط الكوفة ـ تر: تقي المصعبي (صيدا، ١٩٣٩م).

المظفر، محمد رضا، عقائد الشيعة (النجف، ١٩٥٤م).

الوردي، علي، مهزلة العقل البشري، (بغداد، ١٩٥٥م).

ـــــــــــ ، وعاظ السلاطين (بغداد، ١٩٥٤م).

ب. المراجع الاجنبية:

Browne,E.G.ALierary History of Persia,I,Cambridge,1951.

Houtsma, M.TH. "Ibn Sab'a"Ency.of Islam,I,

Watt, W.M.Islam and the Integration of Society, London.1961.



للمؤلف:

١ـ تاريخ البرامكة (نفذ).

٢ـ تاريخ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ (نفذ).

٣ـ تاريخ العرب، الفه بالاشتراك مع أحد الزملاء.

٤ـ الجغرافية المتوسطة، الفه بالاشتراك مع لجنة.

٥ـ مرشد طالب البكلوريا الى الجغرافية المتوسطة، الفه بالاشتراك مع أحد الزملاء.

٦ـ مشاهداتي في تركية.

٧ـ مشاهداتي في ايران.

٨ـ تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع لجنة.

٩ـ الاجازات العلمية عند المسلمين.

١٠ـ مشكلة الأراضي في لواء المنتفك (الناصرية)

١١ـ محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية.

١٢ـ تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري.

من كتب المؤلف المعدة للطبع:

١٣ـ تاريخ التربية عند الامامية بين عصري الامام الصادق والشيخ الطوسي (أطروحة للدكتوراة قدمت للجامعة الامريكية بيروت).

١٤ـ الحركة الفدائية في الاسلام قديماً وحديثاً.

١٥ـ تدوين التاريخ عند المسلمين.

١٦ـ الحالة الثقافية في الحجاز في عصر الرسالة.

١٧ـ السلطة بين الخلفاء والأمراء في عهد الخلافة العباسية.

دراسات في المجلات:

١ـ ((تدوين التاريخ عند المسلمين)) مجلة الاستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد. المجلد الرابع ١٩٥٥م.

٢ـ أـ ((تدوين التاريخ عند المسلمين)) مجلة الاستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد. المجلد الخامس ١٩٥٦م.

ب ـ نقد وتعليق على كتاب ((محاضرات في تاريخ العرب)) للدكتور صالح احمد العلي.

٣ـ ((الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الأسلام)) مجلة الاستاذ. تصدرها كلية التربية ـ جامعة بغداد. المجلد العاشر ١٩٦٢م.

٤ـ ((الزراعة والتجارة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر)) مجلة الاستاذ. العدد الحادي عشر، ١٩٦٣م.

٥ـ ((التعليم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين)) مجلة الاستاذ العدد الثاني عشر ١٩٦٤م.

٦ـ اضواء على مشكلات الاصلاح الزراعي في لواء الناصرية. من الابحاث المقدمة الى المؤتمر الشعبي لمناقشة مشاكل الاصلاح الزراعي ومعالجتها ١٥ـ ١٧ أب ١٩٦٣م.

٧ـ ((العقل عند الغزالي)) مجلة رسالة الاسلام ـ تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العدد الثالث ١٩٦٦م.

٨ـ ((دور الامام الصادق في التربية والتعليم عند الامامية)) رسالة الاسلام ـ تصدرها كلية اصول الدين ببغداد. العددان الخامس والسادس ١٩٦٦م.

٩ـ ((كتب الامالي عند الشيعة الامامية)) بحث ألقي في المؤتمر الثقافي لجمعية الروابط الادبية في النجف الاشرف. نشر ملخصه بكراس اصدرته الجمعية المذكورة (النجف، ١٩٦٦).

١٠ـ ((الخلافة العباسية في العهد البويهي)) مجلة رسالة الاسلام. تصدرها كلية أصول



الدين ببغداد. العددان الاول والثاني ١٩٦٧م.

١١ـ ((الخلافة العباسية في عهد السلاجقة)) مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العددان الثالث والرابع ١٩٦٧م.

١٢ـ دور الامامين الكاظم والرضا في التربية والتعليم عند الامامية)) مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العددان السابع والثامن ١٩٦٨م.

١٣ـ ((التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس)) القسم الاول مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية أصول الدين ببغداد العددان الثالث والرابع ١٩٦٩م.

١٤ـ ((التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس)) القسم الثاني مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية أصول الدين ببغداد العددان الخامس والسادس ١٩٦٩م.

١٥ـ ((الفدائيون من اهل الثغور وواجبنا نحوهم)) مجلة رسالة الاسلام. تصدرها كلية اصول الدين ببغداد. العددان التاسع والعاشر ١٩٦٩م.

١٦ـ((الغلو والغلاة وموقف الشيعة الامامية منها)) مجلة رسالة الاسلام. تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العددان الثالث والرابع ١٩٧٠م.

الرموز المستعملة في الكتاب:

تر: ترجمة

تح: تحرير أو نشر

لا. ت: تاريخ الطبع غير موجود

ح: حوالي

ت: توفى

TARIKH al Lmamiyah WA ASLAFIHM MIN alsHI'A Mundhu Nash, at al-Tashayyu, Hatta Matla, al- Qarn al-rabt, al-Hijri

BY:

ABDULLAH FAYYAD

B. A. M. A. PH. D. «A. U. B.»Professor

Facuity of Arts of the Uniuersity of Baghdad and Acting

Dean of Usul al-Din colleqe, Baghadad.

المحتويات